جامعة النجـــاح الوطنيـــة
كلية الدراسات العليا

الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي المتوفى سنة 880هـ ومنهجه في التفسير



إعداد الطالب

عبد الحي حسن موسى عبد المجيد

إشراف

الدكتور : محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين

1424هـ - 2003 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي

المتوفى سنة 880هـ ومنهجه في التفسير

إعداد الطالب : عبد الحي حسن موسى عبد المجيد

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2003/6/14م وأجيزت

أعضاء اللجنة	التوقيع
1 ـ الدكتور محسن سميح الخالدي / رئيساً	
2 ـ الدكتور محمد حافظ الشريدة / عضواً	
3 ـ الدكتور علي علوش / عضواً	

الإهداء

ـ إلى روح بشر حافي زمانه

عفة وإخلاصا وورعا وزهدا

المرحوم الشيخ خليل إبراهيم أفندي السلوادي

ـ وإلى روح تلميذه والدي الذي اكتحلت عيناه بمناقشة

هذه الرسالة قبل أن يلقى ربه

ـ وإلى روح والدتي التي كانت تنتظر هـــذه اللحظـــة

فوافاها الأجل المحتوم

ـ إليهم جميعا أهدي هذا البحث .

شكر وتقدير

يقول الله تعالى : **(ومن شكر فإنما يشكر لنفسه)**[1] .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله "[2] .

فالشكر والحمد لله العلي الكبير لا تحصى نعمه ولا تعد آلاؤه الذي أعانني على إعداد هذا البحث ، فله الحمد والمنة .

ثم أثني بالتوجه بالشكر البالغ والتقدير العميق لفضيلة الدكتور محسن سميح الخالدي الذي تقبل برحابة صدر الإشراف على هذه الرسالة ، وفتح لي قلبه العامر بالإيمان ، ولم يبخل عليَّ بحسن توجيهاته أثناء كتابة هذه الرسالة ، فكان نعم الموجه الأمين ، والمشرف المخلص أسأل الله أن يمد في عمره ويمتعه بموفور الصحة والعافية ، وأن ينفع بـــه الإســـلام والمســـلمين ، ويجزيه عني خير الجزاء .

كما وأتقدم بالشكر والتقدير إلى من تفضلا بمناقشة هذه الرسالة والحكم عليـــها فضيلـــة الدكتور محمد حافظ الشريدة وفضيلة الدكتور علي علوش ، وذلك لما أبدياه من مناقشات جادة تخدم العلم وأهله ، فجزاهما الله عني خير الجزاء .

كما وأتقدم بالشكر للقائمين على مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية في مدينة البـيرة الذين فتحوا لي مكتبة المركز العامرة بأمات الكتب المتخصصة في التفسير وعلـــوم القــرآن المتعددة التي رجعت إليها أثناء كتابة هذه الرسالة .

وفي الختام أتوجه بالشكر والتقدير لكل من قدم لي عوناً أو أسدى إلي نصيحة .

---

(1) النمل : ٤٠ .

(2) أخرجه أحمد (٢/٢٩٥) .

مسرد الموضوعات

الملخص

إن دراسة سيرة المؤلف قبل تحقيق مخطوطاته ، أو دراسة منهجه في التأليف تعطي الدارس انطباعا عاما عن ذلك المؤلف ، وهذا ما جاء في الباب الأول حيث كان الكلام فيه عن عصر ابن عادل في كل نواحيه ، أما الناحية الدينية كان الكلام فيها عن النشاط الديني المتمثل في القضاء على التشيع ، وكثرة المنشآت الدينية ، وانتشار التصوف ، أما الناحية السياسية كان الكلام فيها عن السلاطين الذين عاصرهم ابن عادل وصراعهم على السلطة ، أما الناحية الاجتماعية كان الكلام فيها حول فئات المجتمع وانقسامه إلى طبقات متعددة ، وأما الناحية العلمية والثقافية كان الكلام فيها عن الحركة العلمية والثقافية التي كانت في العصر الذي عاش فيه ، وكان الكلام فيه أيضا عن حياته بكل جوانبها : مولده ونشأته العلمية ومذهبه الذي تبناه وعقيدته التي اعتقدها وآثاره العلمية التي تركها ووفاته .

ولما كان موضوع البحث هو منهج ابن عادل في التفسير كان لابد من أن يكون هناك مدخلا لدراسة منهجه ، وهذا ما جاء في الباب الثاني ، فقد كان الكلام فيه عن أهم المصادر التي اعتمدها في تفسيره من كتب التفسير بنوعيه التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، وكتب السنة والسيرة النبوية ، وكتب علوم القرآن ، وكتب اللغة والنحو ، وكتب الفقه وأصوله ، وكان الكلام أيضا عن طريقته في التفسير التي سار عليها في تفسيره والتي جمع فيها بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود ، لكن كان التفسير بالرأي المحمود هو السمة الغالبة فيه .

وأهم ما كان الكلام عنه بالتفصيل هو منهج ابن عادل في التفسير وهذا ما جاء في الباب الثالث ، فقد كان الكلام فيه عن تفسيره لآيات القرآن بالمأثور من تفسير للقرآن بالقرآن ، وتفسير للقرآن بالسنة ، وتفسير للقرآن بأقوال الصحابة وتفسير للقرآن بأقوال التابعين ، وموقفه من الإسرائيليات ، ومنهجه في التفسير العقدي وذلك ببيان المدرسة التي انتمى إليها ، وبيان المسائل العقدية التي تعرض لها ، وبيان موقفه من الأسماء والصفات .

وكان الكلام فيه أيضا عند تفسيره لآيات القرآن بالرأي المحمود وذلك ببيان اتجاهه اللغوي والنحوي والبلاغي والفقهي والأصولي ، أما الاتجاه اللغوي فقد تضمن معاني الكلمات الواردة في القرآن من حيث بيانه لمعنى الكلمة ومعرفة ووجوهها ونظائرها في القرآن ، وأما الإتجاه النحوي فقد تضمن أوجه إعرابه للكلمة أو الجملة ، وإعرابه لمشكل القرآن ، وتعرضه لقضايا الصرف ، أما الإتجاه البلاغي فقد تضمن تعرضه لعلوم البلاغة الثلاثة البيان والمعاني والبديع ، وبيان أنواع كل علم منها ، وتضمن كذلك تعرضه لقضيتي النظم والإعجاز اللتين كانتا محط اهتمام العلماء الذين سبقوه ، وأما الاتجاه الفقهي فقد تضمن تفسيره لآيات الأحكام وذلك ببيان

الأحكام المستنبطة منها ، ومذاهب الفقهاء واختلافهم فيها ، وترجيح ما يراه راجحاً بناءً علـــى المُرَجِّح الذي يغلب على ظنه أنه هو الأقوى في المسألة ، وأما الاتجاه الأصولي فقد تضمن بيان القضايا الأصولية التي تشير إليها الآية .

وكان فيه الكلام فيه أيضاً عن تعرضه لأهم علوم القرآن التي تعرض لها ، والتي لا غنى لأي مفسر عنها ، فقد تعرض لعلم المناسبات بين الآيات والسور حيث بين علاقة الآية ما قبلــها وبما بعدها ، وعلاقة السورة بما قبلها وبما بعدها ، وتعرض للناسخ والمنسوخ عند كل آية لـــها علاقة بهذا العلم ، وبين الآيات المنسوخة والآيات الناسخة لها ، وبين فائدة علم الوقف والابتـداء وذكر سبب أو أسباب نزول الآية أو السورة وذكر مكان نزول الآيات والســـور ، وتعــرض لمشكل المعاني .

بعد بيان منهج ابن عادل في التفسير كان لا بد من بيان مكانة ابن عادل في التفسير وهـــذا ما كان في الباب الثالث ، فقد كان الكلام فيه عن مكانته في التفسير من حيث مناقشـــته لكبـــار المفسرين الذين رجع إليهم في تفسيره في قضايا التفسير المختلفة وبيان رأيه في تلك القضايـــا ، وبيان وجوه الترجيح التي اعتمدها في تفسيره ، وذكر ما قاله المترجمون له .

وكان الكلام فيه أيضاً عن القيمة العليمة لتفسير ابن عادل من خلال الأهداف التي توخاهـــا في تفسيره ومدى تحققها فيه ، ومن خلال معايشة تفسيره أثناء الدراسة ، وبيان الجهد التفسيري الذي بذله في تفسيره ، وبيان زياداته في التفسير التي حواها ، وبيان أثره في المفسرين الذيـــن بعده .

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل إلينا خير رسول ، وأنزل عليه خير كتاب ليكون للعـــالمين نذيــراً ، القائل في محكم التنزيل : (**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقــوم ويبشــر المؤمنيــن الذيــن يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً**)[1] والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلـــى الله عليـــه وسلم الذي أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد خيرة خلقك ، وخاتم أنبيائك ورسلك ، وصفوة عبادك ، وعلى آله الأطهار ، وأصحابه الأخيار ، وسلِّم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن خير كتاب تتنافس العلماء لخدمته ، وتُضاعف الجهود لمعرفة أسراره وخفايـــاه ، ولا تكل الهمم من مدارسته، هو كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديـــه ولا مـــن خلفه، حجة الله على خلقه ، فبه تقوى الحجة ، ويسطع البرهان ، ويحسن النطـــق ، وتتفتـــح المدارك ، ويطمئن القلب ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

لقد كثرت في الآونة الأخيرة الدراسات حول مناهج المفسرين في رسائل جامعية لعدد من الباحثين المسلمين في أقطار متعددة والتي منها :

1 ــ الواحدي ومنهجه في التفسير للدكتور جودة محمد محمد المهدي[2] .

2 ــ منهج ابن عطية في التفسير للدكتور عبد الوهاب فايد[3].

3 ــ القرطبي ومنهجه في التفسير للدكتور القصبي محمود زلط[4] .

4 ــ منهج ابن القيم في التفسير للشيخ محمد أحمد السنباطي[5] .

5 ــ الإمام الشوكاني مفسراً للدكتور محمد الغماري[6] .

6 ــ الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير للدكتور عدنان زرزور[7] .

7 ــ منهج الزمخشري في التفسير للدكتور مصطفى الصاوي الجويني[8] .

8 ــ ابن باديس مفسراً للدكتور حسن عبد الرحمن سلوادي[9] .

9 ــ سيد قطب ومنهحه في التفسير للدكتور إسماعيل نواهضة [10] .

---

[1] الإسراء : 9 .

[2] طبع بمصر سنة 1987م طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية .

[3] طبع بمصر سنة 1394هـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[4] طبع بمصر سنة 1399هـ طبعته دار الأنصار بالقاهرة .

[5] طبع بمجمع للبحوث الإسلامية سنة 1393هـ .   (6) طبع في مطبعة الشروق ــ القاهرة ــ سنة 401 1هـ .

[7] طبع ببيروت سنة 1392هـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر .

[8] طبع بمصر مرتان،الثانية سنة 1968م طبعة دار المعارف.(9)رسالةماجستيرمطبوعةبالآلةالكاتبةأطلعني عليها المؤلف.

[10] رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة أطلعني عليها المؤلف .

10 ـــ إبن جزي ومنهجه في التفسير للدكتور علي محمد الزبيري[1] .

وهناك رسائل أخرى مشابهة لم يقدر لي الإطلاع عليها،أو معرفتها ، من هنا فقد اخترت أن أكتب رسالتي هذه في منهج الإمام أبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي في تفسيره الموسوم ب " اللباب في علوم الكتاب " والتي أرجو أن تكون رسالتي هذه ضمن هذه السلسلة الهامة لمناهج المفسرين ، كما وأرجو أن تتبع رسالتي هذه رسائل أخرى لتتابع المسيرة لدراسة مناهج المفسرين .

أهمية موضوع البحث وسبب اختياره :

1 ـــ خدمة كتاب الله تبارك وتعالى ، الذي تسابقت إلى خدمته العلماء ، حفظاً ومطالعة وقراءة وشرحاً وتفسيراً وتعليماً ، فقد قضوا حياتهم وأفنوا زهرة شبابهم في خدمته ،فما كلّت لهم همة ، ولا خارت لهم قوة،ولا ضعفت لهم عزيمة في ذلك، فارتفع بين الناس ذكرهم به ، وكانوا من خير الناس لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:"خيركم من تعلم القرآن وعلّمه"[2].

وإني بهذه الدراسة المتواضعة أحاول أن ألحق بِخَدَمَة كتاب الله تبارك وتعالى ، لعلي أنال شرف خدمة كتاب الله تبارك وتعالى كما نالوه .

2 ـــ حبي لدراسة مناهج المفسرين ، حيث قدر لي الإطلاع على كتاب "التفسير والمفسرون" للمرحوم الدكتور محمد حسين الذهبي أثناء دراستي في المعهد الشرعي في عمان[3] مما دعاني لاقتنائه في مكتبتي الخاصة ، حيث قرأته قراءة فاحصة من أوله إلى آخره ، فترك في نفسي أثراً كبيراً حبَّبَ إلى هذا النوع من العلوم التي تخدم كتاب الله تبارك وتعالى ، وهذا الكتاب في نظري من أهم الكتب التي عنيت بدراسة مناهج المفسرين على اختلاف مذاهبهم وفرقهم في العصر الحديث .

3 ـــ عدم وجود أي دراسة أو بحث عن هذا التفسير وصاحبه .

مشكلات البحث :

تتمثل مشكلات البحث في النقاط التالية :

1 ـــ مكانة الإمام ابن عادل في التفسير .

2 ـــ قيمة تفسير ابن عادل العلمية ومكانته بين التفاسير .

3 ـــ بيان العقيدة التي تبناها ابن عادل ، والتي بنى عليها تفسيره .

وقد واجهتني في كتابة هذه الرسالة كأي باحث مشاكل منها صعوبة الحصول على بعض

---

[1] طبعته دار القلم ـــ دمشق ـــ سنة 1407هـ .

[2] أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه رقم (4739) (1919/4)

[3] كان ذلك في العامين 1974- 1976م .

المصادر والمراجع المهمة التي لها علاقة بموضوعات الرسالة ، وصعوبة التنقل بين مدن فلسطين وذلك للظروف الصعبة التي نعاني منها أهلها ، لكن مع توفيق الله تنحل كل عقدة ، ويزول كل هم، وينفرج كل كرب، وينقضي كل عسر، فقد يسر الله وأعان فله الحمد وحده .

الأهداف :

تزويد المكتبة الإسلامية بمؤلَّف يُعَرِّف بابن عادل وبتفسيره .

منهجية البحث :

تتمثل منهجية البحث في النقاط التالية :

1 ــ ترقيم الآيات القرآنية الواردة في البحث وذلك بذكر السورة ورقم الآية .

2 ــ تخريج الأحاديث الواردة فيه ، وذلك بعزوها إلى مصدرها أو مصادرها من كتب السنة ، وعدم الاكتفاء بعزوها إلى كتب التفسير والفقه والأصول ، والحكم عليها قدر الإمكان إذا كان الحديث في غير الصحيحين .

3 ــ عزو الشواهد الشعرية إلى مصدرها أو مصادرها قدر الإمكان .

4 ــ الترجمة للأعلام غير المشهورين ممن لهم علاقة بالبحث من مفسرين ومقرئين ونحاة ولغويين وفقهاء وأصوليين .

5 ــ الرجوع في كل علمٍ أو فنٍ تعرضت له في الرسالة إلى كتب ذلك العلم أو الفن ذاتها ، ولم أكتف بما تنقل الكتب الأخرى عنها .

6 ــ حرصت على أن أرجع فيما يتعلق بالتفسير بالمأثور إلى تفسير الطبري ، وتفسير البغوي ، وتفسير ابن كثير لأنها من أهم التفسير في هذا الفن ، وفيما يتعلق بالتفسير بالرأي إلى تفسير الرازي ، وتفسير الماوردي ، وتفسير القرطبي ، ولأنها من أمات التفسير بالرأي ، وفيما يتعلق بالنحو إلى تفسير أبي حيان وتفسير ، الدر المصون للسمين الحلبي لأنهما من أهم التفاسير التي عنيت بالأمور النحوية .

7 ــ تعريف المصطلحات العلمية ، وعزو ذلك التعريف إلى مصدره المتخصص فيه .

8 ــ بيان معاني المفردات الغامضة من الناحية اللغوية .

9 ــ التعريف بالأماكن التاريخية والجغرافية .

خطةالبحث :

لقد قمت بتقسيم هذه الرسالة إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة على النحو التالي :

المقدمة : تحدثت فيها عن أهمية البحث ، وسبب اختياره ، وأهدافه ، ومشكلات البحث ، ومنهجية البحث ، وخطة البحث .

الباب الأول : تكلمت فيه عن سيرة ابن عادل من خلال فصلين

الفصل الأول : تكلمت فيه عن عصر ابن عادل من خلال أربعة مباحث :

المبحث الأول : الناحية الدينية ، بينت فيه النشاط الديني .

المبحث الثاني : الناحية السياسية ، بينت فيه الأوضاع السياسية السائدة .

المبحث الثالث : الناحية الاجتماعية ، بينت فيه أحوال الناس المعيشية .

المبحث الرابع : الناحية الثقافية والعلمية . بينت فيه الحركة العلمية والثقافية .

الفصل الثاني : تكلمت فيه عن حياة ابن عادل من خلال أربعة مباحث :

المبحث الأول : تناولت فيه بالتفصيل مولد ابن عادل واسمه ونسبه ووفاته .

المبحث الثاني : وضحت فيه نشأة ابن عادل العلمية .

المبحث الثالث : بينت مذهبه الفقهي ، وعقيدته التي بنى عليها تفسيره .

المبحث الرابع : ذكرت فيه آثاره العلمية .

الباب الثاني : تكلمت عن المدخل إلى دراسة منهج ابن عادل من خلال فصلين :

الفصل الأول : تكلمت فيه عن مصادر ابن عادل في التفسير من خلال الأمور التالية :

1 ــ مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن .

أولاً : أهم مصادره من كتب التفسير .

ثانياً : أهم مصادره من كتب علوم القرآن .

2 ــ مصادره من كتب السنة النبوية .

أولاً : أهم مصادره من كتب السنة .

ثانياً : أهم مصادره من كتب السيرة النبوية .

3 ــ مصادره من كتب الفقه والأصول والعقائد .

أولاً : أهم مصادره من كتب الفقه .

ثانياً : أهم مصادره من كتب الأصول .

ثالثاً : أهم مصادره من كتب العقائد .

4 ــ أهم مصادره من كتب اللغة والنحو .

الفصل الثاني : تكلمت فيه عن طريقة ابن عادل في التفسير من خلال مبحثين :

المبحث الأول : وضحت فيه طريقة ابن عادل في تفسيره .

المبحث الثاني : بينت فيه جمع ابن عادل بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي في تفسيره.

الباب الثالث : تكلمت فيه عن منهج ابن عادل في التفسير من خلال ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تكلمت فيه عن منهج ابن عادل في التفسير بالمأثور وما يتعلق بـه مـن خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : بينت منهج ابن عادل في التفسير بالمأثور من خلال الأمور التالية :

1 ــ تفسير ابن عادل القرآن بالقرآن .

2 ــ تفسير ابن عادل القرآن بالسنة .

3 ــ تفسير ابن عادل القرآن بأقوال الصحابة .

4 ــ تفسير ابن عادل القرآن بأقوال التابعين .

المبحث الثاني : تكلمت عن الإسرائيليات وموقف ابن عادل منها من خلال هذه النقاط :

1 ــ بيان معنى الإسرائيليات وتسربها إلى كتب التفسير .

2 ــ بيان أقسام الإسرائيليات وموقف العلماء منها .

3 ــ توضيح منهج ابن عادل في تفسير القصص القرآني وموقفه من الإسرائيليات .

المبحث الثالث : منهج ابن عادل في التفسير العقدي من خلال الأمور التالية :

1 ــ تعرضه لإثبات وحدانية الله من خلال تفسيره للآيات الدالة على ذلك .

2 ــ تعرضه لإثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال تفسيره للآيات الدالة على ذلك .

4 ــ موقفه من المتشابه ــ الأسماء والصفات ــ عند تفسيره لآيات الأسماء والصفات .

٤ ــ تعرضه لمسائل عقدية متعددة عند تفسيره للآيات التي ذكرت هذه المسائل.

الفصل الثاني : تكلمت فيه عن منهج ابن عادل في التفسير بالرأي وما يتعلق به من خلال ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : بينت فيه الاتجاه اللغوي والنحوي والبلاغي الذي سار عليه ابن عادل في تفسيره :

أولاً ــ الاتجاه اللغوي ، بينت فيه تناوله للأمور اللغوية .

ثانياً ــ الاتجاه النحوي ، بينت فيه اهتمامه بالأمور النحوية .

ثالثاً ــ الاتجاه البلاغي ، بينت فيه تناوله للمواضيع البلاغية التالية :

1 ــ علم البيان .

2 ــ علم المعاني .

3 ــ علم البديع .

4 ـــ قضية النظم .

5 ـــ قضية إعجاز القرآن الكريم .

المبحث الثالث: بينت فيه الاتجاه الفقهي والأصولي الذي سار عليه ابن عادل في تفسيره :

أولاً : اتجاهه الفقهي ، بينت فيه بالتفصيل كيف كان طرحه للقضية الفقهية .

ثانياً : الاتجاه الأصولي ، بينت فيه كيف تناول القضية الأصولية .

الفصل الثالث : ذكرت علوم القرآن التي تعرض لها في تفسيره والتي منها :

1 ـــ مناسبة الآيات والسور .

2 ـــ النسخ في القرآن .

3 ـــ الوقف والابتداء .

4 ـــ أسباب النزول .

5 ـــ المكي والمدني .

6 ـــ المشكل .

الباب الرابع : تكلمت فيه عن مكانة ابن عادل في التفسير وأثره في المفسرين من خـــلال فصلين :

الفصل الأول : بينت فيه مكانة ابن عادل في التفسير من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ذكرت فيه المواضع التي ناقش فيها ابن عادل كبار المفسرين .

المبحث الثاني : ذكرت فيه وجوه الترجيح عند ابن عادل ، وتطبيقاته عليها .

المبحث الثالث : بينت فيه نظرة أصحاب التراجم إلى ابن عادل .

الفصل الثاني : بينت فيه القيمة العلمية لتفسير ابن عادل من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : بينت فيه القيمة العلمية لتفسير ابن عادل من خلال الأهداف التي نشـــدها ومدى تحققها فيه .

المبحث الثاني : وضحت القيمة العلمية لتفسير ابن عادل من خلال معايشتي له في ثلاثـــة مطالب :

المطلب الأول : بينت فيه القيمة العلمية لتفسير ابن عادل كما ظهرت لي من خلال البحث والدراسة

المطلب الثاني : بينت الجهد التفسيري الذي بذله ابن عادل في تفسيره .

المطلب الثالث : ذكرت فيه الزيادات التفسيرية التي حواها تفسير ابن عادل .

المبحث الثالث : ذكرت فيه أثر ابن عادل في المفسرين .

الخاتمة : وهي خلاصة بأهم النتائج التي توصلت إليها .

المسارد : وتشمل :

مسرد الآيات القرآنية .

مسرد الأحاديث النبوية الشريفة .

مسرد الأعلام المترجم لهم .

مسرد المراجع والمصادر .

الباب الأول

سيرة ابن عادل

ويشتمل على فصلين

الفصل الأول : عصر ابن عادل

الفصل الثاني : حياة ابن عادل

الفصل الأول

عصر ابن عادل

المبحث الأول

الحالة الدينية

شهدت مصر والبلاد التي كان يحكمها سلاطين المماليك نشاطاً دينياً ملحوظاً يسترعي التأمل والانتباه،خاصة بعد أن أصبحت القاهرة ــ عاصمة المماليك ــ قاعدة للخلافة الإسلامية ومقصداً للمسلمين من المشرق والمغرب ، ومما يدل على هذا النشاط ما يلي :

١ ــ **القضاء على التشيع** : كان التشيع سائداً في القاهرة وفي أنحاء كثيرة من مصر والشام في أيام الفاطميين ، فقد فرضوا التشيع على الناس بالقوة والهيمنة والتسلط ، وكان الجامع الأزهر معهداً يدرس فيه المذهب الشيعي ، ولما تولى صلاح الدين الأيوبي رحمه الله الأمر أسقط الخلافة الفاطمية [1]، وبذل جهوداً كبيرة في نشر المذهب السني ــ الأشعري ــ ودعمه ، وحول الجامع الأزهر إلى معهد تدرس فيه المذاهب السنية الأربعة ، فأصبح الأزهر مقصد طلاب العلم من جميع بلاد المسلمين .

أمّا المماليك فإنهم اتبعوا سياسة واضحة للقضاء على المذهب الشيعي ، فقد قصروا التدريس في الجامع الأزهر على المذاهب السنية الأربعة ، ومنعوا تدريس غيرها من المذاهب الأخرى ، ووصل الأمر إلى أنهم ردوا شهادة غير السني ، ومنعوه من تولي الوظائف في الدولة كالقضاء والإمارة والحسبة والخطابة وغيرها ، ومع مرور الزمن تلاشى المذهب الشيعي ، ولم يعد له أي وجود في مصر وبلاد الشام ، وذلك بفضل اهتمام المماليك وحرصهم على سيادة المذاهب السنية .

٢ ــ **كثرة المنشآت الدينية** : تسابق سلاطين المماليك في إنشاء وبناء المساجد في كل بلد من البلاد التي كانت تحت سيطرتهم وحكمهم ، ولازالت المدن الكبيرة مثل القاهرة ودمشق وحلب والقدس وغيرها من المدن تمتلئ بالمساجد والجوامع الجميلة التي تنسب إلى سلاطين المماليك وما من سلطان من سلاطينهم تولى الحكم إلاّ وبادر وسارع إلى بناء المساجد والمنشآت الدينية الكثيرة ، وكان السلطان قايتباي من أكثر السلاطين اهتماماً بهذه الأمور ، فقد بنى المساجد والمنشآت الدينية الكثيرة(2) ، وبلغ من حرصهم على ذلك أنهم كانوا يباشرون العمل بأنفسهم .

---

[1] الأتابكي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ، ت 74 8 هـ : النجوم الزاهرة ، المؤسسة الأهلية للتأليف والطباعة والنشر ــ القاهرة (4/ 32) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الأتابكي : النجوم الزاهرة ..

(2) السخاوي ، شمس بن عبد الرحمن ، ت 902 هـ : الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، مكتبة الحياة ــ بيروت (206/6–208) وسيشار إليه فيما بعد هكذا السخاوي : الضوء اللامع ..

ولم تكن هذه المساجد مقصورة على الصلاة والعبادة فقط ، بل كانت معاهد ومدارس للعلم تدرس فيها العلوم الشرعية وغيرها من العلوم ، فكان يؤمها الطلاب من كل حدب وصــوب ، كالأزهر الشريف في القاهرة ، والمسجد الأحمدي في طنطا ، والمسجد الأموي فـــي دمشــق والمسجد الأقصى في القدس والمسجد الحرام في مكة ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، وغيرها من المساجد في المدن الإسلامية الأخرى .

٣ ــ **انتشار التصوف** : إن من أهم ما يميز الحالة الدينية في عصر المماليك هو انتشــار التصوف ، فبعد أن قُضي على المذهب الشيعي في مصر وسادت المذاهب السنية ، وفد علـــى مصر في القرن السابع الهجري كثير من أئمة الصوفية ومشــايخهم ، وكــان معظمـــهم مــن المغاربة والأندلسيين ، مثل الإمام أبي الحسن الشاذلي[1]وغيره ، الذين وجدوا في مصر وبــلاد الشام أرضاً صالحة وتربة خصبة لنشر مذهبهم وتعاليمهم[2]القائمة على الزهد والرغبــة عــن الدنيا طمعاً في الآخرة ، ولم يلبث هذا الأمر حتى انقسم الصوفية إلى فرق كثيرة ومتعــــددة ، لكل فرقة شيخها وشعارها ، فازدادت أعداد المقبلين على هذا اللون الجديد من ألـــوان الحيــاة الدينية ، ولم يكن الأمر مقصوراً على العامة من الناس ، بل أقبل عليه بعض السلاطين ، فقــد صحب السلطان ، قايتباي الشيخ الدشطوطي[3]، وكان له فيه غاية الإعتقاد ، وزيادة على ذلــك فقد تولى الشيخ الدشطوطي تربيته وإرشاده .

وزيادة على ذلك فقد أخذ السلاطين يدعمون هذا اللون الجديد من التدين لأنهم كانوا مــــن أتباعه ، فقاموا ببناء الخانقاوات والزوايا ، ووقف الأوقاف عليها ، والعطف علـــى الصوفيــة ومشايخهم ، من ذلك ما فعله السلطان برقوق من استدعائه عدداً من الصوفية لمدرسته الكبــيرة التي بناها بين القصرين(4) .

أقبل الشعب في عصر المماليك على التصوف إقبالاً كبيراً ، وأحبوه حباً منقطع النظــير ، فقصدوهم لمشاركتهم في أذكارهم ومجالسهم وسماع مواعظهم ، وكان من جــراء هذاالإقبـــال

---

[1] هو الإمام أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الحميد المغربي الشاذلي نسبة إلى قرية شاذلة فـــي افريقيــة ، اشــتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها ، سلك منهج التصوف وصار من أئمته ، سكن الإسكندرية، خرج من بيته بنية الحج فمــات في الطريق سنة 656هــ ، الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد بن العماد ، 1031هــ : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، مكتبة الحيــاة بيروت ــ (287/3– 279) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الحنبلي : شذرات الذهب .

[2] عاشور ، سعيد عبد الفتاح عاشور : **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك** ، دار النهضة العربية ــ بــيروت ــ (162) ،وسيشار إليه فيما بعد هكذا عاشور : المجتمع المصري .

[3] هو الشيخ عبد القادر الدشطوطي أحد مشايخ الصوفية الكبار في مصر في العصر المملوكي ، كان زاهداً عابداً شــاع ذكره في البلاد المصرية ، وكثر اتباعه ومريدوه ، منهم السلطان قايتباي توفي سنة 932 ، السخاوي : الضوء اللامــع (301-302/3) .

(4) الأتابكي : النجوم الزاهرة (234/11) .

الكبير أن انتشر الكسل وعم الخمول عند كثير من الناس الذين تستروا بـــالتصوف والصوفيـــة باسم القناعة والزهد ، والرضا بالقليل ، فعاش هؤلاء الكسالى عالة على الناس فـــي حياتـــهم ومعاشهم .

المبحث الثاني

الحالة السياسية

عاش الإمام ابن عادل في العصر المملوكي الذي حكم فيه دولتان ، دولة المماليك البحرية، ودولة المماليك البرجية ، أما دولة المماليك البحرية فيرجع سبب تسميتها بهذا الاسم إلى اختيار الصالح نجم الدين أيوب جزيرة الروضة الواقعة في نهر النيل مركزاً لهم ، وقد دام حكمهم من سنة 648 هـ إلى سنة 784هـ[1] ، وكانوا من الأتراك والخوارزم[2] ، أما دولة المماليك البرجية فيرجع سبب تسميتها بهذا الاسم لاعتناء السلطان منصور قلاوون بتربيتهم في أبراج القلعة ، وقد دام حكمهم من سنة 784هـ إلى سنة 923هـ وكانوا من الجراكسة[3] .

من المعلوم أن العصور الإسلامية بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد كانت عصور ضعف وتمزق وانقسامات ففي كل بلد أمير ، ولم يكن للخليفة إلا الاسم حسبه أن يقال له أمير المؤمنين ، وقد وصف ابن حجر العسقلاني ذلك العصر فقال : " دَخَلَت – أي سنة 801 هـ – وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الظاهر أبو سعيد برقوق ، وسلطان الروم أبو يزيد بن عثمان ، وسلطان اليمن من نواحي تهامة الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل بن المجاهد ، وسلطان اليمن من نواحي الجبال الإمام الزيدي الحسني علي بن صلاح ، وسلطان المغرب الأوسط أبو عثمان المزيني ، وسلطان المغرب الأقصى ابن الأحمر ، وصاحب البلاد الشوقية تيمور كوركان المعروف باللنك ، وصاحب بغداد أحمد بن أويس ، وأمير مكة حسن بم عجلان بن رميثة الحسني ، وبالمدينة ثابت بن نعير ، والخليفة العباسي أبو عبد الله محمد المتوكل على بن المعتضد بالله أبي بكر ويدعي أمير المؤمنين ، ونازعه في هذا الاسم الإمام الزيدي وبعض ملوك المغرب ، لكن خطيبها كان يدعو للمستعصم العباسي أحد الخلفاء ببغداد ، وكان نائب دمشق يومئذ تنم الحسني ، وبحلب أرغون شاه ، وبطرابلس آقبغا الجمالي ، وبحماة يونس القلمطاي ،وبصفد شهاب الدين بن الشيخ علي ، وبغزة طيفور "[4] .

وهذا التمزق وهذا التفرق من أعظم الأسباب وأهمها التي أدت إلى ضعف المسلمين حتى

---

[1] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت 911هـ : حسن المحاضرة ، القاهرة – مصر – 1387 هـ (24/2) وسيشار إليه فيما بعد هكذا السيوطي: حسن المحاضرة ، عاشور ، د. سعيد عبد الفتاح : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية – بيروت –(167) ، وسيشار إيه فيما بعد بسعيد عاشور: مصر والشام .

[2] شلبي ، د. أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي،مكتبة النهضة المصرية ، ط 5،1982م ، (200/5) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا شلبي:موسوعة التاريخ الإسلامي. (3) عاشور:مصر والشام(167)شلبي:موسوعة التاريخ الإسلامي(200/5).

[4] العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ت 852 هـ : إنباء الغمر بأنباء العمر ، دار الكتب العلمية – بيروت – ط 2 (2/4) بتصرف ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا العسقلاني : إنباء الغمر .

تسلط عليهم الأعداء من الصليبيين والمغول وغزوهم في عقر دارهم ، فسفكوا الدماء ، وخربوا البلاد وعاثوا فيها الفساد ، ونهبوا الخيرات .

أما بلاد الشام التي عاش فيها ابن عادل فإنها كانت تتبع سلطان المماليك البرجية في مصر التي انتقلت إليها الخلافة العباسية التي أحياها الظاهر بيبرس ، والتي لم يكن للخليفة فيها سلطة سوى الاسم فقط ، أما السلطة الحقيقية فكانت بيد المماليك .

ابتدأت دولة المماليك البرجية سنة 784 هـ حيث " خُلِع السلطان الصالح القلاووني وتسلط برقوق ولُقب بالظاهر ، وهو أول من تسلطن من الجراكسة "[1] ، وقد وُصف " بأنه أعظم ملوك الجراكسة بلا مدافعة ، وقد حكم قرابة سبع عشرة سنة "[2] .

تتابع المماليك بعده بالحكم ، وكان غالب وصولهم للحكم بالخلع والتسلط ، وكان يصحب هذا الخلع والتسلط أحياناً فتن وثورات داخلية واضطرابات ، فتعم الفوضى ، وتنتهك الحرمات، وتسلب الأموال ، ويُعتدى على الأعراض، ويفقد الأمن ، وأشهر سلاطين المماليك البرجية هم:

1 ـــ السلطان الناصر فرج : تولى الحكم بعد أبيه سنة 801هـ ، لم يكن محبوباً للرعية ، لأنه كان ظالماً لهم ، قاسياً عليهم ، كان يشرب الخمر حتى لا يكاد يثبت على الفرس من كثرة الشرب ، أدى ذلك إلى نقمة الناس عليه مما حدا بنوابه أن يعلنوا الثورة عليه وقتلوه شر قتلة سنة 815هـ[3] .

2 ـــ السلطان المؤيد شيخ محمود :تولى الحكم سنة 815هـ ، كان يحب العلماء ويجالسهم ويكرمهم ، ويعظم الشرع وحملته ، صحيح العقيدة ، قوياً شجاعاً مفرطاً في الشجاعة محباً للصلاة لا يقطعها ، شهماً عالي الهمة ،كثير الرجوع إلى الحق ، توفي سنة 824هـ[4] .

3 ـــ السلطان الأشرف برسباي: تولى الحكم سنة 825هـ،كان من أقوى سلاطين المماليك البرجية،له مناقب كثيرة أهمها فتح جزيرة قبرص،حيث وجّه إليها ثلاث حملات ، انتهت أخيراً بفتح الجيرة وأسر ملكها جانوس وجيء به إلى القاهرة [5]، توفي سنة 841 هـ .

4 ـــ السلطان أبو سعيد جقمق : تولى الحكم سنة 842هـ،كان عدلاً ديناً ، كثير الصلاة

---

[1] الحنبلي: شذرات الذهب (282/6) . (2) السابق نفسه : (7/7) .

[3] السخاوي : الضوء اللامع (٨٩/٧) .

[4] السخاوي : الضوء اللامع (309/4) ، المقريزي ، أحمد بن علي ، ت 845هـ : السلوك ، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ودار الكتب المصرية ، تحقيق د. مصطفى زيادة ود. سعيد عبد الفتاح عاشور (790/1-794)) وسيشار إليه فيما بعد هكذا المقريزي : السلوك .

[5] زقلمة، أنور:المماليك في مصر، مطبعة المجلة الجديدة ـــ القاهرة ـــ (6 7) وسيشار إليه فيما بعد هكذا زقلمة:المماليك في مصر ، الأتابكي : النجوم الزاهرة (242/14).

والصوم والعبادة ، متقشفاً لم يمشِ على سنن الملوك في كثير من ملبسه وهيئتـــه وجلوســـه ، متواضعاً ، يقوم للفقهاء والصالحين إذا دخلوا عليه ويبالغ في إكرامهم وتقريبـــهم ، ذا إلمـــام بالعلم واستحضار بالجملة لكثرة تردده على العلماء في حال إمرته ورغبته في الإستفادة منهم[1] له مناقب كثيرة منها محاولاته الثلاثة لفتح جزيرة رودس ، كان آخرها سنة 848هـــ والتـــي باءت بالفشل [2] ، توفي سنة 857هـ .

5 ـــ السلطان الأشرف إينال : تولى الحكم سنة 857هـــ ، كان عاقلاً سيوساً ، بعيداً عـــن إثارة الفتن والشرور ، شجاعاً مقداماً عارفاً بالحروب والوقائع ، متحرياً في سفك الدمـــاء[3] ، توفي سنة 865هـــ .

6 ـــ السلطان خشقدم : تولى الحكم سنة ٨٦٥هـــ ، كان محباً للخـــير ، حســـن الســـيرة والسلوك ، عاقلاً ، مهاباً ، عارفاً بالأمور ، كثير الأدب ، محباً للعلماء ويقوم احتراماً لهم ، له بعض الأعمال الخيرة منها كسوة الكعبة وإنشاء المساجد [4] ، توفي سنة 872هـــ .

7 ـــ السلطان الأشرف قايتباي : تولى الحكم سنة 872هـــ[5] كان مـــن خيـــار ســـلاطين المماليك البرجية، وافر العقل،سديد الرأي،محيطاً بالأمور، عارفاً بأحوال الرعية ، قوياً شـــجاعاً محباً للعلم وأهله، كثير العبادة والتهجد ، صاحب مناقب كثيرة فقد عمر الحجرة الشريفة والقبـــة المبنية عليها،وعمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم،وعمر بالقدس مدرسة عظيمة ،ورمم الجامع الأموي في دمشق ، وعمر مدرسة في غزة ، وعمر مسجد الخيف وساق الماء إليـــه[6] وغيرها من المناقب ، وطد الأمن وقضى على الثورات والفتن ، من أعظمها فتنة شاه ســـوار الغادري الذي خرج عن الطاعة فترة طويلة، تمكن مـــن القبـــض عليـــه ، فاطمـــأنت البـــلاد واستراحت منه،ثم شنقه هو وأخوه على بـــاب زويلة وذلك سنة 877هـــ[7] توفي 901هـــ[8] .

---

[1] السخاوي : الضوء اللامع (3/72-74) باختصار . [2] سعيد عاشور : مصر والشام (٢٦١) .

[3] السخاوي : الضوء اللامع (2/328-329) باختصار . [4] الأتابكي : النجوم الزاهرة (317/16) .

[5] العيد روسي ، عبد القادر بن شيخ عبد الله : تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، دار الكتـــب العلميـــة ـــ بيروت ـــ (16/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا : العيدروسي : النور السافر ، الشوكاني ، محمد بن علي ت 1250هـــ : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار المعرفة ـــ بيروت ـــ (56/2)وسيشـــار إليـــه فيمـــا بعـــد هكـــذا الشوكاني:البدر الطالع ، الغزي ، الشيخ نجم الدين : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، الناشر محمد أمين دمـــج وشركاه ـــبيروت ـــ (298/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الغزي : الكواكب السائرة .

[6] العيدروسي : النور السافر (17/1)وانظر الغزي: الكواكب السائرة (299/1) والشوكاني : البدر الطالع (256) .

[7] البصروي ، علي بن يوسف بن أحمد ، ت 905هـــ : تاريخ البصروي ، دار المأمون للطباعة والنشر ـــ دمشـــق ـــ ط 1 تحقيق أكرم حسن العلبي (56) وسيشار إليه فيما بعد هكذا البصروي : تاريخ البصروي .

[8] الغزي : الكواكب السائرة (300/1) وانظر الشوكاني : البدر الطالع (56/2) والعيدروسي: النور السافر (15/1) .

هذه الحالة السياسية التي كانت سائدة في عصر ابن عادل ، والتي تمثلت في الصراع بين المماليك على السلطة في مصر التي كانت مركز الحكم .

لقد عمرت دولة المماليك البرجية مائة وأربعة وثلاثين عاماً ، تعاقب فيها على الحكم والسلطنة خمسة وعشرون سلطاناً ، يمكن إجمال الحالة السياسة فيها بما يلي : -

1 ـ ساد الصراع والنزاع بين المماليك البرجية على الحكم والسلطنة ، فكان السلطان يصل إلى الحكم إما بالحيلة والدهاء والمكر والخديعة والتآمر على السلطان لاسيما إذا كان صغيراً أو ضعيفاً ، وإما بالقوة والهيمنة والتسلط واستعمال السيف ، أدى ذلك إلى سفك الدماء في بعض الأحيان ، مما أوجد جواً من الرعب والفزع والاضطراب وعدم الاستقرار في البلاد.

2 ـ لم يكن للخليفة العباسي في القاهرة الذي ـ أحيا منصبه السلطان الظاهر بيبرس سنة 659هـ بعد سقوط بغداد في أيدي المغول سنة 656هـ ـ أي مكانة وقيمة في الحكم ، مهمته ووظيفته مبايعة السلطان المملوكي وإناطة الحكم به ، فكان وجوده وجوداً صورياً ، وخلافته ليس فيها أمر ولا نهي ، حسبه أن يقال له أمير المؤمنين .

3 ـ لم يقف سلاطين دولة المماليك البرجية مكتوفي الأيدي أمام أعداء الأمة الإسلامية ، بل كانوا لهم بالمرصاد ، فقام السلطان برقوق بإعداد العدة للقاء تيمورلنك الذي احتل بغداد سنة 793هـ لكن وافته المنية قبل اللقاء،فخلفه ابنه السلطان فرج الذي أوقع بتيمورلنك الهزيمة، وفتح السلطان برسباي جزيرة قبرص سنة 829هـ وأسر ملكها الملك جانوس وجيء به إلى القاهرة ، وغزا السلطان جقمق جزيرة رودس ثلاث مرات من أجل ضمها لدولته، لكنه لم يوفق في فتحها.

4 ـ كانت بلاد الشام تشكل الجناح الأيمن لدولة المماليك البرجية والذي بدونه يتعذر عليها الاحتفاظ بمكانتها وقوتها، لذلك اهتم سلاطينها اهتماماً كبيراً ، وأولوها عناية فائقة ، لكونها تقف
سداً قوياً ومنيعاً أمام الزحف المغولي والغزو الصليبي .

5 ـ إنه على الرغم مما كان يحصل بين سلاطين دولة المماليك البرجية من صراع ونزاع على الحكم والسلطنة ، إلاّ أنهم عملوا على حصر تلك الأمور الداخلية ، بحيث لم يمكنوا أي قوة خارجية من التدخل في شئون البلاد أو العبث بمقدراتها .

المبحث الثالث

الحالة الاجتماعية

ليس من السهل أن يعيش الناس في طبقة واحدة ، وفي مستوى معيشي واحد ،لأن في ذلك مخالفة للناموس الذي خلق الله الحياة عليه وهو قوله تعالى : **(أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون)**[1]، فاستعمال الناس بعضهم بعضاً في قضاء الحوائج على أساس من الحق يجعل بينهم التآلف والتراحم ، فيكونون جسداً واحداً كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[2]، وبذلك تنتظم الحياة ، وإذا كان قضاء الحوائج والمصالح على غير ذلك تكون الحياة في قلق واضطراب ، ويعيش الناس في فوضى وعدم انتظام .

إن المجتمع الذي يعرف فيه السلطان واجبه نحو رعيته ، ويعرف المواطن واجبه نحو السلطان والآخرين بما أمر الله تعال يكون مجتمعاً صالحاً يعيش الفرد فيه آمناً على نفسه وماله وعرضه ، وإذا أهمل السلطان الرعية، وتخلفت الرعية عن طاعة السلطان ومحاسبته عم الفساد، وشاع الخوف .

عاش الإمام ابن عادل في عصر المماليك ، الذي عاش فيه السلاطين في شبه عزلة عن الرعية، مما جعلهم يقصرون في واجبهم نحو الرعية ، فترتب على ذلك أن عاش الناس في طبقية،وانقسم الناس إلى فئات متعددة ، يعيش بعضها في رغد من العيش،وبعضها الآخر يعيش في فقر مدقع،ومن خلال الدراسة يمكن تقسيم المجتمع في ذلك العصر إلى أربع فئات وهي :

الطبقة الأولى : طبقة السلاطين ومماليكهم : كان السلاطين مماليكاً قبل أن يتولوا الحكم ، لذا كان من الطبيعي أن يهتموا بمماليكهم لأنهم حماة سلطانهم وسدنة قصورهم فاهتموا بهم اهتماماً كبيراً ، واعتنوا بهم عناية فائقة ، " فكان السلطان إذا اشترى عدداً من المماليك يرسلهم إلى الأطباء لفحصهم والتأكد من سلامتهم وخلوهم من الأمراض، ثم يخصص لهم معلماً يعلمهم

---

[1] الزخرف : 32 .

[2] البخاري،محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي،ت 256هـ،صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، اليمامة ـ بيروت ـ ط 3 1407هـ تحقيق د .مصطفى ديب البغا في كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم رقم (5665) (2238/5)وسيشار إليه فيما بعد هكذا أخرجه البخاري، النيسابوري،مسلم بن الحجاج القشيري ، ت 261هـ: صحيح مسلم ،دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي في كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم(2568)(1999/4) وسيشار إليه فيما بعد هكذا أخرجه مسلم . (3)عاشور : المجتمع المصري(14).

القرآن الكريم ، والقراءة والكتابة وأحكام الدين ، فإذا كبر المملوك وأدرك سن البلوغ بُدِأ بتعليمه فنون الحرب من الرمي بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل وأنواع الفروسية[1].

بالإضافة إلى ذلك كان السلاطين يعينون لمماليكهم مؤدبين من كبار الأمراء لفحص أحوالهم ومراقبة سلوكهم ،ومعاقبة الخارج عن أحكام الدين والدنيا عقوبة صارمة ، " وكان للمؤدب سطوة ومهابة على المماليك السلطانية ، بحيث لا يجرؤ أحد أن يمر بين يديه كائناً من كان ، بحاجة أو لغير حاجة "[2]، وبلغ من اهتمام السلاطين أنهم كانوا يشرفون بأنفسهم على تربيتهم إشرافاً مباشراً ، فكان السلطان بنفسه يعاقب الخارج عن أحكام الدين والدنيا ، فقد سمع السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن أحد مماليكه شرب خمراً فأمر بضربه حتى مات[3] .

ومع هذه التربية الصارمة والرقابة الشديدة والإهتمام الزائد ، لم يضن السلاطين على مماليكهم بالأرزاق والأموال ، فكانت تُعيّن لهم الرواتب الباهظة ، وتصرف لهم المصاريف الكثيرة ، فكانوا هم وسلاطينهم يعيشون في رغد من العيش ، وسعة من المال ، وبحبوحة من الحياة على حساب الرعية التي عاش أغلبها عيشة الفقر والحرمان .

الطبقة الثانية : المعممون ، وهم أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب ، وتسميهم بعض المراجع ب"أهل العمامة "[4] ، وقد امتاز هؤلاء ـ لاسيما العلماء ـ بميزات معينة طيلة فترة حكم سلاطين المماليك ، حيث كان لهم نفوذ في الدولة ، وكانت كلمتهم مسموعة عند السلاطين ، وكان السلاطين يحترمونهم ويجلونهم ، وبلغ من السلطان برقوق أنه إذا ادخل عليه عالم أو فقير انتصب له قائماً[5]،ولم يقتصر احترام العلماء على السلاطين فحسب، بل كانت العامة تحترمهم وتحبهم وتصفهم بأوصاف تدل على ذلك ، مثل فقيه زمانه ، عالم عصره ، انتهت إليه رياسة العلم ، انتهت إليه رياسة المذهب .

هذا وقد استأثر المعممون بالوظائف الدينية والسياسة،مثل مناصب قضاء المذاهب الأربعة والحسبة والوزارة والإدارة وغيرها ن مما جعل السلاطين يغدقون عليهم الرواتب والعطايا ، فعاشوا في سعة من الرزق وبسطة في الحياة[6] .

الطبقة الثالثة : التجار ، من المعروف أن مصر والشام تقعان في موقع تجاري هام بين الشرق والغرب ، مما جعل التجارة تنشط نشاطاً كبيراً ، فكانت البضائع الهندية لا تصل إلى أوروبا إلاّ عن طريق تجار مصر وبلاد الشام ، وقد أدى ذلك النشاط إلى ثراء التجار وجعلهم

---

[1] المقريزي : السلوك (218/4) .
[2] الأتابكي : النجوم الزاهرة (288/8) .
[3] العسقلاني : إنباء الغمر (265/1) .
[4] المرجع السابق (265/1)
[5] المقريزي : السلوك (٥٢٣/٣).
[6] ليس هذا حال كل العلماء ، بل حال كل عالم أمراً من أمور الدولة ، لأن العلماء لم يكونوا بمعزل عن الأمة .

طبقة مميزة إلى حد كبير[1]، مما حدا بالسلاطين إلى تقريب هذه الطبقة منهم ، وذلك لحاجتهم إليهم في وقت المحن والشدائد ، فكانوا مصدراً مالياً لهم في الأوقات الحرجة ، فإذا لاح خطر مفاجئ ، واحتاج السلطان إلى الأموال لإعداد الجيوش ، فليس أمامه في هذه الحالة سوى التجار ليقترض منهم ما يحتاج إليه بضمان وشهود كما حدث في سنة ٧٩٦هـ (2) ، أو يفرض عليهم مبلغاً من المال ، أو يصادر قسماً منها حسب ما تمليه الحاجة ، هذا ولم يسلم التجار من تسلط بعض السلاطين في كثير من الأحيان .

الطبقة الرابعة : عامة الشعب،كانت هذه الطبقة تضم قسمين الأول الحضر والثاني البدو ، أما القسم الأول فكان يشمل الفئات التالية :

1 ــ الصناع وأرباب الحرف : كانت هذه الفئة من المجتمع تسكن المدن الكبرى مثل القاهرة ودمشق وغيرهما من المدن ، وكان لكل حرفة أهلها المختصون بها ، يحتكرونها ولا يعلّمون أحداً غيرهم على طرق صناعتها إلاّ أن يكون من أبنائهم[3]، وقد أدى هذا الإحتكار إلى زوال بعض الصناعات بموت أصحابها مثل صناعة القاشاني والحرير في مدينة دمشق ، وكان لكل لأهل حرفة رئيس أو شيخ يرأسهم ويفض مشاكلهم ، ويرجعون إليه في كل ما يهمهم لا سيما في الوساطة بينهم وبين الحكومة(4) ، وكانت هذه الفئة تعيش عيشة متوسطة الحال .

2 ــ العوام : اكتظت المدن في مصر وبلاد الشام بهذه الفئة ، وغالبهم من الباعة والسوقة والسقائين والحمالين وغيرهم ممن هم على هذه الشاكلة ، وعاشت هذه الفئة في ضيق وعسر وفقر مدقع ، فكان كثير منهم بلا بيت ولا مأوى سوى الطرقات والأزقة والأماكن المهجورة ، وكان لهذه الفئة كيان أحياناً ، خاصة إذا حصلت منافسة بين اثنين على السلطنة ، فكان الطامع في الحكم والسلطنة يلجأ إليهم ، ويتخذهم جسراً للوصول إلى ما يريد ، ووصل الأمر إلى أن يترقرق لهم و يقول أنا منكم وأنا واحد منكم وأنتم إخواننا وأصحابنا(5) .

3 ــ الفلاحون :كانوا يشكلون السواد الأعظم من المجتمع ، وعانى هؤلاء ما عاناه الناس من الفقر والحرمان،فقد كان نصيبهم في عصر المماليك في كثير من الأحيان الإهمال وعدم الاهتمام،ووصل الأمر بأن توصف مهنتهم بأنها معاش المستضعفين ويختص أهلها بالذلة[6].

عاش الفلاحون في عصر المماليك مربوطين بالأرض ليس لهم من خيراتها إلا القليل ،لأن

---

[1] عاشور : المجتمع المصري (34) . (2)العسقلاني : إنباء الغمر (365/1) .

[3] عاشور : المجتمع المصري (36) . (4)السابق .

[5] الأتابكي : النجوم الزاهرة (377/11) .

[6]- خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، ت808 هـ : مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر ــ بيروت (394) ، وسيشار إليه فيما بعد ابن خلدون : المقدمة .

الأراضي الصالحة للزراعة كانت موزعة بين السلاطين والحكام والأمراء ومماليكهم وأوقافهم

وقد وُصف الفلاحون بأنهم جهلة ومتأخرون ، ولم تسلم هذه الفئة من ثورات العربان ، وهجماتهم عليهم ، وسلب ممتلكاتهم .

أما القسم الثاني وهم البدو فقد انتشروا في صعيد مصر وبادية الشام وأنحاء متفرقة ، واعتاد هؤلاء النهب والسلب ، ينتهزون الفرص المناسبة للإغارة على القرى وأخذ غلات الفلاحين وحيواناتهم ، وقد أنف هؤلاء من الخضوع لسلطان المماليك وحكمهم ، ووصل الأمر أنهم اجتمعوا وأقاموا أحدهم حاكماً وقالوا : "نحن أصحاب البلاد ونحن أحق بالملك من المماليك، وكفى بنا أننا خدمنا بني أيوب"[1]، لكن المماليك قاتلوهم وهزموهم ، وقد ظل البدو في عصر المماليك عنواناً للإخلال بالأمن والإضرار بالنظام العام ، وسلب الممتلكات والأموال حتى إن الحجاج في بعض الأحيان لم يسلموا في طريقهم من اعتداءاتهم[2] .

وقد كانت هناك فئات تعيش في العصر المملوكي ، منها ذات الطابع الديني كأهل الذمة من اليهود والنصارى ، فكانوا يعيشون حياتهم الخاصة ، منعزلين عن المجتمع ، ومنها ذات الطابع المذهبي والقومي كالدروز والنصيريين والإسماعيلية ، والباطنية ، وهذه الفئات لم تخل ساحاتها من معارك مع المماليك كانت الغلبة فيها لسلطان المماليك ، وكانت عبئاً على المسلمين في العصر المملوكي ، وحتى الآن .

---

(1) المقريزي : السلوك (386/1) .

(2) عاشور : المجتمع المصري (40) .

المبحث الرابع

الحالة الثقافية والعلمية

كانت بغداد حاضرة الخلافة ، ومقر الحكم ، ومنارة العلم ، يقصدها العلماء من شتى بقاع العالم طلباً للعلم والمعرفة ، بقيت على هذا الحال مدة طويلة حتى احتلها هولاكو سنة 656هـ فقتل العلماء ، وسفك الدماء ، وهدم المساجد والمدارس ، وأحرق الكتب وألقاها في نهر دجلة ، فأصبحت بغداد خاوية على عروشها بعد أن كانت حاضرة الدنيا .

بعد سقوط بغداد وطمس المعالم العلمية والثقافية فيها ، لم يجد علماء بغداد والعراق بلداً إسلامياً آمناً يُوفر فيه الأمن ، وتطيب فيه الحياة سوى بلاد الشام ومصر ، وبقدوم العلماء إليهما ازدهرت الحياة العلمية فيهما ، حتى غدتا منارتين من منارات العلم والمعرفة في ذلك العصر ، وكانت لمصر الصدارة الأولى في هذا الإزدهار العلمي،ذلك بسبب إحياء السلطان الظاهر بيبرس الخلافة العباسية فيها سنة 659هـ بعد سقوطها في بغداد سنة 656هـ .

أولى سلاطين المماليك الحركة العلمية اهتماماً كبيراً ، لأنهم أدركوا أن هذا الإهتمام هو إحدى دعائم حكمهم وسلطانهم ، وبدونه لن يصلوا إلى سدة الحكم ، ويدل على ذلك ما يلي:

1 ـ **تقريبهم لأهل العلم** : كان لأهل العلم مكانة قوية في المجتمع،يحسب لها ألف حساب، وبدونها لن يصل الأمير إلى سدة الحكم والسلطنة ، مما جعل الأمير الذي يريد الوصول للحكم يستميل هذه القوة إلى جانبه ، ليكسب عن طريقها تأييد الرأي العام الذي كان يتحكم فيه العلماء وهذه الاستمالة تكمن في الإحترام والتقدير والإجلال ، وليس بالمداهنة والنفاق والحيلة .

ومظاهر احترام سلاطين المماليك للعلماء كثيرة ومتعددة ، منها التواضع لهم وزيارتهم ، والقيام لهم ، ومحبتهم ، فلا عجب أن ينزل بعض السلاطين من القلعة ليزور أحد العلماء أو يعوده في مرضه ، فإذا مات ذلك العالم حضر السلطان الصلاة عليه، وشيعه وشارك في دفنه.

وزيادة على ما ذكر ، فإن السلاطين أنفسهم كانوا طلبة علم قبل أن يصبحوا سلاطين فهذا السلطان قايتباي طلب العلم ووصل إلى مستوى علمي يؤهله لأن يطلب إجازة من الشيخ عبد القادر الدشطوطي[1]، والسلطان شيخ المحمودي الذي حدث بصحيح البخاري عن السراج البلقيني[2]بإجازة معينة[3] .

---

[1] الغزي : الكواكب السائرة (300/1) .

[2] هو شيخ الإسلام أبو حفص عمر بن رسلان الكناني الشافعي ، أحد فقهاء الشافعية ، سمع من ابن القحاح وابن عبد الهادي ، وأجاز له المزي والذهبي ، ت 805هـ ، السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل : طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط1، 1403هـ (542) . وسيشار إليه فيما بعد هكذا السيوطي : طبقات الحفاظ.

[3] السخاوي : الضوء اللامع (309/3) .

2 ـ **المدارس** : كَثُرت المدارس في العصر المملوكي،حيث بنيت في هذا العصر المدارس الكثيرة ودور الحديث والفقه في القاهرة ودمشق وفي مختلف المدن الأخرى ، وقد أحضر لها العلماء للتدريس فيها ، وكانت هذه المدارس كثيرة ، نذكر منها:

أ ـ المدرسة البرقوقية : أنشأها السلطان برقوق (784-801هـ) في القاهرة بين القصرين ، ولم يتقدم بناء مثلهافقد أتم بناءها سنة 788هـ ، وقرر أربعة من المذاهب وشيخ تفسير وشيخ إقراء وشيخ حديث،واستدعى إليها علماء المذاهب من البلاد الإسلامية وعين فيها شيخاً للصوفية ، ووقف عليها الأوقاف الجليلة من الأراضي والدور ما يسد حاجتها ، ويقوم بشئونها[1].

ب ـ المدرسة المؤيدية،أنشأها السلطان المؤيد شيخ المحمودي(815-824هـ)في القاهرة عند باب زويلة،وتعرف بالجامع المؤيدي،وذلك لقربها منه،شرع بالعمل فيه سنة 818هـ ، ولم يعمّر في الإسلام أكثرمنه زخرفة ولا أحسن ترخيماًبعد الجامع الأموي[2]،أما المدرسة نفسها فقد بوشر بالعمل فيها سنة ٨٢٠هـ[3]،ولما تم بناؤهاأحضر إليها الفقهاءوالعلماءلتدريس شتىالعلوم فيها.

ت ـ المدرسة الظاهرية الجوانية : كانت هذه المدرسة داراً لأيوب والد صلاح الدين ، اشتراها الظاهر بيبرس وبنى مكانها هذه المدرسة وذلك سنة 670هـ ، كان فيها مدرسون من الشافعية والحنفية ، بقيت غير مكتملة ، أكمل بناءها السلطان قلاوون ، كانت من خير المدارس في دمشق ، درس بها ابن الزملكاني [5] وغيره من فقهاء الشافعية .

ج ـ المدرسة الرواحية : تقع هذه المدرسة في دمشق ، بناها زكي الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة المتوفى سنة 622هـ ، وقفها على الشافعية ، وفوض تدريسها ونظرها إلى الشيخ تقي الدين إبن الصلاح الشهرزوري ، كانت مدرسة للشافعية ، وإحدى مفاخر مدينة دمشق لفترة طويلة ، تخرج منها فقهاء أعلام ومحدثون مشهورون ، وهم أكثر من أن يحصوا وكان من هؤلاء الإمام النووي [6] .

ح ـ المدرسة الأشرفية ، تقع هذه المدرسة في القدس ، بنيت في سنة 875هـ في عهد

---

(1) السخاوي : الضوء اللامع (12/3) وانظر الأتابكي : النجوم الزاهرة (240/11) والعسقلاني : إنباء الغمر (313/1) .

(2) السخاوي : الضوء اللامع (310/3) ، النعيمي ، عبد القادر بن محمد النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس،ط1، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ تحقيق إبراهيم شمس الدين (284/2) وسيشار إليه فيما بعد هكذا النعيمي : الدارس.

(3) النعيمي : الدارس (284/2) . (4) النعيمي : الدارس (632/1-265) .

(5) هو كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الشافعي ، كان فقيهاً شافعياً ، تولى التدريس في المدرسة الظاهرية الجوانية وغيرها،الحنبلي : شذرات الذهب(78/3-79) . (6) النعيمي : الدارس (199/1-203)

السلطان قايتباي،وكانت لهذه المدرسة شهرة خاصة بين مدارس القدس حيث كانت أفخمها[1]وقد وصفها مجير الدين الحنبلي[2]بقوله " كانوا يقولون قديماً:مسجد الصخرة به جوهرتان هما قبة الجامع الأقصى وقبة الصخرة الشريفة ، فقلت وهذه المدرسة صارت جوهرة ثالثة ، فإنها من العجائب في حسن المنظر ولطف الهيئة"[3]، ولما تم بناؤها عمل ناظرها سماطاً من الحلوى السكب وأطعم الخاص والعام وكان يوماً مشهوداً[4] ، وكانت المدرسة الأشرفية إحدى المدارس التي يدرس فيها العلوم الشرعية والعربية، وأوقف لها السلطان قايتباي الأبنية الكثيرة والأراضي الواسعة في غزة ومنطقة القدس[5].

خ ـ المدرسة المزهرية ، تقع هذه المدرسة في القدس، أوقفها زين الدين أبو بكر بن محمد بن محمدبن أحمدبن عبد الخالق بن مزهرالأنصاري في عهدالسلطان قايتباي[6]،وكان يدرس فيها العلوم الشرعية والعربية،كانت لها أوقاف كثيرةمنها نصف قريةبيت ساحورمن أعمال القدس[7].

والمدارس التي أنشأها المماليك كثيرة ، فقد قال عنها ابن بطوطة: "لا يحيط بها أحد لكثرتها[8]، وقد اكتفينا من المدارس بذكر ما سبق .

أما سياسة التعليم في عصر المماليك لم يكن لها طريق معينة تسير عليه ، وكل ما هنالك هو أن سلاطين المماليك قاموا ببناء المدارس والمساجد والمكاتب،مدفوعين بدافع تقوى الله ، ولاستخدامها في محاربة المذهب الشيعي ، ولتكون أداة يضمنون بها حكمهم وسلطانهم ،

---

(7) العسلي ، د. كامل جميل : معاهد العلم في بيت المقدس ، مطابع جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان 981 1 م، نشر بدعم من الجامعة الأردنية (158) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا العسلي : عاهد العلم في بيت المقدس .

(1) هو القاضي عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي ن أبو اليمن مجير الدين العمري ، ولد سنة 0 6 8هـ ، تلقى العلم على والده أولاً ثم تلقاه على أهل العلم ، له مؤلفات كثيرة الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، توفي 928هـ الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط 7، (108/5) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا الزركلي : الأعلام ، كحالة ، رضا : معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث ـ بيروت ـ (177/5)))، وسيشار إليه فيما بعد هكذا : كحالة : معجم المؤلفين ، البغدادي ، إسماعيل باشا : هدية العارفين ، طهران (٥٤٤/١) وسيشار إليه فيما بعد هكذا البغدادي : هدية العارفين .

(2) الحنبلي ، مجير الدين : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، مكتبة محمد موسى المحتسب ، عمان الأردن ، 1973م،(329/2) ، وسيشار إليه فيما بعد بالأنس الجليل . (3) الحنبلي : الأنس الجليل (329/2) .

(4) العسلي : معاهد العلم في بيت المقدس (159) وانظر الحنبلي : الأنس الجليل (188/2) .

(5) العسلي : معاهد العلم في بيت المقدس (194) وانظر الحنبلي : الأنس الجليل (37/2) .

(6) العسلي : معاهد العلم في بيت المقدس (194).

(7) ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد : رحلة ابن بطوطة ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط 4 ، 1405هـ تحقيق علي المنتصر الكتاني (7 0/1) ، وسيشار إليه فيما بعد إبن بطوطة : رحلة ابن بطوطة .

وكانت وظيفة التدريس في المدرسة جليلة القدر، ورفيعة المكانة ، يُخلع السلطان على صاحبها الخلع الجميلة[1]، ويُكتب له توقيعاً من ديوان الإنشاء ، فكان المدرس يظهر مكنون علمه للطلبة ويرعاهم كما يرعى أولاده ، وكان الطالب يتمتع بحرية اختيار المواد التي يدرسها والشيخ الذي يدرس عليه ، ويظل الطالب يحضر الدروس ــ التي اختار موضوعاتها ــ على الشيخ الذي اختاره حتى يأخذ كفايته منه ثم ينتقل إلى آخر وهكذا ، وقد أخذ الإمام السخاوي[2]العلم على أربعمائة شخص[3]، وتطلب هذه الطريقة من طالب العلم أن يجول البلاد والأقطار ليسمع من مشاهير العلماء فيها، لذلك كان مكن الأمور المألوفة في ذلك العصر أن يطوف طالب العلم بمختلف مدن العالم الإسلامي ليتتلمذ على هذا الفقيه، أو يسمع من ذاك المحدث ، فإذا أتم طالب العلم دراسته العلمية ، وأصبح أهلاً للتدريس والفتيا أجازه شيخه في ذلك ، وكتب لــه إجــازة يذكر فيها اسم الطالب ونوع العلم الذي أجازه فيه وتاريخ الإجازة، وكانت قيمة الإجازة العلمية تتوقف على مكانة الشيخ العلمية وسمعته.

لقد كان على طالب العلم أن يتوجه إلى المكاتب ــ الكتّاب ــ قبل أن يتوجه إلى المدرسة ــ المعهد أو الجامعة ــ حيث يدرس في المكتب ــ الكتّاب ــ القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، ويحفظ المتون بالإضافة إلى حفظ القرآن الكريم كله أو جزئه، ثم يتوجه بعد ذلك إلى المدرسة.

ولم يقتصر طلب العلم على المدارس وحدها، بل كانت تزاحمها المساجد والجوامع كالجامع الأزهر في القاهرة ، والجامع الأموي في دمشق والمسجد الحرام في مكة ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، وكذلك كانت هناك الزوايا التي تعلم التصوف والسلوك ، والبيمارستانات التي تعلم الطب والصيدلة.

3 ــ **المكتبات** : إن الهدف الذي من أجله أنشأت المدارس والمكاتب في العصر المملوكي هو نشر العلم وتنشيط الحركة العلمية ، ولا يتم إلاّ إذا كانت هناك ثروة مكتبية ضخمة هائلة تسانده وتزوده بالمصادر العلمية المتنوعة، لذلك ألحقت بكل مدرسة خزانة كتب يرجع إليها المدرسون والطلاب في البحث والاستقصاء[4]،ومن هذه الخزائن خزانة الكتب بالمؤيدية[5] التي حوت من الكتب والمراجع والمصادر في العلوم الشرعية واللغة العربية والتاريخ غيرها

---

[8] المقريزي : السلوك(504/1) .

[1] هو شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي،ولد 831هـ،برع في كثير من العلوم ، له مؤلفات كثيرة الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،ت 902هـ،العيدروسي:النور السافر(18) .

[2] العيدروسي : النور السافر (١٨) وانظر الحنبلي : شذرات الذهب (6/4 1) .

[3] عاشور : المجتمع المصري (145) . (4) الحنبلي : شذرات الذهب (257/4) .

من العلوم ، ولم يقتصر الأمر على المدارس والمساجد ،بل ألحقت أيضاً بالبيمارستانات[1].

ومما يؤكد اهتمام سلاطين المماليك بهذه المدارس والمكتبات وغيرها من المؤسسات العلمية هو وقفهم الأوقاف لها ، حتى تؤدي واجبها، وتقوم برسالتها، وحتى لا يكون القائمون عليها والمدرسون فيها عالة على الناس، وقد جرت العادة في ذلك العصر أن يوقف السلطان للمدرسة التي بناها أراضي وعقارات "لينفق من ريعها على مرافق المدرسة أو المكتب وعلى موظفيها من المدرسين والشيوخ، فضلاً عن طلبة العلم من ذوي المذاهب أو تلاميذ المكتب من الأيتام، حتى ينصرف الجميع إلى رسالتهم في جوّ من الاطمئنان وراحة الفكر"[2] .

في هذا الجو العلمي الذي وفر فيه سلاطين المماليك أسباب طلب العلم من مدارس ومكتبات، تهيأ المناخ لوجود عدد ضخم مكن العلماء الذين برعوا في شتى فنون العلم وأنواعه من فقه وتفسير وحديث ولغة وتاريخ، وسائر الأنواع الأخرى ، والذين أثروا المكتبة الإسلامية بالمؤلفات والمصنفات التي ينوف عددها عن الآلاف المؤلفة .

هذا وقد حفظت لنا كتب التراجم والتاريخ والمعاجم أسماء كثيرة لعلماء برعوا في شتى أصناف العلم في ذلك العصر الذي عاش في الإمام ابن عادل رحمه الله ، منهم :

سراج الدين ابن الملقن[3]وسراج الدين البلقيني والكمال بن الهمام في الفقه ، وشهاب الدين القلقشندي[4]وشمس الدين النواجي[5]في اللغة والأدب ، وتقي الدين أحمد بن علي المقريزي[6]وأبو المحاسن بن تغري بردي[7]في التاريخ ، وجلال الدين المحلي[8] في التفسير ،

---

[1] الأتابكي : النجوم الزاهرة (101/4) . (2) عاشور : المجتمع المصري (148) .

[3] هو الإمام الفقيه الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن بن علي بن أحمد الأنصاري ، ولد ٧٢٣هـ ، ، برع في الحديث والفقه ، له مصنفات منها شرح البخاري ، شرح العمدة في الفقه ، ت 804هـ طبقات الحفاظ (542) ، ابن قاضي شهبة ، أبو بكر بن أحمد بن محمد ، ت 8551هـ : **طبقات الشافعية** ، عالم الكتب ــ بيروت ــ ط ، 1، تحقيق الحافظ عبد العليم خان (46-43/4)، وسيشار إليه فيما بعد هكذا إبن قاضي شهبة : طبقات الشافعية .

[4] هو القاضي شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي الشافعي،تفقه على المذهب الشافعي ، برع في الأدب وكتب في الإنشاء وناب في الحكم ، من مصنفاته صبح الأعشى في صناعة الإنشاءت21 8 هـ،السخاوي:الضوء اللامع (8/2).

[5] هو شمس الدين محمد بن حسن بن علي النواجي الشافعي ، برع في اللغة والأدب والقراءات ، له آثار أدبية منها خلي الكميت ، ت 95 8 هـ . الشوكاني : البدر الطالع (156/2) ، السخاوي : الضوء اللامع (229/4) .

[6] هو تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ، تفقه على مذهب أبي حنيفة ثم تحول شافعياً ، برع في التاريخ وله فيه مصنفات منها السلوك في معرفة دول الملوك 845 هـ . السخاوي : الضوء اللامع (2/21-5 2) .

[7] هو جمال الدين أبو المحاسن بن الأمير تغري بردي ، تفقه على الإمام البلقيني في الفقه الشافعي ، حبب إليه التاريخ فلازم مؤرخي عصره منهم المقريزي والعيني ، له مصنفات في التاريخ منها النجوم الزاهرة ت 84 7هـ . السخاوي : الضوء اللامع (8/305-08 3) .

[8] هو محمد بن أحمد بن محمد جلال الدين المحلي الشافعي ، ولد 91 7هـ ، برع في فنون العلم فقهاً وكلاماً وأصولاً ونحواً ، له مصنفات كثيرة أجلها تفسير القرآن وصل فيه إلى آخر سورة الإسراء، وقد أتمه الإمام السيوطي إلى آخره=

وأحمد بن علي بن حجر العسقلاني وأحمد بن العراقي في الحديث ، وغير هؤلاء الكثير من العلماء الذين عاشوا في هذا القرن الذي عاش وتوفي فيه الإمام ابن عادل ، مما يدل على النهضة العلمية والثقافية التي سادت في ذلك العصر .

- ويعرف بتفسير الجلالين ، ت 864هـ ، الأدنروي ، أحمد بن محمد : **طبقات المفسرين** ، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ، ط1، 1997م ، تحقيق سليمان بن صالح الخزي (336-337) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الأدنروي : طبقات المفسرين .

الفصل الثاني

حياة ابن عادل

المبحث الأول

مولد ابن عادل واسمه ونسبه ووفاته

مولده : تذكر كتب التراجم والمعاجم عادةً عند الكتابة عن أي عالم أو عَلَم أو عين تـــاريخ ولادته ومكانها ، تحديداً أو تقديراً ، حسب المعلومات التي توفرت للكاتب عن هذا العالم أو العَلَم أو العين ، حتى تكون الترجمة واضحة ، والمعلومات دقيقة .

بعد الرجوع إلى كتب التراجم والمعاجم التي ألفت في عصر ابن عــادل (1) ، وبعــده بفــترة قصيرة(2)، لم تذكره ، ولم تكتب عنه شيئاً، وقد ذكرته الكتب التي ألفت بعده بفترة طويلة(3)،وذكرته أيضاً الكتب الحديثة والمعاصرة(4) ، والكتب التي ذكرته لم تترجم له إلاّ اليسير ، ولم تذكر عنــه إلاّ القليل،ولم تذكر مولده تحديداً أو تقديراً ، وذكر بعض من ترجم له و كتب عنه أنه فرغ من تفسير سورة طه في 15رمضان سنة 880هــ(5) ، وذكر آخر أنه فرغ من تأليفه ــ أي اللباب في علــوم الكتاب ــ في رمضان سنة ٨٧٩هــ(6) ، ويعزى جهل تاريخ مولده كما يغلب على ظني إلى أمرين:

الأول : أن الإمام ابن عادل لم يكن معروفاً لدى المؤرخين والمترجمين الذين كانوا في عصره ربما يعود ذلك إلى انزوائه عن الناس ، وتركه مخالطتهم حباً في العلم والعبــادة ، أو عــدم حبــه للشهرة والسمعة كما هو حال كثير من أهل العلم الذين سبقوه .

الثاني : قلة المصادر والمراجع التي ترجمت له ، وتأخرها عن عصره، فقد كتبت بعده بفــترة والذي يترجم لمن سبقه يعتمد في ترجمته على التراجم التي سبقته ، أو على مؤلفاتــه ، ومؤلفــات الإمام أبي حفص لم تذكر مولده .

وقدبحثت في كل الكتب التي ترجمت له أوكتبت عنه فلم أعثرعلى تاريخ مولده تحديداً أوتقريباً.

اسمه ونسبه : هو الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل سراج الدين الدمشــقي الحنبلــي النعماني(7) .

---

(1) مثل الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للحافظ السخاوي المتوفى سنة 902هــ وطبقات المفسرين للسيوطي .

(2) مثل وطبقات المفسرين للداودي المتوفى سنة945هــ .

(3) مثل طبقات المفسرين للأدنروي المتوفى سنة 1033هــ ، وكشف الظنون لحاجي خليفة المتوفى 1067هــ .

(4) مثل الأعلام للزركلي ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة ، ومعجم المفسرين لعادل نويهض .

(5) الزركلي : الأعلام (58/5) . (6) البغدادي:هدية العارفين(٧٩٤/١) كحالة: معجم المؤلفين(300/4).

(7) حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هــ : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،مكتبة المثنى ــ بغداد (749/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا حاجي خليفة : كشف الظنون ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربــي ، ترجمــة أ. د محمود فهمي حجازي بالتعاون مع الدكتور حسن محمود إسماعيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (66/8 4) وسيشار-

أبو حفص : كنيته ، تكنى بها مثل إمام كان يكني نفسه بكنية يحبها ، فالإمام النـــووي تكنـــى بأبي زكريا ، وابن تيمية تكنى بأبي العباس ، وغيرهما من الأئمة .

سراج الدين : لَقَبٌ لُقِّب به كسائر الأئمة ، فقد لُقِّب الإمام ابن تيمية بشيخ الإسلام ، ولُقِّب العز بن عبد السلام بسلطان العلماء ، وكل لقب كان يُلقب به أي عالم إنما كان لميزة كـــانت فيـــه ، أو لموقف أو حدث هامين في حياته ، ولقبه هذا ربما كان لسعة علمه وتبحره في العلـــم ، أو لحاجـــة الناس له ولعلمه .

الدمشقي : هذه النسبة إلى مدينة دمشق ، وهي إحدى مدن بلاد الشام المشـــهورة ، وإحـــدى حواضر العالم الإسلامي على مر التاريخ ، ينسب إليها خلق كثير لا يحصون[1] ، وينســـب إليـــها كثير من أهل العلم الذين تعلموا فيها ، أو سكنوها .

الحنبلي : هذه النسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه صـــاحب المذهـــب الفقـــهي المعروف ، كان زاهداً ، راوياً للحديث ، ولد سنة 164هـ وتوفي سنة 241هـ[2] وهو أشهر مـــن أن يترجم له ، أو يعرَّف عليه .

النعماني[3] : هذه النسبة إلى بلدة النعمانية ، وهي بليدة على دجلة من بغداد وواسط ، وإليـــها ينسب جماعة من أهل العلم ، كان يسكنها غلاة الشيعة[4] ولعل الإمام ابن عادل سكنها فـــترة مـــن الزمن فنسب إليها .

وفاته : ذكرت سابقاً أن المصادر والمراجع التي ترجمت لإبن لم تذكر تاريخ ولادته تحديداً ، أو تقديراً ، وكذلك لم تذكر تاريخ وفاته تحديداً ، أو تقديراً ، وكل ما ذكرت تلك المصادر والمراجع أنه كان حياً سنة 879هـ وذهب إلى ذلك المؤرخ رضا كحالة و البغدادي[5]، بينما ذهب الزركلـــي و وبروكلمان أنه كان حياً سنة 880هـ[6] .

إليه فيما بعد هكذا بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، نويهض ، عادل: **معجم المفسرين**، مؤسســـة نويـــهض الثقافيـــة للتأليف والطباعة والنشر ــ لبنان(389/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا نويهض : معجم المفسرين .

[1] الجزري ، عز الدين بن الأثير : **اللباب في تهذيب الأنساب** ، مكتبة المثنى ــ بغداد ــ (508/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب .   [2] المرجع السابق (394/1) .

[3] هذه النسبة ذكرها البغدادي في هدية العارفين(794/1)ورضا كحالة في معجم المؤلفين (300/7)ولم يذكرها غيرهما .

[4] ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب (317/3) ، الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، ت 626هـ : **معجم البلـدان** ، دار الفكر ــ بيروت (294/5) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الحموي : معجم البلدان .

[5] كحالة : معجم المؤلفين (300/7) .

[6] بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (466/6) ، الزركلي : الأعلام (58/5) .

المبحث الثاني

نشأة ابن عادل العلمية

اقتضت السنن الكونية أن يتلقى طالب العلم علمه عن أساتذته ومعلميه ، وذلك لأن الإنسان يولد جاهلاً لا يعلم شيئاً ، وعندما خلق الله آدم عليه السلام علّمه ما يصلح شأنه وحياته ، وأودع فيه خاصيّة تلقي العلم وتعليمه ، قال تعالى : (**وعلم آدم الأسماء كلها**)[1] لأنه خليفة في الأرض،قال تعالى : (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**)[2]، والاستخلاف في الأرض لابد له من علم ، فكان الإستخلاف والعلم أمرين متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر .

وكل نبي بعثه الله تلقى علمه عن الله بوساطة الوحي جبريل عليه السلام ، ليبلغ رسالة الله إلى الناس ، وتلقى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم عن الله تعالى بوساطة جبريل عليه السلام ، قال تعالى : (**وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين،على قلبك لتكون من المنذرين**)[3] ، وكان أول ما تلقاه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الوحي هو العلم والقراءة قال تعالى : (**إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم**)[4]، وتلقى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعلموا وعملوا ،وعلموا من بعدهم تأسياً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه "[5]، وتلقى التابعون العلم عن الصحابة رضوان الله عليهم ، ثم تلقى تابعوهم العلم عنهم ، وهكذا صار كل جيل يتعلم عن من قبله ويعلم من بعده إلى يومنا الحاضر .

وبالرجوع إلى كتب التراجم والمعاجم والسير والأعلام التي ترجمت للإمام ابن عادل ، لم أعثر على شئ من نشأته العلمية ، التي تتضمن أسماء شيوخه في كل فن من فنون العلم التي أبدع فيها ، ولا عن رحلاته في طلب العلم وتحصيله ، ولكن مثل هذا العالم المتبحر في علم التفسير

---

[1] البقرة : ٣١ .
[2] البقرة : 30 .
[3] الشعراء : 192-194 .
[4] العلق : 1-5.

[5] الشيباني ، أحمد بن حنبل ، ت 241هـ : مسند أحمد ، مؤسسة قرطبة ــ مصر (437/1) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا أخرجه أحمد ، السجستاني ، سليمان بن الأشعث ، ت275 هـ : سنن أبي أبو داود ، دار ابن حزم ــ بيروت ــ ط1 تحقيق عزت عبيد الدعاس في كتاب العلم باب فضل نشر العلم رقم (3660) (46/4) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا أخرجه أبو داود ، ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني ، ت275 هـ : سنن ابن ماجه ، دار الفكر ــ بيروت ــ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، في المقدمة باب من بلغ علماً رقم (230) (84/1) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا أخرج ابن ماجه ، الترمذي ، محمد بن عيسى ، ت279 هـ : سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ تحقيق أحمد شاكر وآخرون في كتاب العلم باب ما جاء في الحث على السمع رقم (2565) (33/5) وقال أبو عيسى هذا حديث حسن ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا أخرجه الترمذي .

ودقائقه ، وسائر العلوم الأساسية لهذا العلم و المساعدة،لا يخرج من نتاج نفســـه فحسب،بل لابــد من أنه أخذ العلم وتلقاه عن المشايخ الذين سبقوه ، وتأثر بهم ، وتفسيره المسمى باللباب في علـــوم الكتاب[1] الزاخر والحافل بالعلوم المتعددة ، والمعارف المتنوعة ، واللطائف التفسيرية ، يشير إلــى أنه لازم أهل العلم الكبار وصحب المشايخ العظام زمناً طويلاً حتى أخرج تفسيره بـــهذه الصـــورة العلمية العظيمة .

وإذا لم تذكر كتب التراجم والمعاجم والسير والأعلام مشايخ الإمام ابن عادل ، فإنها من بـــاب أولى أن لا تذكر تلاميذه ومريديه ، فهو عالم لا يبخل بعلمه على أحد ، فقد كان مصباحـــاً لأهــل عصره في كل العلوم التي أبدع فيها ، و خير شاهد على هذا اللقب الذي لُقِّب به " سراج الديـــن " الذي لا يلقب به إلاّ عالم نهل من علمه التلاميذ والأتباع ، وصحبه طلاب العلم ، واحتـــاج عامـــة الناس إلى علمه وفتاويه .

وشأن الإمام ابن عادل شأن كثير من أهل العلم المغمورين الذين لم تُذكر مشايخهم وتلاميذهم ، وهذا أمر لا يعيبهم ، ولا ينقص من قدرهم ومكانتهم العلمية ، فإن كتبهم القيمة شاهدة على ذلـــك ، وإذا كان الإمام ابن عادل قد ترجم له ، فإن هناك علماء لم يترجم لهم ، وكتبهم القيمة مخطوطة إلى الآن بدون ذكر أسمائهم ، حسبهم أنهم خدموا العلم وأهله ، قاصدين من ذلك رضى المولى سـبحانه وتعالى عنهم .

---

[1] طبع هذا التفسير لأول مرة سنة 1419هـ ــ 1998م في دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ بتحقيـــق الشـيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض . وسيشار إليه فيما بعد باللباب .

المبحث الثالث

مذهب ابن عادل وعقيدته

مذهبه : المذاهب الفقهية الإسلامية[1] كثيرة ، منها ما حُرِّرت أصولـــها ،وقُعِّــدت قواعدهـــا كالمذاهب الأربعة ، الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ، وقد ألف أتباعـــها المؤلفــات الكثـــيرة والمصنفات المتعددة ، التي تبحث في أصولها وفروعها ، ومنها لم تُحَـــرَّر أصولـــها ولـــم تُقَعــدّ قواعدها، وهي كثيرة جداً ، فقد الكثير منها ، وبعضها مازال مبعثراً في ثنايا الكتب ، كمذهب الليث بن سعد[2]، وغيره .

فالإمام ابن عادل وإن كان إماماً في التفسير ، فإنه كان فقيهاً حنبلياً على قدر عال مـــن الفقـــه الحنبلي ، فقد كان في مذهبه الفقهي امتداداً لمدرسة آل قدامة المقدسيين ، وامتداداً لمدرسة آل تيمية الحرانيين ، اللتين كانتا عمدة الفقه الحنبلي ، والذي يدل على أنه كان حنبلي المذهب ما يلي :

أولاً : نسبته إلى المذهب الحنبلي : ورد ت هذه النسبة في ترجمته ، فقد ذكرت الكتب التـــي ترجمت له بأن اسمه أبو حفص عمر بن علي بن عادل سراج الدين الحنبلي الدمشـــقي ، ونســبة الحنبلي إنما تكون نسبة للإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب الفقهي المعروف[3] ولكل من تمذهب بمذهبه تأليفاً وتقليداً ، وشأن هذه النسبة إلى المذهب الحنبلي شأن باقي النسب إلى المذاهب الفقهيـــة الأخرى ، كالنسبة للمذهب الحنفي والمالكي والشافعي وغيرها .

ثانياً : حاشيته على المحرر في الفقه الحنبلي للإمام مجد الدين بن تيمية رحمـــه الله ، وهـــذا الكتاب ــ المحرر ــ من الكتب المعتبرة في المذهب الحنبلي ، حيث يقول صاحبه في مقدمتـــه: " فهذا كتاب في الفقه على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه هذبته مختصراً ، ورتبته محرراً حاوياً لأكثر المسائل ، خالياً من العلل والدلائل واجتهدت في إيجاز لفظه ...... "[4] .

عقيدته : أغلى ما يملك الإنسان في حياته هو عقيدته ، فبها يعرف حقيقتـــه، ومنـــها ينطلـــق للعمل، وفي سبيلها يبذل الغالي والنفيس ، ومن أجلها يحيى ويعيش ، وليس هناك عقيدة صحيحة إلاّ

---

[1] أعني بها المذاهب السنية ، لأن المذاهب الإسلامية الأخرى ليس لها صلة بالبحث .

[2] هو الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري ، أحد الأئمة العظـــام ، روى عـــن الزهـــري وعطاء وغيرهم ، وعنه ابنه شعيب وابن المبارك وغيرهم ، كان فقيهاً عظيماً من فقهاء الإسلام ، سخياً جواداً ، طيـــب النفس سمحاً ، توفي سنة 175هـــ .السيوطي:طبقات الحفاظ (101-102 1) ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد ابن محمدت 681هـــ : **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** ، دار الثقافة ــ بيروت ــ 1968م تحقيق د. إحسان عبـــاس (127/4) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن خلكان : وفيات الأعيان . (3) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب (94/1 3) .

[4] الحراني،عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية : **المحرر في الفقه** ، مكتبة المعـــارف ــ الريـــاض ــ 1 404هـــ الطبعة الثانية ، (1/1) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا الحراني : المحرر .

عقيـــدة الإسلام ، لأنها من عند الله تبارك وتعالى .

عدَّ بعض الباحثين المعاصرين الإمام ابن عادل من الأشاعرة [1] حيث يقول : " الذي يظـــهر من خلال تفسير ابن عادل لآيات الصفات أنه مؤول لها على طريقة الأشاعرة "[2]، الذين يقولـــون بالتأويل في الصفات ، وهذه أمثلة من تفسيره تدلل على ذلك :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى:(**غير المغضوب عليهم**)[3]قال : " والغضب ثوران دم القلب إرادة الإنتقام ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : " اتقوا الغضب فإنه جمرتتوقد في قلب ابن آدم ، ألم ترَ إلى انتفاخ أوداجه وحُمرة عينيه "[4]،وإذا وُصف به الباري ــ تبارك وتعالى ــ فالمراد به الإنتقـــام لا غيره "[5].

4 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقـــها**)(6) بين معنى الحياء ، ثم بين المراد من نسبته إلى الله تعالى ، فقال :" واستعماله هنا في حق الله مجاز عن الترك، وقيل مجاز عن الخشية لأنها أيضاً من ثمراته "[7].

5 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**)(8) بين المراد من نسبة الوجه إلى الله تعالى ، فقال : "أي ويبقى الله ، فالوجه عبارة عن وجود ذاته سبحانه وتعالى "(9) .

4 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا**)(10) بين المعنـــى المراد من قوله " بأعيننا " ، فقال : " أي بحفظنا وكَلَئَنا ، كان معه من الله حُفَّاظاً يكلأونه بعيونـــهم لئلاَ يُتَعَرَّض له ولا يُفْسَد عليه عمله "[11] .

لم يقف الأمر عند هذا الأمر ، بل تجاوزه ، فقد نفى مجموعة الصفات ، جمعها فـــي تفســـير سورة الفاتحة ، فقال : " إعلم أنه ورد في القرآن ألفاظ دالة على صفات لا يمكن إثباتها في حق الله تعالى ، ونحن نعد منها صوراً :

فإحداها : الاستهزاء : قل تبارك وتعالى : (**الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم**)(12) ثم إن

---

(1) الباحث هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي .

(2) المغراوي،محمد بن عبد الرحمن:المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات،مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ و دار الفرقان ــ عمان ــ ط 1 1420هـ ــ(1113/3)وسيشار إليه فيما بعد هكذا المغراوي:المفسرون بين التأويل والإثبات.

(3) الفاتحة : ٧ .

(4) طرف من حديث طويل أخرجه أحمد (61/3) ، الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء ما أخبر النبي صلى الله عليـــه وسلم بما هو كائن إلى يوم القيامة رقم (2191) (483/4)وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

(5) ابن عادل : اللباب (225/1) .

(6) البقرة : 26 .

(7) ابن عادل : اللباب (460/1) .

(8) الرحمن : 27 .

(9) ابن عادل : اللباب (324/18) .

(10) المؤمنون : 27 .

(11) ابن عادل : اللباب (197/14) .

(12) البقرة : 15 .

الإستهزاء جهل لقول موسى عليه الصلاة والسلام حين قالوا : **(أتتخذنا هزواً قال أعـــوذ بـــالله أن أكون من الجاهلين)**[1] .

وثانيها : المكر ، قال الله تعالى : **(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)**[2] .

وثالثها : الغضب ، قال الله تعالى : **(غضب الله عليهم)**[3].

ورابعها : التعجب ، قال الله تعالى : **(بل عجبت ويسخرون)**[4] فمن قرأ "عجبتُ" بضم التـــاء كان التعجب منسوباً إلى الله ، والتعجب : عبارة عن حالة تعرض في القلب عنـــد الجـــهل بســـبب الشيء المُتَعَجَّب منه .

وخامسها : التكبر ، قال الله تعالى : **(العزيز الجبار المتكبر)**[5]وهو صفة الذم .

وسادسها : الحياء :، قال الله تعالى : **(إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً)**[6] والحياء عبـــارة عن تغيير يحصل في القلب والوجه عند فعل شيء قبيح "[7] .

---

(1) البقرة : 67 .
(2) آل عمران : 54 .
(3) المجادلة : 14 .
(4) الصافات : 12 .
(5) الحشر : 23 .
(6) البقرة : 26 .
(7) ابن عادل : اللباب (154/1) بتصرف .

المبحث الرابع

آثار ابن عادل العلمية

كان الإمام ابن عادل أحد علماء عصره الذين أقبلوا على العلم ، وأفنوا حياتهم في تحصيله ، وباعوا الدنيا ليأخذوا بالحظ الوافر من تركة الأنبياء لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ورثّوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[1]ولم يكن أخذهم لهذه التركة من قبيل الترف الفكري ، أو الشهرة والسمعة ، إنما كان طاعة لله سبحانه وتعالى وإخلاصاً له .

وكان نتيجة لهذا الحرص وإخلاص النية لله فيه أن تفجرت عيون معارفهم ، وانطلقت الحكمة من أفواههم ، وتدفقت محصلاتهم العلمية بالمؤلفات العلمية ، والمصنفات الكثيرة في شتى ميادين العلم وفروعه ، التي لا زالت تشهد لهم بذلك .

والإمام ابن عادل : واحد من هؤلاء العلماء ، الذين ورثوا حظاً وافراً من تركة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، بيد أن الله قد خصه بخدمة كتابه الكريم ، فبرع في التفسير وتفرد فيه على أقرانه وأهل عصره ، وآثار الإمام ابن عادل العلمية التي وصلت إلينا هي :

أولاً : اللباب في علوم الكتاب[2] ، وقد بقي هذا الكتاب مخطوطاً حتى عام 1419هـ حيث طبع لأول مرة بتحقيق الشيخين عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، وقد ضمناه رسالتين علميتين ، الأولى للدكتور محمد سعد رمضان حسن ، كانت تحقيق قسم من هذا التفسير ، من سورة مريم الآية (95) إلى آخر سورة القصص ، والثانية للدكتور محمد المتولي دسوقي حوب وكانت تحقيق قسم آخر من هذا التفسير ، من سورة العنكبوت إلى آخر سورة القمر، وقد حصل كل واحد منهما على الدكتوراة [3] .

---

[1] أخرجه أحمد (196/5) ، أبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم رقم (641 3) (4/39-40) ، ابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم رقم (٢٢٣) (٨١/١) .، الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل العلم على العبادة رقم (2682) (48/5)، وقال أبو عيسى : ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة ، وليس إسناده عندي متصل .

[2] ذَكر نسبة هذا الكتاب لابن عادل الأدنروي : طبقات المفسرين (18 4) حاجي خليفة : كشف الظنون (1543/2) ، البغدادي : هدية العارفين (794/1) كحالة : معجم المؤلفين (300/4) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (466/8) الزركلي:الأعلام (58/5) نويهض:معجم المفسرين (398/1).

[3] ابن عادل:اللباب مقدمة التحقيق (72/1) .

ثانياً: حاشية على المحرر في الفقه الحنبلي ، لشيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام ابن تيمية[1] وهذا الكتاب ـــ المحرر ـــ هو أحد كتب الفقه الحنبلي المعتبرة ، أما حاشية ابن عادل عليـــه فمـــا زالت مخطوطة[1] تنتظر من يبحث عنها ويحققها لينتفع بها الناس .

ويرجع السبب في قلة مؤلفات ابن عادل ـــ والله أعلم ـــ هو انشغاله في تأليف كتابه اللباب في علوم الكتاب ، الذي ربما شغل الكثير من وقته وحياته .

---

(1) هو الإمام مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد علي بن تيميـــة الحرانـــي الحنبلي ، الفقيه المقرئ الأصولي المحدث المفسر ، جد شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية ، له مؤلفـــات كثيرة منها : منتقى الأخبار ، المحرر في الفقه ، منتهى الغاية في شرح الهداية ، ملتقى الأحكام وغيرهـــا . الحنبلـــي : شذرات الذهب (258/3) ، حاجي خليفة : كشف الظنون (1816/2) .

[2] ذكر هذه الحاشية الزركلي في الأعلام حيث قال : (قال صاحب الأزهار الطيبة النشر ـــ خ ـــ لــــه حاشـــية علـــى المحرر في الفقه (58/5) . وقد بحثت عن هذا المؤلف المخطوط ـــ الأزهار الطيبة النشر ـــ في كتب التراجم والمعـــاجم والمؤلفين فلم أعثر له على ذكر حتى كتابة هذا البحث .

الباب الثاني

المدخل إلى دراسة منهج ابن عادل

ويشتمل على فصلين

الفصل الأول : مصادر ابن عادل في التفسير

الفصل الثاني : طريقة ابن عادل في التفسير

الفصل الأول

مصادر ابن عادل في التفسير

تمهيد : لا يكون العالم عالماً من تلقاء نفسه ، فقبل أن يكون عالماً ، كان متعلماً تلقى العلم عمن سبقوه ، ولا يكون المؤلف مؤلفاً ، ولا يبدع في تآليفه حتى يرجع إلى ما كتبه السابقون في شتى أنواع العلوم ، ويجعلها مصادر في كتاباته ومؤلفاته .

والهدف من معرفة المصادر ودراستها هو الكشف عن ينابيع العلم الصافية التي استقى المفسر منها علومه ، لأنها أحد العناصر التي لها دور هام ورئيس في تكوين منهج المفسر ، فدراستها تساعد على فهم منهجه وتوضيحه .

والإمام ابن عادل أحد أولئك العلماء الذين تلقوا العلم عن سابقيه ، أخذاً وتحملاً ، وحمله إلى غيره عطاءً وأداءً ، إضافة إلى ما كان يتمتع به من قريحة متوقدة ، وذكاء كبير ، جعلته يبحث وينقب في بطون الكتب ، فيأخذ ما طاب له ، كالنحل يرتاد الزهور فيرتشف ما طاب له من رحيق ، وعلى قدر تنوع الزهور التي يرتادها يأتي رحيقه شراباً مختلفاً طعمه وشرابه .

لقد تعددت المصادر التي استقى منها ابن عادل ، واختلفت مشاربها ومنابعها ، وتعددت طرقها وتنوعت مناهجها ، ومن خلال مطالعة تفسيره ودراسته تبين لي أنها تنوف عن الثلاثمائة مصدر ومرجع ، و ذكرها جميعاً يجعل البحث طويلاً ، لذلك اقتصرت على أهم المصادر في كل نوع من العلوم التي رجع إليها ، واستقى منها المعلومة ، وقد جعلت هذا الفصل يدور حول هذه الأمور التالية :

1 ـ أهم مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن .

2 ـ أهم مصادره من كتب السنة والسيرة .

3 ـ أهم مصادره من كتب الفقه والأصول والعقائد .

4 ـ أهم مصادره من كتب النحو واللغة .

1 ــ أهم مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن

أولاً – كتب التفسير :

1 ــ **تفسير الطبري** : يعد تفسير الطبري من أجل كتب التفسير بالمأثور وأعظمها ، وجعله ابن عادل من أهم كتب التفسير التي رجع إليها ، وكان رجوعه إليه بالتصريح حيناً ، وبدون التصريح حيناً آخر ، فمن المواضع التي صرح بالعزو فيها ، عند تفسيره لقوله تعالى : **(وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً)**[1] يقول : " روى ابن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله بعث نبياً إلى أهل قرية ، فلم يؤمن به من أهل القرية إلاّ عبد أسود ، ثم إنهم حفروا للرسول بئراً وألقوه فيها ، ثم طبقوا عليه حجراً ضخماً ، وكان ذلك الرجل الأسود يحتطب ويشتري له طعاماً ، ويرفع الصخرة ويدليه إليه ، فكان ذلك ما شاء الله ، فاحتطب يوماً ، فلما أراد أن يحملها وجد نوماً فاضطجع ، وضرب الله على أذنه تسع سنين ، ثم هب واحتمل حزمته ، واشترى طعاماً وشراباً ، وذهب إلى الحفرة فلم يره أحد ، وكان قومه قد استخرجوه فآمنوا به وصدقوه ، وكان ذلك النبي يسألهم عن الأسود ويقول لهم : إنه أول من يدخل الجنة "[2][3].

2 ــ **معالم التنزيل للبغوي** : يعد تفسير البغوي من التفسير بالمأثور الذي اعتمد عليه ابن عادل ورجع إليه في تفسيره،وكان يصرح بالعزو إليه حيناً ولا يصرح حيناً آخر، فمن المواضع التي صرح فيها بالعزو ، عند تفسيره لقوله تعالى : **(قال بل فعله كبيرهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون)**[4]قال : قال البغوي : والأصح أن إبراهيم عليه السلام أراد بذلك الفعل إقامة الحجة عليهم ، فذلك قوله : "فاسألوهم إن كانوا ينطقون" حتى يخبروا من فعل ذلك بهم ، لما روى أبو

---

[1] الفرقان : (38) .

[2] ذكر هذا الحديث ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية فقال : وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن كعب مرسلاً ، وفيه غرابة ونكارة ولعل فيه إدراجاً والله أعلم . ابن كثير ، إسماعيل بن كثير القرشي ، ت774هـ : **تفسير القرآن العظيم** ، دار المعرفة ــ بيروت ــ (319/3) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن كثير : تفسير القرآن . أقول : وهذا مخالف لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ثم إني لأول الناس من تنشق الأرض عن جمجمته يوم القيامة ولا فخر ، وأعطى لواء الحمد ولا فخر ، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر....) أخرجه أحمد (1 44/3) .

[3] الطبري ، محمد بن جرير ، ت 311هـ : **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، دار الفكر ــ بيروت ــ 1405هـ (15-14/19) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الطبري : جامع البيان ،ابن عادل : اللباب (43/14 5) ، وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولو نزّلناه على بعض الأعجمين)** الشعراء : 198 أنظر ابن عادل : اللباب (83/15)وعند تفسيره لقوله تعالى:**(إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون)** يس : 8 . انظر ابن عادل : اللباب (172/16) .

[4] الأنبياء : 63 .

هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لم يكذب إبراهيم ــ عليه السلام ــ إلا ثلاث كذبات ، ثنتان منهن في ذات الله قوله : إني سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم كبيرهم هذا ، وقوله لسارة هذه أختي"[1][2] .

3 ــ **تفسير المحرر الوجيز لإبن عطية** : يعد تفسير المحرر الوجيز من التفسير بالمأثور الذي اعتمد عليه ابن عادل ورجع إليه في تفسيره،وكان يصرح بالعزو إليه حيناً،ولا يصرح حيناً آخر ، فمن المواضع التي صرح فيها بالعزو عند تفسيره لقوله تعالى : **(إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)**(3) قال : ذهب أكثر المفسرين ومنهم ابن عباس إلى أن فاعل يرفع هــو ضمير الكلم الطيب،أي العمل الصالح يرفع الكلم الطيب،إلا أن ابن عطية منع هذا عن ابن عباس وقال:"لا يصح لأن مذهب أهل السنة أن الكلم الطيب مقبول وإن كان صاحبه عاصياً "[4] .

4 ــ **تفسير الوسيط للواحدي** : يعد تفسير الوسيط للواحدي من التفسير بالمــأثور الــذي اعتمد عليه ابن عادل ورجع إليه في تفسيره ، وكان يصرح بالعزو إليه حيناً ، ولا يصرح بــه حيناً آخر ، فمن المواضع التي صرح بالعزو فيها عند تفسيره لقوله تعالى : **(يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً ولاهم ينصرون)**(5) قال: "قال الواحدي : المراد بقوله : مولىً عن مولىً الكفــار لأنه ذكر بعده المؤمن ، فقال : "إلاّ من رحم الله " ــ قال ابن عباس رضي الله عنهما ــ يريــد المؤمن فإنه يشفع له الأنبياء والملائكة[6].

5 ــ **تفسير القرآن العظيم لابن كثير** : يعد تفسير ابن كثير من التفسير بالمأثور الذي اعتمد

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى : **(واتخذ الله إبراهيم خليلاً)** رقم (179 3) (1225/3) ومسلم في كتاب الفضائل باب فضل إبراهيم عليه السلام رقم (371 2) (1840/2) .

[2] البغوي ، الحسين بن مسعود ، ت516هــ : **معالم التنزيل**، دار المعرفة ــ بيروت ــ تحقيق خالد العك ومروان سوار، ابن عادل : اللباب (543/13) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإن منكم إلا واردها)** مريم : 1 7 انظر ابن عــادل : اللباب (119/13) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(إلا لنعلم من يؤمن بها ممن هو منها في شك)** سبأ : 1 2 انظــر ابــن عادل : اللباب (35/16) . (3) فاطر: 10 .

[4] ابن عادل اللباب (111/16) ، ابن عطية ، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ، ت 41 5هــ : **المحرر الوجيز فــي تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط 1 ، دار الكتب العلميــة ــ بــيروت 1993م (431/4) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن عطية : المحرر الوجيز ، وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(كتب عليكم إذا حضر أحدكــم الموت)** البقرة : 180 أنظر ابن عادل : اللباب (232/3) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(ألم نشرح لك صدرك)** الشــرح : 1 أنظر ابن عادل : اللباب (396/20) . (5) الدخان : 41 .

[6] ابن عادل:اللباب(329/16) الواحدي، علي بن محمد ، ت468 هــ:**الوسيط**،دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (91/4) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الواحدي:الوسيط ،وكذلك عند تفســيره لقولــه تعالى:**(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)** النحل : 26 1 أنظر ابن عادل : اللبــاب (188/12) وعند تفسيره لقوله تعالى:**(وأنبتنا عليه شجرة من يقطين)**الصافات :46 1 أنظر بن عادل:اللباب(347/16).

عليه ابن عادل ورجع إليه ، وكان يصرح بالعزو إليه حيناً ولا يصرح به حيناً آخـــر ، فمــن المواضع التي صرح بالعزو فيها عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا زكريا إنا نبشرك بغــلامٍ اســمه يحيى)**[1] قال : "في الكلام اختصار كثير ،تقديره : استجاب الله دعاءه ،فقال: "يا زكريا إنا نبشرك بغلام" : بولد ، ويقال : زكرياء " بالمد والقصر " ، ويقال : زكرى أيضاً ، نقله ابن كثير[2] .

6 ــ **تفسير النكت والعيون للماوردي** : يعد تفسير الماوردي من التفسير بالرأي المحمـود، وقد اعتمد عليه ابن عادل في تفسيره ورجع إليه ، فكان يصرح بالعزو إليه حيناً ، ولا يصــرح به حيناً آخر ، فمن المواضع التي صرح بالعزو فيها عند تفسيره لقوله تعالى : **(هل أتى علــى الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً منكوراً)**[3] قال : "وحكى الماوردي عن ابن عبـــاس : أن الحين المذكور هاهنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره "[4].

7 ــ **الكشاف للزمخشري** : يعتبر تفسير الكشاف من التفسير بالرأي المذموم ، لما حــوى من الإعتزاليات المنكرة ، التي عيب عليه فيها ، ومع ذلك فإنه في مقدمة التفاسير التي عنيــت بالنظم والبلاغة واللغة والإعراب واللطائف التفسيرية ، وهو مصدر هام لابن عادل ، وقد أفــاد ابن عادل من الكشاف واصطحبه من أول تفسيره إلى آخره ، وتأثُر ابن عادل بالزمخشري يبدو واضحاً في مجالات الإعراب واللغة والبلاغة واللطائف التفسيرية ، وتأثَّر أيضاً به في طريقــة عرضه للمسالة أو القضية التي يثار حولها التساؤل ، فمن ذلك عند تفسيره لقوله تعـــالى : **(ولا تخزني يوم يبعثون)** قال : قال الزمخشري : "الإخزاء من الخزي ، وهو الهوان ، ومن تخزنــي الحياء"[6] ، وهذه الآية تدل على أنه لا يجب على الله شئ "[7] .

---

[1] مريم : 7 .

[2] ابن عادل : اللباب (16/13) ، ابن كثير :تفسير القرآن (113/3) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(إذ قال لهم شعيب ألا تتقون)** الشعراء: 177 أنظر ابن عادل:اللباب (75/15) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(واضرب لهم مثلاً أصحاب القريــة إذ جاءها المرسلون)** يس : 13 أنظر ابن عادل : اللباب (182/16) . (3) الإنسان : 1 .

[4] ابن عادل:اللباب : (5/20) ، الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب ، ت 450هـ : النكت والعيون ، دار الكتب العلمية بيروت ــ (162/6) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الماوردي:النكت والعيون،وانظر العز بن عبد الســلام ، عزالديــن عبـد العزيز ت 660هـ : تفسير القرآن، دار ابن حزم ــ بيروت ــ ط 1 1416هـ تحقيق د. عبـــد الله الوهيبـــي (398/3) وسيشار إليه فيما بعد هكذا العز بن عبد السلام : تفسير القرآن،وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)**الصف: 8 انظر ابن عادل: اللباب (57/19) وعند تفسيره لقوله تعالى: **(مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم)** القلم:12-13 أنظر ابن عادل:اللباب(278/19). (5) الشعراء : 87 .

[6] الزمخشري،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، ت 538 هـ : **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيــون الأقــاويل فــي وجوه التأويل** ، دار المعرفة ــ بيروت ــ (117/3-118) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا الزمخشري: الكشاف .

[7] ابن عادل : اللباب (48/15) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(وكذلك زيّن لكثــير مــن المشــركين قتــل أولادهــم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون)** الأنعام : 137 أنظر ابن عــادل :

8 ــ **مفاتيح الغيب للرازي** : يعد تفسير الرازي من التفسير بالرأي المحمود ، وقد أدخل فيه من العلوم العقلية والمعارف المتعددة ، مما جعل بعضهم يقول : حوى كل شئ إلاّ التفسير ، والأصح أن يُقال : "إن تفسير الرازي فيه كل شئ مع التفسير"[1] ، وقد تأثر ابن عادل تأثراً كبيراً ، خاصة في الأمور الإعتقادية والرد على الفرق الضالة ، مما جعله يصطحبه في تفسيره من أوله إلى آخره ، فهو ينقل عنه فصولاً كاملة ،حتى لا يكاد يمر على آية إلاّ ويذكر قوله فيها، وإذا أراد أن يعزو إليه النقل قال : قال ابن الخطيب ، فمن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)**(2) قال : قال ابن الخطيب : " السبب فيه أن مثل هذا الترتيب يبتدأ فيه بالأدنى ثم يترقى إلى الأشرف ، فيقال : لا يعجبني أمر الأمير ولا أمر الوزير ، وهذا يدل على أنه كان إعجاب أولئك الأقوام بأولادهم فوق إعجابهم بأموالهم ، وفي هذه الآية يدل على عدم التفاوت بين الأمرين عندهم"[3] .

9 ــ **الجامع لأحكام القرآن للقرطبي** : يعتبر تفسير القرطبي من التفسير بالرأي المحمود، وهو من المصادر الهامة التي رجع إليها ابن عادل في تفسيره ، فقد صحبه في معظم تفسيره ، خاصة في الأمور التي لها علاقة بالأمور الفقهية ، وقد عده بعض العلماء من تفاسير الفقهاء[4] ، وكان يصرح بالعزو إليه حيناً ، ولا يصرح به حيناً آخر ، فمما صرح به عند تفسيره لقوله تعالى : **(عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً)**(5) ذكر معنى الثيب والبكر ، وما هو التبديل المعني به في الآية ثم قال : قال القرطبي : "وهذا إما يمشي على قول من قال : إن التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن في الدنيا زوجه في الآخرة خيراً منهن ، والله أعلم "[6]

اللباب (457/8) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان)** القصص : ٢٣ أنظر ابن عادل : اللباب (235/15).

[1] عباس،د. فضل حسن : إتقان البرهان ، دار الفرقان عمان ، ط1 1997م (271). وسيشار إليه فيما بعد هكذا عباس : إتقان البرهان .

(2) التوبة : 85 .

[3] الرازي ، محمد عمر فخر الدين ، ت ٦١٦هـ : **مفاتيح الغيب** ، دار الفكر ــ بيروت ــ ط 1، 1981م (158/16) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الرازي : مفاتيح الغيب ، ابن عادل : اللباب : (65/10 1) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد)** البقرة : 6 1 انظر ابن عادل : اللباب (113/2-114) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)** البقرة : 93 1 انظر ابن عادل : اللباب (342/3-43 3) .

[4] الذهبي، د. محمد حسين : التفسير والمفسرون ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ (57/2 4). وسيشار إليه فيما بعد هكذا الذهبي : التفسير والمفسرون .

(5) التحريم : 5 .

[6] القرطبي،أبو عبد الله محمد بن أحمد ت671 هـ :الجامع لأحكام القران، دار الكتب المصرية ــ القاهرة ــ (314/19)=

10 ــ **البحر المحيط لأبي حيان** : يعد تفسير ابن عطية من التفسير بالرأي المحمود ، وقد ابـن اصطحبه ابن عادل في تفسيره واعتمد عليه ، خاصة في الأمور اللغوية والنحوية، وكان يصرح بالعزو إليه حيناً ، ولا يصرح حيناً آخر، فمما صرح به عند تفسيره لقوله تعالى : **(قلن حـاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلاّ ملك كريم)**(2) ذكر أقوال النحاة في " حاش " هل هي فعل أم حـرف ؟ ثم ذكر قول أبي حيان فقال :" قال أبو حيان : وما ذكر أنها تفيد التنزيه في باب الاستثناء ، غير معروف عند النحويين ، لا فرق في قولك قام القوم إلاّ زيداً ، وقام القوم حاشا زيد "(3) .

11 ــ **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي** : يعد كتاب الدر المصون من الكتب الهامة التي اعتمد عليها ابن عادل ورجع إليها ، وقد اصطحبه في تفسيره من البداية حتى النهاية، وكان يصرح بالعزو إليه غالباً ويذكر لقبه"ابن شهاب الدين"ولا يصرح أحيانـاً، فمـن المواضع التي صرح فيها بالعزو عند تفسيره لقوله تعالى:**(يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون)**(4)ذكرأقوال النحاةفي إعراب "متاع" ثم ذكر قول السمين فقال:"قال شهاب الدين:وإذا جُعِل بدلاً على ضعفه، فمن أي قبيل البدل يُجعل ؟ والظاهر: أنه بدل اشتمال ، ولا بد من ضمير محذوف حينئذ ، أي متاع الحياة الدنيا لها "(5) .

هذه أهم وأشهر التفاسير المشهورة التي رجع إليها واعتمد عليها ، وجعلها مصادر هامـة لتفسيره ، وهناك تفاسير أخرى كثيرة رجع إليها أيضاً ، لكنها ليست مشهورة كهذه التفاسيـر كتفسير البرهان للحوفي(١) وتفسير التحبير والتحبير لابن النقيب(6).

= وسيشار إليه فيما بعد هكذا القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(ما ننسخ من آيـة أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)** البقرة : 106 أنظر ابن عادل : اللباب (375/2) .

(3) أبو حيان ، محمد بن يوسف ، ت745هـ : البحر المحيط ، دار الفكر ــ بيروت ــ بعناية الشيخ عرفات العشا حسونة (265/6) وسيشار إليه فيما بعد هكذا أبو حيان: البحر المحيط،ابن عادل : اللباب(6/11 8)وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(أمدكم بأنعام وبنين)** الشعراء:133 انظر ابن عادل : اللباب (61/15)وعند تفسيره لقوله تعالى: **(فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة)** الطلاق: 1 انظر ابن عادل : اللباب (147-146/19). (4) يونس : 23 .

(5) السمين ، أحمد بن يوسف ، ت 56 7هـ : **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** ، مطبعة دار القلـم ــ دمشـق ــ تحقيق أحمد الخراط (20/4)وسيشار إليه فيما بعد هكذا السمين: الدر المصون، ابن عادل : اللباب (298/10) وكذلك عنـد تفسيره لقوله تعالى: **(ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء)** النحل:9 8انظر ابن عادل:اللباب (140/12)وعند تفسيره لقوله تعالى : **(ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار)** الأعراف :3 4 انظر ابن عادل : اللباب (118/9) .

(١) هو الإمام أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي،له مؤلفات منها تفسيره "البرهان " توفي سنة 430هـ . الداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ، ت 945 هـ : **طبقات المفسرين** ، مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ تحقيق علي محمد عمر (82-381/1 3) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الداودي : طبقات المفسرين، حاجي خلفة : كشف الظنون (446/1) .

(2) هو محمد بن سليمان بن الحسن جمال الدين أبوعبد الله المعروف بابن النقيب ، كان زاهداً عابداً ، أفنى حياته في تأليف تفسيره " التحرير والتحبير " توفي سنة ٦٩٨هـ . الداودي : طبقات المفسرين (45-144/2 1) .

ثانياً : كتب علوم القرآن

علوم القرآن الكريم كثيرة ومتعددة ومتنوعة ، وقد ألفت فيها المؤلفات الكثيرة ، ولا غنى عنها لمن يقبل على تفسير كتاب الله تبارك وتعالى ، لأنها تعينه على فهم دقائق التفسير ولطائفها، والغوص في معاني القرآن ، وبدونها يبقى التفسير خداجاً ، ولن تُؤتى الثمرة المرجوة منه ، ولن تُنال الغاية المقصودة منه .

وعالم كابن عادل يقبل على تفسير كتاب الله تبارك وتعالى ، لا بد وأن يكون قد ألم بكثير من هذه العلوم ، وأخذ بقسط وافر منها ، يشهد له بذلك رجوعه إلى المصنفات التي أُلفت في هذه العلوم ، التي كان يصرح بذكر بعضها ، وعدم ذكر بعضها الآخر .

أما المصنفات التي كان يصرح بذكرها فكان يعزو إليها حيناً ، ولا يعزو إليها حيناً آخر ، ومن أهم هذه المصادر والمصنفات التي رجع إليها ، واعتمد عليها ما يلي :

1 ــ كتب الوجوه والنظائر

الكتب التي ألفت في هذا العلم من علوم القرآن كثيرة ، وقد اعتمد في رجوعه إلى هذا العلم على كتاب واحد هو " **وجوه القرآن** " لأبي العباس المقرئ[1]، حيث اصطحبه في تفسيره ، واستفاد منه ، وكان يصرح بالعزو إليه غالباً ، وقلما لا يصرح به ، ومن المواضع التي صرح بالعزو فيها عند تفسيره لقوله تعالى:(**الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون**)[2] عقد فصلاً في أوجه لفظ الظن قال فيه : " قال أبو العباس المقرئ : ورد "الظن" في القرآن بإزاء خمسة معان:

الأول : بمعنى "اليقين" ، كهذه الآية ، ومثله : (**إني ظننت أني ملاق حسابيه**) (3) ، ومثله: (**الذين يظنون أنهم ملاقوا الله**)[4] .

الثاني : بمعنى "الشك" ، قال الله تعالى : (**إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين**) (5) .

الثالث : بمعنى "حسب" ، قال الله تعالى : (**إنه ظن أن لن يحور**)[6] أي حسب ألا يرجع ، ومثله (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعلمون) (7) .

---

(1) هو الإمام أحمد بن علي بن محمد أبو العباس المقرئ ، قرأ على جعفر بن على الهمداني ، وسمع من عبد العزيز الحروف،ت 640هـ ـ ابن الجزري،أبو الخير محمد ، ت 33 8هـ:**غاية النهاية في طبقات القراء** ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ نشره ج برجسترلسر ط 3 1982م (1/83-91)وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن الجزري : غاية النهاية، وهذا الكتاب مخطوط في المتحف البريطاني ضمن المجموع : 229 1، ذكره محمد عبد الكريم عبد الراضي في مقدمته لكتاب النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ، ولا يزال مخطوطاً ينتظر من يحققه .

(2) البقرة : 46 .

(3) الحاقة : 20 .

(4) البقرة : . 249 .

(5) الجاثية : 32 .

(6) الانشقاق : 14 .

(7) فصلت : 22 .

الرابع : بمعنى "الإنكار" ، قال الله تعالى :**(وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا)**[1] ،أي إنكارهم .

الخامس : بمعنى "الجحد" ، قال الله تعالى : **(وما ظن الذين يفترون على الله الكذب)**[2] أي وما جحدهم "[3] .

2 ـ **كتب القراءات**

كان ابن عادل مولعاً بالنحو والإعراب ، فلا يمر على آية إلا ويتعرض في تفسيرها للنحو والإعراب ، وهذا أمر يتطلب الرجوع إلى القراءات المتواترة منها والشاذة ، لأن لها علاقة بالنحو والإعراب ، فكان يذكر القراءات المتواترة والشاذة إذا أراد التوسع في ذلك ، حسب ما يراه مناسباً لتفسير الآية .

أ ـ **مصادر القراءات المتواترة** : اعتمد ابن عادل في هذا النوع من المصادر على كتاب **الحجة للقراء السبعة** لأبي علي الفارسي[4] ، حيث كان يعزو إليه في مواضع كثيرة منها عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)**[5] ذكر القراءات الواردة في هذه الآية،فقال : " قرأ الجمهور[6] "بالغداة " هنا وفي " الكهف " وابن

---

[1] ص : 27 .　　　　[2] يونس : 60 .

[3] ابن عادل : اللباب (26/2) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر)** العنكبوت : 29 انظر ابن عادل : اللباب (344/15) . وعند تفسيره لقوله تعالى : **(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله)** آل عمران : 52 انظر ابن عادل : اللباب (256/5) .

[4] هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي الفارسي ، صاحب التصانيف الكثيرة منها : التذكرة والحجة وغيرها ، ت 370هـ . ابن النديم : الفهرست (95) .

[5] الأنعام : 52 .

[6] الجمهور هم :

1 ـ نافع بن عبد الرحمن الليثي مولاهم ، المقرئ المدني ، قرأ على أبي جعفر القارئ ، وشيبة بن نصاح ، ومسلم بن جندب ، وغيرهم ، وعليه إسماعيل بن جعفر ، وورش وقالون ، وغيرهم ت 169 هـ . الذهبي ،محمد بن أحمد بن عثمان ، ت478هـ : **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط 1 1404هـ تحقيق شعيب الأرناءوط وآخرون (107/1-111) . وسيشار إليه فيما بعد هكذا الذهبي : معرفة القراء الكبار .

2 ـ الكسائي ، علي بن حمزة الكسائي ، قرأ على حمزة الزيات وعيسى بن عمر الهمداني وغيرهما وعليه أبو عمرو الدوري وقتيبة بن مهران وغيرهما ت 189هـ . الذهبي : معرفة القراء الكبار (120/1-128) .

3 ـ عاصم بن أبي النجود الكوفي ، قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش الأسدي وغيرهما وعليه حفص بن سليمان والأعمش والمفضل الضبي وغيرهم ت127هـ .الذهبي : معرفة القراء الكبار (88/1-94) .

4 ـ حمزة بن حبيب بن عمارة ، قرأ على الأعمش وجعفر الصادق وابن أبي ليلى وغيرهم وعليه الكسائي وسليم بن عيسى وعبد الرحمن بن أبي حماد وغيرهم ت 156هـ .الذهبي : معرفة القراء الكبار (111/1-116) .

5 ـ أبو عمرو بن العلاء قرأعلى مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وغيرهم وعليه يحيى بن المبارك اليزيدي وعبد الله بن المبارك وهارون بن موسى وغيرهم ت 154هـ الذهبي : معرفة القراء الكبار (100/1-105) .

عامر [1] "بالغُدْوة " بضم الغين وسكون الدال وفتح الواو في الموضعين [2] "[3] ، ثم ذكر توجيه الفارسي لهذه القراءات فقال : " وقال الفارسي : الوجه قراءة العامة " بالغداة " لأنها تستعمل نكرة ومعرفة باللام ، فأما " غُدْوة " فمعرفة " [4][5] " .

ب ــ **مصادر القراءات الشاذة** : كما عني ابن عادل بذكر القراءات المتواترة ، عني أيضا بذكر القراءات الشاذة ، وكان أكثر رجوعه في القراءات الشاذة إلى كتابين ، هما :

1 ــ **المحتسب لإبن جني**[6]:وهو كتاب قيم،من أحسن ما أُلِّف في توجيه القراءات الشواذ[7]،وقد اصطحبه ابن عادل في تفسيره واستفاد منه في كثير من المواضع منها عند تفسيره لقوله تعالى:**(وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء)**[8] ذكر قراءة ابن مسعود وتوجيهها لابن جني،فقال:"وقرأ ابن مسعود : "من الغيط"[9]وفيه قولان : أحدهما : وإليه ذهب ابن جني : أنه مخفف من " فَيْعَل" ، كهَيْن، ومَيْت في هَيِّن ، وميِّت "[10] .

---

6 ــ عبدالله بن كثير المكي ، قرأعلى عبدالله بن السائب المخزومي ومجاهد ودرباس مولى ابن عباس وغيرهم وعليه أبو عمرو بن العلاء وشبل بن عباد ومعروف بن مشكان وغيرهم ت120 هـ الذهبي:معرفة القراء الكبار (1/86-88).

[1] هو عبد الله بن عامر اليحصبي ، أخذ القراءات عرضاً على أبي الدرداء وعلى المغيرة بن شعبة ، وعليه يحيى الذماري ويحيى بن الحارث وغيرهما ن ت 118هـ . الذهبي : معرفة القراء الكبار (1/82-86) .

[2] الفارسي ، أبو علي الحسن بن عبد الغفار ، ت370هـ : **الحجة للقراء السبعة** ، دار المأمون للتراث ــ دمشق ــ بيروت ــ 1407هـ ط1 تحقيق بدر الدين القهوجي وبشير جويجاتي (3/318) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الفارسي : الحجة ، ابن الجزري ، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، ٨٣٣هـ : **النشر في القراءات العشر** ، دار الكتب العلمية ــ بيروت (2/260) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن الجزري : النشر ، الواسطي ، عبد الله بن عبد المؤمن ، ت 740هـ : **الكنز في القراءات العشر** ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ تحقيق هناء الحمصي (153) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الواسطي : الكنز . (3) ابن عادل : اللباب (8/161) .

[4] الفارسي : الحجة (3/319) ابن الجزري : النشر (2/304) ، الواسطي : الكنز (183) .

(5) ابن عادل : اللباب (٢٩٥/٨) . وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تفترون)** الأنعام : 94 انظر ابن عادل : اللباب (8/300) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون)** النحل : 2 6 انظر ابن عادل : اللباب (12/95) .

[6] هو الإمام أبو الفتح بن جني الموصلي،ذو التصانيف الجليلة المشهورة،أخذ العربية على أبي علي الفارسي من أحسن ما صنع "الخصائص"، ت392هـ،الفيروزأبادي،محمد بن يعقوب،ت817هـ:**البلغة في تراجم أهل أئمة اللغة** ، جمعية إحياء التراث الإسلامي،الكويت 1407هـ ط١،تحقيق محمد المصري (141) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الفيروزأبادي : البلغة .

(7) الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، ت794هـ : **البرهان في علوم القرآن** ، دار المعرفة ــ بيروت ــ تحقيق عبد الرحمن مرعشلي وآخرون (1/489) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الزركشي : البرهان .

(8) النساء : ٤٣ .

[9] ابن جني،أبو الفتح عثمان،ت392هـ:المحتسب،دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط 1 1998م،تحقيق محمدعبدالقادر عطا(1/292)وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن جني:المحتسب.

[10] ابن جني: المحتسب (1/292)،ابن عادل:اللباب (6/400) ، وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(قل صدق الله فاتبعوا=**

2 ـ **مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه**[1] : يعتبر مختصر الشواذ لابن خالويه من الكتب الهمة التي رجع إليها ابن عادل ، واعتمد عليها في تفسيره ، وقد أشار إليه في مواضع متعددة ، منها عند تفسيره لقوله تعالى : **(قل إنما أنذركم بالوحي ولا يَسْمَعَ الصُّمُّ الدعاء إذا ما ينذرون)**[2] ذكر القراءات المتواترة في "يسمع" ، ثم ذكر القراءة الشاذة فيها ، فقال : " وقرأ الحسن كقراءة ابن عامر[3] إلا أنه بياء الغيبة ، وروى عنه ابن خالويه : "ولا يُسْمَعُ"[4] بياء الغيبة مبنياً للمفعول "الصُّمُّ" رفعاً "الدعاءَ" نصباً "[5] .

3 ـ **أسباب النزول** : اهتم ابن عادل بهذا النوع من علوم القرآن اهتماماً كبيراً ، فلا تكاد تمر آية ولها سبب نزول إلا ويتعرض لذكره ، لكنه لم يذكر المصدر أو المصادر التي رجع إليها في ذلك ، وعند قراءة أسباب النزول التي ذكرها تبين أن المصدر الذي كان يرجع إليه هو **أسباب النزول للواحدي** ، ومن المواضع التي ذكرها عند تفسيره لقوله تعالى:**(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف)**[6] ذكر أن سبب نزول هذه الآية هو : " قال الأشعث بن سوار : توفي أبو قيس وكان من صالحي الأنصار ، فخطب ابنه امرأة أبيه ، فقالت: إني أعُدُّك ولداً وأنت من صالحي قومك ، ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأمره ، فأتته فأخبرته ، فأنزل الله هذه الآية "[7] .

= **ملة إبراهيم حنيفاً)**آل عمران : 95 أنظر ابن عادل : اللباب (395/5) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(وكأيِّن من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله)** آل عمران : (146) أنظر ابن عادل : اللباب (580/5) .

[1] هو الحسين بن أحمد بن خالويه ، إمام في اللغة والعربية والقراءات ، له مصنفات كثيرة منها "إعراب ثلاثين سورة " و"الحجة في القراءات" وغيرها ، ت370هـ.السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر ت911هـ **بغية الوعاة** ،دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ 1964م تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم(529/1)وسيشار إليه فيما بعد هكذا السيوطي:بغيةالوعاة.

[2] الأنبياء : 45 .

[3] قراءة ابن عامر:" تُسْمِعُ" ونصب "الصُّمَّ" .ابن الجزري : النشر(323/2).

[4] ابن خالويه : الحسين بن أحمد ، ت370هـ : **مختصر في شواذ القرآن** ، مكتبة المتنبي ـ القاهرة ـ (4 9) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن خالويه : المختصر .

[5] ابن عادل : اللباب (508/13) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى:**(قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى)** طه : 18 انظر ابن عادل : اللباب (212/13) وعند قوله تعالى : **(قد أفلح المؤمنون)** المؤمنون : 1 انظر ابن عادل : اللباب (165/14) .

[6] النساء : 22 .

[7] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (161/7) والطبراني في الكبير (39322) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (2/7) وقال : رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف وانظر الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد ، ت 468هـ : **أسباب النزول** ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط 2 1387هـ (84) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا الواحدي : أسباب النزول ، وانظر السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت 11 9هـ : **لباب النقول في أسباب النزول** ، دار إحياء العلوم ـ بيروت ـ ط 8 1414هـ (66) وسيشار إليه فيما بعد هكذا السيوطي : لباب النقول ، ابن عادل : اللباب (270/6) .

2 ـ مصادره من كتب السنة والسيرة

أولاً ـ كتب السنة :السنة النبوية من المصادر الأساسية والهامة لتفسير القرآن الكريم، لأن من البدهي أنه لا أحد أعلم بتفسير كتاب الله من الذي أنزل عليه ، ألا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى: **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون)**[1].

ومعرفة المفسر لتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ضروري ، كي لا يتقدم تفسيره على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يخالفه ، وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي من الله تعالى ، وجب على المسلمين اتباعه والأخذ به .

زخر تفسير ابن عادل بالكثير من الأحاديث النبوية الشريفة ، منها ما صرح بعزوها إلى مصدرها أو مصادرها من كتب السنة ، ومنها ما لم يصرح بعزوها وهي السمة الغالبة ، والمصادر التي عزى إليها الأحاديث التي صرح فيها بالعزو ما يلي :

1 ـ صحيح البخاري :

صرح بالعزو إليه في مواطن قليلة ، منها :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا تزر وازرة وزر أخرى)**[2] ذكر في معرض أن الإنسان يعاقب بفعل غيره فقال:وفي صحيح البخاري : "الميت يعذب في قبره بما نيح عليه"[3] .

ب ـ عند تفسيره لسورة الإخلاص ذكر أحاديث في فضائلها فقال : روى البخاري عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً سمع رجلا يقرأ :" قل هو الله أحد " يرددها ، فذكر ذلك له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"[4][5].

2 ـ صحيح مسلم :

صرح بالعزو إليه في مواضع قليلة منها :

---

(1) النحل : 44.　　　(2) الإسراء : 15 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما يكره من النياحة رقم (1230) (434/1) مسلم في كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله رقم (927) (639/2) قال النووي في شرح مسلم : " أنكرت ذلك عائشة ـ رواية عمر وولده عبد الله ونسبتهما إلى النسيان والإشتباه عليهما ، وأنكرت أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك واحتجت بقوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) الإسراء:15، وقالت:إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم في اليهودية في حال بكاء أهلها لا بسبب البكاء ، واختلف العلماء في هذه الأحاديث فتأولها الجمهور على من وصى بأن يبكى عليه يناح بعد موته ..) النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين ، ت 676هـ : **شرح النووي على صحيح مسلم** ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ 1392هـ ـ ط2 (228/2) وسيشار إليه فيما بعد هكذا النووي : شرح مسلم ، ابن عادل : اللباب (230/12) .

(4) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب فضل "قل هو الله أحد" رقم (4726) (1915/4) ، مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب "فضل قل هو الله أحد" رقم(811) (639/2).

(5) ابن عادل : اللباب (560/20) .

أ ــ عند تفسيره قوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**)[1] تكلم ابن عادل عن سبب تسمية شهر رمضان بهذا الإسم فقال : إنه وافق مجيئه في الرمضاء ــ وهي شدة الحر ــ فسمي هذا الشهر بهذا الاسم : إما لارتماضهم فيه من شدة حر الجوع أو مقاساة شدته ، كما سموه تابعاً ، لأنه كان يتبعهم فيه إلى الصيام ، أي : يزعجهم لشدته عليهم ، وقال عليه الصلاة والسلام : " صلاة الأوابين حين ترمض الفصال " أخرجه مسلم[1] ، ورمض الفصال إذا حرَّق الرَّمضاء أخفافها ، فتبرك من شدة الحر "[2] .

ب ــ عند تفسيره لسورة الإخلاص ذكر أحاديث في فضائلها فقال : وروى مسلم عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ، فيختم ب " قل هو الله أحد " ، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " سلوه لأي شئ يصنع ذلك ؟ " فسألوه : فقال : لأنها صفة الرحمن ، فأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أخبروه أن الله يحبه"[3][4] .

وقد يشير إليهما بعبارة متفق عليه قليلة منها :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى**)[5] ذكر أحاديث تدل على أن الإنسان يعاقب بفعل غيره ، وذكر رواية عائشة رضي الله عنها التي ردت فيها هذه الأحاديث فقال : أنكرت عائشة وغيرها ذلك ، وقالت لما ذُكِر لها حديث ابن عمر : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، أما إنه لم يكن ليكذب ولكنه نسي أو أخطأ ، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يُبكى عليها فقال : " إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها"[6] متفق عليه[7] .

ب ــ عند تفسيره لسورة المسد ، ذكر أحاديث في فضلها ، فقال : وروى البخاري ومسلم

---

[1] البقرة : 185 .

[1] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال رقم (48 7) (515/1) ، أحمد (366/4) وانظر ابن عبد البر ، أبو يوسف عمر بن عبد الله ، ت 63 4هــ : التمهيد ، الناشر وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية ــ المغرب ــ 1387هــ تحقيق مصطفى بن أحمد علوي ومحمد عبد الكبير البكري (144/8) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن عبد البر : التمهيد .

[2] ابن عادل : اللباب (276/3) .

[3] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب فضل قل هو الله أحد رقم (940 6) (2686/6) مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضل قل هو الله أحد رقم (813) (557/1) .

(4) ابن عادل : اللباب (566/20) .

[5] النجم : 39-40 .

[6] أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه رقم (1227) (433/1)مسلم في كتاب الجنائزباب الميت يعذب ببكاءأهله عليه رقم (23 9)(643/2).

(7) ابن عادل :اللباب(230/12) .

عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : لما نزلت : (**وأنذر عشيرتك الأقربين**)[1] خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهتف : يا صباحاه ، فقالوا : من الـــذي يــهتف ؟ قــالوا : محمــد ،فاجتمعوا إليه ، فقال :" يا بني فلان يا بني فلان ، يا بني عبد مناف ، يا بني عبد المطلـــب" ، فاجتمعوا إليه ، فقال : "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل ، أكنتـــم مصدقـــي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً ، : " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " فقال أبو لهب : تباً لـــك، أما جمعتنا إلاّ لهذا ؟ فنزلت السورة "[2]"[3] .

3 ــ صحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه :

صرح بالعزو إلى هذه المصادر مجتمعة في مواضع قليلة جداً ، منها عند تفســيره لقولـــه تعالى: (**إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة**)[4] ذكر أقوال الفقهاء في العدد الذي تنعقد به الجمعـــة وأقوالهم في اجتماع الجمعة والعيد ، وقال : وفي صحيح مسلم : عن النعمان بن بشير قـــال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة (**سبح اسم ربك الأعلـــى**)[5] و(**هل أتاك حديث الغاشية**)[6]قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضـــاً فـــي الصلاتين"[7] أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه[8] .

4 ــ سنن أبي داود وابن ماجه :

صرح بالعزو إلى هذين المصدرين مجتمعين في مواضع قليلة جداً منها عند تفسيره لقولـــه تعالى : (**فأرسلنا عليهم الطّوفان والجراد والقُمّل والضّفادع والدّم آيات مُفصّــلات فاســتكبروا وكانوا قوماً مجرمين**)[8] عقد فصلاً في النهي عن قتل الضفدع ، ثم ذكر ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحريم قتلها ، فقال : "وروى أبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة قال :

---

(8) الشعراء : 214 .

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب سورة تبت يدا أبي لهب وتب رقم(687 4) (1902/4) ، مســـلم فـــي كتـــاب الإيمان باب وأنذر عشيرتك الأقربين رقم (208) (193/1) . (2) ابن عادل : اللباب (550/20) .

(3) الجمعة : 9 . (4) الأعلى : 1 .

(5) الغاشية : 1 .

(6)أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب مايقرأ في صلاة الجمعة رقم (878)(598/2)أبو داودفي كتاب الصلاةباب ما يقرأ به في صلاة الجمعة رقم(1122) (468/1)النسائي في كتاب صلاة العيدين باب القراءة في العيدين رقم (1568)(184/3) ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في القراءة في صلاة العيدين رقم(261 1)(408/1)الترمذي في كتاب الصـــلاة باب ما جاء في القراءة في العيدين رقم(33 5)(413/2)وقال أبو عيسى:حديث النعمان بن بشير حديث حســـن صحيـــح .

(7) ابن عادل : اللباب (89/19) .

(8) الأعراف : 133 .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الصُرَد (1) والضفدع والهدهد "[٢][٣]

5 ــ **سنن أبي داود :**

صرح بالعزو إلى هذا المصدر في مواضع قليلة منها :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)**[١] ذكر أقوال العلماء في إفطار الصّائم المسافر وصيامه ، وذكر حديثاً خُيِّر فيه الصائم بين الصوم والإفطار حيث قال : روى أبو داود عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة : أن أبا حمزة الأسلمي سأل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: يا رسول الله ، هل أصوم في السفر؟ قال : "إن شئت صم ، أو إن شئت فأفطر"[2]"[3] . ٥٩٤٤٨٥

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ياأيها النبي إذا طلقتم النساءفطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة)**[4].عقد فصلاً في المراد بهذا الخطاب ، ذكر فيه أن الخطاب ب"يا أيها النبي" هو خطاب للمؤمنين،ثم ذكر ما يدل على ذلك من أن العدة نزلت في أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، فقال : " وروى أبو داود : أنها طلقت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن للمطلقة عِدة ، فأنزل الله ــ تعالى ــ العدة للطلاق حين طُلِّقت أسماء ، فكانت أول من أُنزِلَ فيها العدة للطلاق "[5] "[6] .

٦ ــ **سنن ابن ماجه :** صرح بالعزو إلى هذا المصدر في مواضع قليلة منها :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع)**[7]عقد فصلاً ذكر فيه أقوال الفقهاء في فرضية الجمعة ووجوبها على كل مسلم ، ثم ذكر ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فقال : " وروى ابن ماجه

---

(1) الصُرَد طائر عظيم الرأس والمنقار، له ريش عظيم ونصفه أسود ، الدميري ، كمال الدين محمد بن عيسى ت 808هـ : حياة الحيوان الكبرى ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط1 (2/83-87) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الدميري: حياة الحيوان.

[2]أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب قتل الذر رقم (5276)(5/262-263)ابن ماجة في كتاب الصيد باب ما نهى عن قتله رقم (3224)(2/1047)وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (4/41) وعزاه للطبراني وقال : فقه عبد المهيمن بن عباس بن سهل وهو ضعيف .

[3] ابن عادل : اللباب(9/285) .

[4] البقرة : 184 .

[5] أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب الصوم في السفر رقم(1840)(2/686)، مسلم في كتاب الصوم باب التخيير في الصوم في السفر رقم (1121)(2/789)، أبو داود في كتاب الصوم باب الصوم في السفر رقم (2402) (2/550-551) .

(6) ابن عادل : اللباب (3/266) .

(7) الطلاق : 1 .

[8] أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق باب في عدة المطلقة رقم (2281) (2/492-493) .

[9] ابن عادل : اللباب (3/266) .

(10) الجمعة : 9 .

في سننه قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ترك الجمعة ثلاث مرات طبع على الله قلبه "[1]إسناده صحيح "(2) .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(فأرسلنا عليهم الطّوفان والجراد والقمّل والضّفادع والدّم آيات مُفصّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين)**(3) عقد فصلاً في جواز قتل الجراد ، ذكر فيه ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك ، فقال : " وروى ابن ماجه عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا على الجراد قال : " اللهم أهلك كباره ، واقتل صغاره ، وأفسد بيضه، واقطع دابره،وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء"[4]"[5].

7 ــ **سنن الترمذي** : صرح بالعزو إلى هذا المصدر في مواضع قليلة :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)**[6] ذكر ما ورد عن الحسن البصري في سبب خلو هذه الآية من كلمة "من" ، فقال : " وقال الحسن في قوله تعالى :"إن من أزواجكم و أولادكم" أدخل "من" للتبعيض ، لأن كلهم ليسوا بأعداء ، ولم يذكر "من" في قوله تعالى : "إنما أموالكم وأولادكم فتنة" لأنهما لا يخلوان من الفتنة ، واشتغال القلب بهما "[7]ثم ذكر ما ورد عن رسول الله ما يدل على ذلك ، فقال : " و روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب ، فجاء الحسن والحسين ــ رضي الله عنهما ــ وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : صدق الله ــ عز وجل ــ "إنما أموالكم وأولادكم فتنة " نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ، ثم أخذ في خطبته "[8]"(9) .

---

[1] أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة باب فيمن ترك الجمعة غذر رقم (1125) (357/1) ، وأبو داود في كتاب الصلاة باب فضل الجمعة رقم (1052) (445/1) ، والنسائي في كتاب الجمعة باب التشديد في التخلف عن الجمعة رقم (1369)(88/3) ، الترمذي في كتاب أبواب الصلاة باب ما جاء في ترك الجمعة رقم (00 5) (373/2) وقال : حديث الجعد حديث حسن ، وقال سألت محمداً ــ يعني البخاري ــ عن اسم الجعد فلم يعرف اسمه ، وقال الكرابيسي : إن اسم الجعد هذا عمرو .

(2) ابن عادل : اللباب (88/19) . (3) الأعراف : 133 .

[4] أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيد باب صيد الحيتان والجراد رقم (3221) (1073/2) من طريق موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه عن جابر وأنس وإسناده ضعيف جداً ، الترمذي في كتاب الأطعمة باب ما في الدعاء على الجراد رقم (1823) (269/4) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وموسى بن محمد بن إبراهيم التيمي قد تُكلم فيه ، وهو كثير الغرائب والمناكير. (5) ابن عادل : اللباب (284/9).

[3] التغابن : 15 . (4) ابن عادل : اللباب (137/13) .

[5] أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب الحسن والحسين رقم(3774)(658/8) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب،إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد،وأبو داود في كتاب الصلاة،باب الإمام يقطع الخطبة للأمر الذي يحدث

ب ـــ عند تفسير لسورة الإخلاص عقد فصلاً في فضائلها، ذكر فيه ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فقال : " وروى الترمذي عن أنس بن مالك ـــ رضي الله عنه ـــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ : "قل هو الله أحد" ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجبت ، قلت وما وجبت ؟ قال : الجنة "[١][٢] .

8 ـــ سنن الدارقطني : صرح بالعزو إلى هذا المصدر في مواضع قليلة جداً منها عند تفسيره لقوله تعالى: **(يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة)**[٣] عقد فصلاً في طلاق النبي صلى الله عليه وسلم ذكر فيه أحاديث نبوية ، فقال:"وروى الدارقطني عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا معاذ ما يخلق الله تعالى شيئاً على وجه الأرض أحب إليه من العتاق ، ولا خلق الله تعالى شيئاً أبغض إليه من الطلاق ، فإذا قال الرجل لمملوكه : أنت حر ـــ إن شاء الله ـــ فهو حر ولا استثناء فيه ، وإذا قال الرجل لزوجته : أنت طالق إن شاء الله فله استثناؤه ، ولا طلاق عليه "[4]"[5] .

9 ـــ سنن الدارمي : صرح بالعزو إلى هذا المصدر في مواضع قليلة جداً منها عند تفسيره لقوله تعالى:**(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)**[6]قال:"روى الدارمي بإسناده عن الأعمش قال:ما سمعت إبراهيم[٧] قط يقول:حلالاً ولا حراماً، ولكن كان يقول:كانوا يتكرَّهون،وكانوا يستحبون "[٨]"(6).

رقم (1109)(463/1) ،وابن ماجه في كتاب اللباس باب لبس الأحمر للرجال رقم(3600)(1190/2)،النسائي في كتاب صلاة العيدين باب نزول الإمام عن المنبر رقم(1585)(192/3) . (6) ابن عادل : اللباب (138/19) .

[1] أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في سورة الإخلاص رقم (897 2)(176/5) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب،لا نعرفه إلا من حديث مالك بن أنس حنين،هو عبد بن حنين .

[2] ابن عادل : اللباب (566/20) . ((3) الطلاق : 1.

[4] الدارقطني،علي بن عمر أبو الحسن،ت 385هـ،سنن الدارقطني،دار المعرفة ـــ بيروت ـــ 1966،تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني(35/4)وسيشار إليه فيما بعد هكذا:الدار قطني،ابن عدي:عبد الله بن عدي بن عبد الله،ت277هـ:الكامل في الضعفاء،دار الفكر ـــ بيروت ـــ 1409هـ ط 3 تحقيق يحيى مختار غزاوي رقم(443)(379/2)وسيشار ليه فيما بعد هكذا ابن عدي:الكامل في الضعفاء،ابن الجوزي،عبد الرحمن بن علي،ت ٥٩٧هـ:العلل المتناهية،دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ 1403هـ ط1 تحقيق خليل الميس رقم (1066) (944-943/2)وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن الجوزي:العلل المتناهية ، وهو حديث ضعيف لأن في إسناده إسماعيل بن عياش وهو ضعيف ، النسائي ، أحمد بن شعيب ، ت 01 3هـ : الضعفاء والمتروكين ، دار الوعي ـــ حلب ـــ 1369هـ ط1 تحقيق محمود إبراهيم زايد (26) وسيشار إليه فيما بعد هكذا النسائي : الضعفاء والمتروكين .

(5) ابن عادل : اللباب (145/19) . (6) النحل : 116 .

[7] هو إبراهيم بن يزيد النخعي،روى عن علقمة ومسروق وغيرهم وعنه السبيعي وسماك بن حرب وغيرهم ، ت ٩٦هـ النووي،محيي الدين يحيى بن شرف الدين، ت676:تهذيب الأسماء واللغات،دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ (105-104/1)=

10 ــ **موطأ مالك :** صرح بالعزو إلى هذا المصدر في مواضع قليلة جداً منها عند تفسيره لقوله تعالى : **(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)**[1]قال: قال مالك في الموطأ : الجدال في الحج أن قريشاً كانوا يقفون عند المشعر الحرام بقزح [2] ، وغيرهم يقف بعرفات ، وكل منهم يزعم أنه موقف إبراهيم ، ويقول هؤلاء : نحن أصوب ، فقال الله تعالى : **(لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه)**[3]قال مالك : هذا هو الجدال فيما يروى والله أعلم " [4] .

وأما الأحاديث التي لم يصرح فيها بالعزو فكثيرة،بل هي الغالبة في تفسيره،والتي منها :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ثم جعلناكم خلائف في الأرض لننظر كيف تعملون)**[5]قال : إنه تعالى يعامل عباده معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ، ليجازيهم عنه كقوله تعالى : **(ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)**[6] قال عليه الصلاة والسلام : "إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون"[7] [8] .

2 ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(ثم السبيل يسره)**[9]قال: "إن الله يسر على كل أحد من خلقه ما خَلَقَه له وقدره عليه ، لقوله عليه الصلاة والسلام: إعملوا فكل ميسر لما خُلِق له"[10] [11] .

3 ــ عند تفسيره لقوله تعالى:**(ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلاّالله)**[12]ذكرأقوال الصحابة والتابعين في النسب إلى آدم عليه السلام،وقال : " كان صلوات الله وسلامه عليه لا يجاوزفي نسبه معدبن عدنان،وقال عليه الصلاةوالسلام :تعلموا من أنسابكم ماتصلون به أرحامكم،وتعلموامن النجوم ما تستدلون به علىالطريق"[13] [14].

= وسيشار إليه فيما بعد هكذا النووي : تهذيب الأسماء واللغات .

[8] أخرجه الدارمي باب في الذي يفتي الناس في كل ما يُستفتى رقم (184)(341/4). [9] ابن عادل اللباب (180/12) .

[1] البقرة : 197 . [2] هو جبل بالمزدلفة وهو موقف قريش في الجاهلية معجم البلدان (341/4).

[3] الحج : 67-68 . [4] مالك : الموطأ كتاب الحج باب الوقوف في عرفة رقم (869) (388/1) .

[1] يونس : 14 . [2] الملك : 2 .

[3] مسلم في كتاب الذكر باب الدعاء للمسلمين رقم (2742) (2098/4) ، الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة رقم (2191) (483/4) وقال أبوعيسى : هذا حديث حسن صحيح . [4] ابن عادل : اللباب (281/10).

[5] عبس : 20 .

[7] أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب فسنيسره للعسرى رقم (4666) (1891/4) ، مسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي رقم (2647) (2040/4) . [7] ابن عادل : اللباب (162/20) .

[8] إبراهيم : 9 .

[9] أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في تعليم الأنساب رقم (1979) (351/4) وقال أبو عيسى : هذا الحديث غريب من هذا الوجه ، أحمد (374/2) . [10] ابن عادل : اللباب (344/11) .

ثانياً : كتب السيرة : السيرة النبوية هي التفسير العملي لكثير من الآيات القرآنية ، وهي جزء من السنة النبوية ، وإنما أفردت بالتصنيف لأهميتها .

لقد زخر القرآن الكريم بالآيات التي تتحدث عن الغزوات التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ضد أعداء الإسلام تفصيلاً وإجمالاً ، قال الله تعالى: **(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)** [1] ، وقال أيضاً : **(ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)**[2] .

إهتم المفسرون بالسيرة النبوية اهتماماً كبيراً،فاستمدوا منها التفسير العملي لكثير من الآيات القرآنية ، فوضحوا بها ما أبهم وفصلوا ما أجمل في القرآن الكريم ، وابن عادل واحد من المفسرين الذين جعلوا للسيرة مكانة ذات أهمية في تناولهم للتفسير ، حيث نجده في مواضع كثيرة في تفسيره رجع إلى كتب السيرة ، وفي مقدمتها سيرة ابن اسحق ، التي هذبها ابن هشام ، حيث كان يصرح بالعزو إليها حيناً،ولا يصرح حيناً آخر،فمن المواضع التي صرح فيها بالعزو:

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق و إن فريقاً من المؤمنين لكارهون)**[3] قال : روى ابن عباس ، وابن الزبير ومحمد بن إسحق والسدي[4]أن أبا سفيان أقبل من الشام في عير في أربعين راكباً من كفار قريش ، منهم عمرو بن العاص ، ومخرمة بن نوفل ، وفيها أموال كثيرة ، حتى كانوا قريبين من بدر ، أخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأعجبهم تلقي الركبان ، لكثرة الخير ، وقلة العدد فانتدب الناس ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، لأنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً ،فلما سمع أبو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم في أصحابه ، فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة[5]"[6] .

2 ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين)**[7] قال:

---

[1] آل عمران : 123 .
[2] التوبة : 25 .
[3] الأنفال : 5 .
[4] هو إسماعيل بن عبد الرحمن أبو محمد القرشي مولاهم ، وهو السدي الكبير ، روى عن ابن عباس وأنس بن مالك وأبي هريرة وغيرهم ، وروى عنه شعبة والثوري وأبو عوانة ، وعطاء وعكرمة وغيرهم ، اختلف في توثيقه ، فمنهم من وثقه ، ومنهم من قال فيه غير ذلك ، ت 127هـ تهذيب التهذيب (158/1-159) .
[5] المعافري ، عبد الملك بن هشام ، ت 213هـ : السيرة النبوية ، دار المنار ــ القاهرة ــ ط 2 1993م (541/1-542) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن هشام السيرة للنبوية ، وقد نقله ابن عادل بتصرف .
[6] ابن عادل : اللباب (٥٥٤/٩) .
[7] التوبة :

وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما:نزلت في أهل مكة ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشاً عام الحديبية،على أن يضعوا الحرب عشر سنين،يأمن فيها الناس،ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم،ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها ، وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة،ونقضوا العهد،خرج عمرو بن سالم الخزاعي ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

للهم إنـي ناشـد محمدا	حلـف أبينا وأبيه الأتلدا
كنت لنـا أبـاً وكنـا ولدا	ثُمَّتَ أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أبدا	وادع عبـاد الله يأتوا مددا

فقال رسول الله:" لا نصرت إن لم أنصركم"[1]"[2] .

3 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت)**[3] ذكر قصة بناء إبراهيم عليه السلام للبيت ، والأقوام الذين جاءوا من بعده ، ثم ذكر حادثة بنائها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم،ثم قال : " قال ابن اسحق : كانت الكعبة على عهدرسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة ذراعاً تكسى بالقُباطي[4] ، ثم كسيت بالبرود ، وأول من كساها بالبرود الحجاج بن يوسف" [5]"[6] .

---

[1] ابن أبي شيبة ، أبو بكر بن عبد الله ، ت 235هـ : **مصنف بن أبي شيبة** ، مكتبة الرشيد ــ الرياض ــ ط 1 1409هـ تحقيق كما يوسف الحوت (398/7) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن أبي شيبة : المصنف ، وقال ابن حجر : رواه ابن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة مرسلاً ، أنظر العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، ت 852 هـ : فتح الباري ، الكتبة السلفية (520/7) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن حجر : فتح الباري ، ونقله ابن عادل بتصرف ابن هشام:السيرة النبوية(270/2-271) نقله ابن عادل بتصرف.

[2] ابن عادل : اللباب (9/10-10) .

[3] الحج : 26 .

[4] القباطي بكسر القاف وضمها جمع قُبطية وهي ثياب كتان بيض تعمل في مصر ، وتنسب إلى القبط على غير قياس ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت 711هـ : **لسان العرب** ، دار صادر ــ بيروت ــ ط 1 (373/3) مادة قبط ، وسيشار إليه فيما هكذا ابن منظور : لسان العرب ، والزيات ، أحمد حسن الزيات : **المعجم الوسيط** ، دار الدعوة ــ استانبول ــ (711/2) وسيشار إليه فيمل بعد هكذا الزيات : المعجم الوسيط .

[5] ابن هشام : السيرة النبوية (204/1) .

[6] ابن عادل : اللباب (67/14)

3 ــ مصادره من كتب الفقه والأصول والعقائد

لقد كان ابن عادل فقيهاً حنبلياً ــ بالإضافة إلى كونه مفسراً ــ ، ذا قدم راسخة في علم الفقه ، يدل على ذلك حاشيته على المحرر لابن تيمية والتي مازالت مخطوطة إلى الآن تنتظر النور لتحقيقها وإخراجها للناس .

ومع كونه فقيهاً حنبلياً ، فإنه كان على اطلاع واسع في المذاهب الفقهية الأخرى ، مدركاً لها ، محيطاً بدقائقها ، عارفاً بالخلاف في مسائلها .

ومع كونه متمكناً في الفقه وأصوله،فإنه قلما يعزو إلى المراجع التي استقى منها المعلومة، فكان في أغلب الأحيان يكتفي بالعزو إلى المذهب أو إلى صاحبه ، دون تحديد الكتاب أو المؤلف الذي رجع إليه ، فمثلاً كان يقول : قال الشافعي :.... ، وعند الشافعية .....، وكان يصرح أحيانا برأي الجمهور فيقول : وعند الجمهور ..... ، وقال الجمهور : .... ، وعلى الرغم من قلة عزوه إلى الكتب الفقهية ، أو إلى الفقهاء والمؤلفين ، فإنه كان أميناً في عزوه على وجه العموم إلى المذاهب وأصحابها .

وسأحاول في هذا المبحث أن أشير إلى أهم المصادر والمراجع التي رجع إليها في هذا الموضوع .

أولاً ــ كتب الفقه :

الفقه الحنفي : لم يشر ابن عادل في تفسيره إلى مصادر الفقه الحنفي التي رجع إليها سوى كتاب **أحكام القرآن للجصاص**[1] ، حيث رجع إليه في مواطن كثيرة في تفسيره منها عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات)**[2] ذكر سبب نزول هذه الآية ، وبين أقوال الفقهاء في تحديد سن البلوغ ، ثم ذكر قول الجصاص ــ الرازي ــ فيما تدل عليه هذه الآية ، فقال : " قال أبو بكر الرازي : دلت هذه الآية على أن من لم يبلغ وقد عقل يُؤمر بفعل الشرائع ، ويُنهى عن ارتكاب القبائح ، فإن الله تعالى أمره بالإستئذان في هذه الأوقات "[3] .

---

[1] هو أحمد بن علي أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص ، صنف أحكام القرآن وشرح مختصر الطحاوي وشرح الأسماء الحسنى ، ت 370هـ . البغدادي ، أحمد بن علي بن الخطيب ، ت463هـ : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ــ بيروت (314/4) وسيشار إليه فيا بعد هكذا ابن الخطيب : تاريخ بغداد . (2) النور : 58 .

[3] الجصاص: أحكام القرآن،دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ 1405هـ ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، (195/5) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا " الجصاص : أحكام القرآن " ، ابن عادل : اللباب (447/14) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : (فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً) آل عمران : 97 أنظر ابن عادل : اللباب (410/5) وعند تفسيره لقوله تعالى : (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما=

ومصادر الفقه الحنفي التي لم يصرح بالعزو إليها كثيرة ، نذكر منها ثلاثة لتدلل على سعة

1 ــ **المبسوط للسرخسي**[1] :

عند تفسيره لسورة الفاتحة عقد فصلاً في وجوب قراءة الفاتحة قال فيه : " وقال أبو حنيفة ــ رضي الله عنه ــ : لا تجب قراءة الفاتحة "[2] .

2 ــ **بدائع الصنائع للكاساني**[3] :

عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا تباشروهن وأنت عاكفون في المساجد)**[4] عقد فصلاً في بيان المساجد التي يجوز الاعتكاف فيها ، وذكر أقوال الفقهاء في ذلك،وذكر من ضمنها قول أبي حنيفة فقال : " وقال أبو حنيفة : لا يصح إلا في مسجد له إمام راتب، ومؤذن راتب "[5] .

3 ــ **الهداية شرح البداية للمرغيناني**[6]:

عند تفسيره لقوله تعالى : **(وامسحوا برءوسكم)**[7]عقد فصلاً في ذكر الخلاف في القدر الواجب من مسح الرأس ، ذكر فيه أقوال الفقهاء ، منها قول أبي حنيفة ، فقال : " وقال أبو حنيفة : يجب مسح ربع الرأس "[8] .

= عقلوه وهم يعلمون) البقرة : 75 انظر ابن عادل : اللباب (196/2) .

[1] هو محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ، كان إماماً حجة فقيهاً متكلماً أصولياً ، لزم شمس الأئمة الحلواني ، صنف المبسوط في الفقه الحنفي ، ت 490هـ ، القرشي : عبد القادر بن أبي الوفا ، ت55 7هـ : **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** ، نشر محمد مير خانة ــ كراتشي ــ (8/1 2) وسيشار إليه فيما بعد هكذا القرشي : طبقات الحنفية .

[2] السرخسي:**المبسوط** ، دار المعرفة ــ بيروت ــ 1406هـ (19/1) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا السرخسي : المبسوط ابن عادل : اللباب : (232/1) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون)** النور : 4 أنظر ابن عادل : اللباب (299/14).

[3] هوا أبو بكر مسعود بن أحمد الكاساني،علاء الدين،ملك العلماء،تتلمذ على السمرقندي،وتزوج ابنته ، من مصنفاته بدائع الصنائع، ت587هـ القرشي:طبقات الحنفية(244-246) . (4) البقرة : 187 .

[5] الكاساني:**بدائع الصنائع** ، دار الكتاب العرب ــ بيروت ــ 1982م ، ط 2 (113/2) وسيشار إليه فيما هكذا الكاساني : بدائع الصنائع ، ابن عادل : اللباب (19/3 3) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: **(وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي)** البقرة : 196 انظر ابن عادل:اللباب(370/3)وعند تفسيره لقوله تعالى:**(واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى)** البقرة : 03 2 أنظر ابن عادل: اللباب (451/3).

[6] هو علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني،شيخ الإسلام،تفقه على أبي حفص عمر بن محمد النسفي،من مصنفاته الهداية شرح البداية،ت593هـ القرشي:طبقات الحنفية(383-384). (7) المائدة : 6 .

[8] المرغيناني : **الهداية شرح البداية** ، المكتبة الإسلامية ــ بيروت ــ (2/1 1) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا المرغيناني: الهداية ابن عادل : اللباب (222/7) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم)**المائدة : 8 3 أنظر ابن عادل:اللباب (222/7) وعند تفسيره لقوله تعالى: **(فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام =**

الفقه المالكي :

لم يذكر ابن عادل في تفسيره مصادر الفقه المالكي التي رجع إليها سوى **أحكام القـــــرآن لابن العربي المالكي** حيث رجع إليه ، واعتمد عليه في مواضع كثيرة ومتعددة منها عند تفسيره لقوله تعالى : (**فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم**)[1] ذكر أقـــوال أهل العلم في المراد بالنفقة في قوله تعالى:" وأنفقوا " ،" قال ابن عباس: هي الزكاة ، وقيل : هي النفقة في النفل ، وقال الضحاك: هي النفقة في النفل ،وقال الحسن هي نفقة الرجل لنفسـه "[2] ثم ذكر قول ابن العربي في ذلك فقال : " قال ابن العربي : وإنما أوقع قـــائل هـذا ، قولــه : " لأنفسكم " وخفي عليه أن قوله : إن نفقة الفرض والنفل في الصدقة هي نفقة الجل علـــى نفســه على نفسه ، قال الله تعالى : (**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**)[3] ،وكل مـــا يفعلــه الرجل من خير فإنما هو لنفسه ، والصحيح أنها عامة "[4] .

وأما مصادر الفقه المالكي التي لم يصرح بالعزو إليها كثيرة ، نذكر منها ثلاثة :

1 ــ المدونة الكبرى :

عند تفسيره لقوله تعالى : (**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحـــج فـــلا رفـــث ولا فسوق ولا جدال في الحج**)[5] عقد فصلاً في الإهلال بالحج قبل أشهره ، ذكر فيه أقوال المانعين وأقوال المجيزين ، وذكر من المجيزين الإمام مالك ، فقال : " وقال الإمام مالك والثوري وأبـــو حنيفة ــ رضي الله عنه ــ يجوز "[6] .

= ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) المائدة : ٨٩ . انظر ابن عادل : اللباب (504/7) .

(١) التغابن : 16 .　　　(2) ابن عادل : اللباب (139/19) .

(٣) الإسراء : ٧ .

(4) ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله ، ت 543هـ : أحكام القرآن الكريم ، دار الجيل ــ بيروت ــ تحقيق علـــي محمد البجاوي (1822/4) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن العربي : أحكام القرآن ابن عادل : اللباب (139/19) وكذلــك عند تفسيره لقوله تعالى:(**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً**)الطلاق: 7 أنظر ابن عادل:اللباب(127/19)وعند تفسيره لقوله تعالى:(**إن الذين كفروا ومـــاتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والناس أجمعين**)البقرة: 162 أنظر ابن عادل:اللباب (11/3) .

(5) البقرة : 197 .

(6) الأصبحي ، مالك بن أنس ، ت 179 هـ:المدونة الكبرى ، دار صادر ــ بيروت ــ (363/2) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا مالك : المدونة ، ابن عادل:اللباب (392/3) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : (**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء**) النساء : 3 أنظر ابن عادل:اللباب (164/6) وعند تفسيره لقوله تعالى : (**ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع**) الجمعة: 9 أنظر ابن عادل : اللباب (86/19).

2 ـ التمهيد لابن عبد البر[1] :

عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذَّكَّرون)**[2] عقد فصلاً في وجوب ستر العورة ، ذكر فيه أقوال العلماء في تحديد العورة ، وما هو الواجب ستره فيها ، منها قول الإمام مالك ، فقال : " وقال مالك : ليست السرة بعورة ، وأكره له أن يكشف فخذه "[3] .

3 ـ الكافي لابن عبد البر :

عند تفسيره لسورة الفاتحة عقد فصلاً في بيان هل التسمية من الفاتحة أم لا ؟ وهل تجب قراءتها في الصلاة ؟ ذكر فيه آراء العلماء في ذلك ، ومنها رأي مالك ، فقال: " وقال مالك والإوزاعي[4] : إنها ليست من القرآن إلا في سورة النمل، ولا تقرأ سراً ولا جهراً "[5] .

3 ـ الفقه الشافعي :

لم يذكر ابن عادل في تفسيره مصادره في الفقه الشافعي التي رجع إليها سوى كتابين هما:

الأول : الأم للشافعي

صرح بالعزو إليه في مواضع قليلة جداً ، منها عند تفسيره للإستعاذة حيث عقد فصلاً في بيان حكم الجهر والإسرار في التعوذ بين فيه أقوال العلماء ، ثم ذكر ما ذهب إليه الإمام الشافعي فقال : " قال الشافعي في الأم " فإن جهر به جاز ، وإن أسر به جاز "[1] .

---

[1] هو يوسف بن عمر بن عبد الله بن عبد البر المالكي الأندلسي ، ولد سنة 68 3هـ ، برع في الفقه والحديث ، له مصنفات منها التمهيد ، الإستيعاب وغيرها ، ت 63 4هـ ابن فرحون ، إبراهيم بن علي ت 799هـ : الديباج المذهب (379-375) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن فرحون : الديباج المذهب ، الذهبي : سير أعلام النبلاء (153-59 1) .

[2] الأعراف : 26 .

(3) ابن عبد البر : التمهيد (٦/٣٨٠)،ابن عادل : اللباب (7/9 6) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(ومن يرتدد منكم دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم خالدون)** البقرة : 17 2 أنظر ابن عادل : اللباب 24/4) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً)** النساء : 93 انظر ابن عادل : اللباب (571/6) .

[4] هو عبد الرحمن بن عمر الإوزاعي ، روى عن عطاء بن أبي رباح ، وقتادة والزهري وغيرهم، وعنه مالك ، وشعبة، والثوري وغيرهم ، اتُفق على توثيقه نزل في أواخر عمره في بيروت ، وتوفي فيها مرابطاً سنة 57 1هـ . ابن حجر : تهذيب التهذيب (537/2-539) .

[5] القرطبي،يوسف بن عبد الله بن عبد البر ت 63 4هـ:الكافي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط 1 1407هـ (40) وسيشار إليه فيما بعد هكذا إبن عبد البر:الكافي،ابن عادل:اللباب (43/1 2) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: **(وأتموا الحج والعمرة لله)** البقرة:196 أنظر ابن عادل:اللباب(359/3)وعند تفسيره لقوله تعالى:**(فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله)** الطلاق : 2 انظر ابن عادل : اللباب (155/19).

[١] الشافعي ، محمد بن إدريس ، ت 204هـ: الأم ، دار المعرفة ـ بيروت ـ ط 1 1393 هـ (107/1) وسيشار إليه=

الثاني : أحكام القرآن للكياالهراسي[1]: صرح بالعزو إليه في مواضع متعددة منها عند تفسيره لقوله تعالى : **(كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حـــرج منـــه لتنـــذر بـــه وذكـــرى للمؤمنين)**[2]بين معنى الحرج فقال:"والمعنى لايضيق صدرك بسبب أن يكذبوك في التبليغ " [3] ثم ذكر ما قاله الكياالهراسي في ذلك ، فقال:" قال الكيا:فظاهره النهي ، ومعناه : نفي الحرج عنه صلى الله عليه وسلم ، أي : لايضيق صدرك ألاّ يؤمنوا به ، فإنما عليك منه البلاغ وليس عليك سوى الإنذار به،ومثله قوله عز وجـــل : **(لعلك باخع نفسك ألاّ يكونـــوا مؤمنين)**[4]"[5] .

وأما مصادره في الفقه الشافعي التي لم يصرح بالعزو إليها فكثيرة نذكر منها ثلاثة :

1 ــ **روضة الطالبين للإمام النووي :**

عند تفسيره لقوله تعالى : **(ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فـي خرابها أولئك ما لهم أن يدخلوها إلا خائفين)**[6]عقد فصلاً في دخول الكافر المسجد ذكر ، فيـــه اختلاف الفقهاء في المنع والجواز ، وذكر قول الشافعي الذي يمنع الكافر من دخـــول الحـــرم ، فقال : " وقال الشافعي رضي الله عنه : يمنع من دخول الحرم، ومن المسجد الحرام "[7] .

2 ــ **الوسيط للغزالي**[8] :

= فيما بعد هكذا الشافعي : الأم ، ابن عادل : اللباب (88/1) .

[1] هو أبو الحسن عماد الدين علي بن محمد الطبري المعروف بالكياالهراسي ، ولد سنة 50 4هـ ، لازم إمام الحرميـــن ، وبرع في الأصول والفقه والخلاف،تولى التدريس في النظامية حتى مات سنة 04 5هـ ، له مصنفات منـــها أحكـــام القرآن ، وشفاء المسترشدين وغيرها . ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية (2/88 2) .

[2] الأعراف : 2 .

[3] ابن عادل : اللباب (6/9) .

[4] الشعراء : 3 .

[5] الكيا الهراسي:أحكام القرآن،دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط 2 1405هـ (131/3) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الكيا الهراسي:أحكام القرآن،ابن عادل:اللباب(6/9- 7) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)**التحريم:٦ ابن عادل:اللباب(٤٢٦/٤) [6] البقرة : 114 .

[7] النووي،محيي الدين يحيى بن شرف، ت 676هـ،روضة الطالبين، المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ ط 2 1405هـ (296/1)وسيشار إليه فيما بعد هكذا النووي:روضة الطالبين،ابن عادل:اللباب(411/2) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)** البقرة : 184 أنظر ابن عادل : اللباب (271/3) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(لينفق ذو سعة من سعته ومن قـدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها)** الطلاق : 7 أنظر ابن عادل : اللباب (176/19).

[8] هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، ولد بطوس سنة 450 هـ ، لازم إمام الحرمين وتفقـــه عليـــه ، نـــدب للتدريس في النظامية ، له مصنفات كثيرة منها الوسيط في الفقه ، وإحياء علوم الدين والمستصفى في الأصول وغيرهـــا ، ت سنة 505 هـ . ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية (293/2) .

عند تفسيره لقوله تعالى : **(ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام)**[1] عقد فصلا بين فيه اختلاف الفقهاء في تحديد من هم حاضرو المسجد الحرام ، وذكر من ضمن ذلك قول الشافعي فقال : " وقال الشافعي : كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام "[2] .

3 ــ **المهذب للشيرازي**[3] :

عند تفسيره لقوله تعالى : **(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)** [4] عقد فصلاً في أموال الأئمة والولاة ، ذكر منها الفيء ، ثم ذكر أقوال الفقهاء في صرفه ، ومن ضمنها ما نقله عن الشافعي أنه قال : " أموال الكفار التي تحصل للمسلمين من غير قتال تقسم على خمسة وعشرين سهماً للنبي صلى الله عليه وسلم عشرون سهماً يفعل فيهما ما يشاء ، والخمس يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة "[5] .

4 ــ **الفقه الحنبلي** : صرح ابن عادل بالعزو إلى مصدر واحد في المذهب الحنبلي، هو **رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية** ، حيث صرح بالعزو إليه في مواضع قليلة جداً ، منها : عند تفسيره لقوله تعالى : **(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)**[6] ذكر قول شيخ الإسلام ابن تيمية في

---

[1] البقرة : 196 .

[2] الغزالي : الوسيط ، دار السلام ــ القاهرة ــ ط 1 1417 هـ ، تحقيق أحمد محمود إبراهيم ومحمد محمد تامر (617/2)،وسيشار إليه فيما هكذا الغزالي:الوسيط ، ابن عادل: اللباب (389/3) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى:**(وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة)** النساء : 2 9 انظر ابن عادل:اللباب:(567/6) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين)** البقرة : 83 أنظر ابن عادل : اللباب (233/2) .

[3] هو الإمام إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، شيخ الإسلام ، ولد سنة 93 3 هـ ، قرأ الفقه على أبي عبد الله البيضاوي،والأصول على أبي حاتم القزويني،له مصنفات عديدة منها " المهذب " في الفقه و" تذكرة المسئولين" في الخلاف وغيرها ، ت 467 هـ.ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية (238/1-240) .

[4] الحشر : 7 .

[5] الشيرازي : المهذب ، دار الفكر ــ بيروت ــ (247/2-248) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الشيرازي : المهذب،ابن عادل:اللباب(578/18) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى)**البقرة: 203 أنظر ابن عادل:اللباب (447/3)،وعند تفسيره لقوله تعالى : **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم)** البقرة :٢٢٥ نظر ابن عادل : اللباب (91/4).

(6) النجم : 39 .

انتفاع الميت بعمل الأحياء ، وأنه يصل إليه ثوابه ، فقال : " قال : قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية : من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع :

أحدها : أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره ، وهو انتفاع بعمل الغير .

الثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الموقف في الحساب ، ثم لأهل الجنة في دخولها ، ثم لأهل الكبائر في الإخراج من النار ، وهذا انتفاع بسعي الغير ، ...وقد أوصل الوجوه إلى عشرين وجهاً[1]"[2] .

أما مصادر الفقه الحنبلي التي لم يصرح فيها بالعزو كثيرة ، نكتفي بذكر ثلاثة مصادر منها:

1 ــ المغني لابن قدامة [3]:

عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع)** [4] عقد فصلاً في وجوب السعي ذكر فيه أقوال الفقهاء في من يجب عليه السعي ، منها قول الإمام أحمد ، فقال : "وقال أحمد بن حنبل وإسحاق[5]: تجب الجمعة على من سمع النداء لقوله عليه الصلاة والسلام : " إنما الجمعة على من سمع النداء [6]"[7] .

2 ــ المحرر في الفقه لمجد الدين ابن تيمية :

عند تفسيره لقوله تعالى:**(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)** [8]عقد فصلاً في انعقاد الحج ، قال فيه : " قال الشافعي وأحمد : ينعقد الحج بمجرد النية "[9] .

---

[1] ابن تيمية : مجموع الفتاوى (24/306-313) .   (2) ابن عادل : اللباب (18/206)

[3] هو شيخ الإسلام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ، الصالحي الدمشقي الحنبلي ، ولد سنة 541هـ في جماعيل من أعمال نابلس ، هاجر مع أهله إلى دمشق من بطش الصليبيين ، حفظ كتاب الله ، ثم أقبل على طلب العلم حتى أصبح أحد فقهاء الإسلام ، له مصنفات عديدة منها "المغني" و"المقنع" و" الروضة" و"الرقة" و"التوابين" وغيرها ، ت 620هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء (22/165-173) . [4] الجمعة : ٩ .

[5] هو الحافظ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي النيسابوري ، جمع بين الفقه والحديث والورع ، وعُد من أصحاب الشافعي ، ت 238 هـ ابن خلكان : وفيات الأعيان (200-201) .

[6] أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب من تجب عليه الجمعة ، حديث رقم (056 1) (1/446-447)،قال أبو داود : روى هذا الحديث جماعة عن سفيان مقصوراً على عبد الله بن عمر ، ولم يرفعوه ، وإنما أسنده قبيصة .

[7] ابن قدامة : المغني ، دار الفكر ــ بيروت ــ ط 1 1405 هـ (2/106) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن قدامة : المغني ابن عادل: اللباب (19/87) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) الطلاق: 6

أنظر ابن عادل:اللباب (19/169)وعند تفسيره لقوله تعالى: (واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه) البقرة : 03 2أنظر ابن عادل : اللباب (/451) . (8) البقرة : 197 .

[9] ابن تيمية ، عبد السلام بن عبد الله ، ت 652هـ : المحرر ، دار المعارف ــ الرياض ــ ط 2 1404 هـ (1/242)

3 ـ **الكافي في فقه ابن حنبل لابن قدامة :**

عند تفسيره لقوله تعالى : **(فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة)**[1]عقد فصلاً في حكم جعل القرآن ونحوه صداقاً ، قال فيه : " قال الشافعي وأحمد : يجوز أن يُجعل تعليم القرآن صداقاً "[2] .

ثانياً : كتب أصول الفقه

من خلال مطالعتي تفسير ابن عادل وقراءتي له لم يشر فيه إلى كتب الأصول التي رجع إليها سوى كتاب **المحصول** للإمام الرازي صاحب تفسير مفاتيح الغيب المعروف باب الخطيب ، حيث اصطحبه في تفسيره ، ورجع إليه واعتمد عليه ، وتأثر به إلى حد كبير ، فما من قضية تتعلق بأصول الفقه إلا ويرجع فيها إلى هذا الكتاب ، وكان يصرح بالعزو إليه في مواضع متعددة بقوله قال : ابن الخطيب ، ولا يصرح بالعزو إليه في مواضع أخرى ، فمن المواضع التي صرح فيها بالعزو عند تفسيره لقوله تعالى : **(أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين)**[3]ذكر أن " المراد بالإنسان أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في إنكار البعث وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده وقال : أترى يحيي الله هذا العظم بعدما رمَّ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار ، فأنزل الله هذه الآيات "[4]، ثم ذكر أن

= وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن تيمية : المحرر ، وعند تفسير ه لقوله تعالى : **(ولكم نصف ما ترك أزواجكم)** النساء:12 انظر ابن عادل : اللباب (223/6) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المؤمنات)** النساء : 25 انظر ابن عادل : اللباب (319/6) .

(1) النساء :24 .

(2) ابن قدامة: **الكافي في فقه أحمد** ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، تحقيق زهير الشاويش (3/0 9) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن قدامة : الكافي ، ابن عادل : اللباب (16/6 3) . وكذلك وعند تفسيره لقوله تعالى: **(وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم)** النساء: 1 02 انظر ابن عادل :اللباب (608/6) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً)** المائدة : 6 انظر ابن عادل: اللباب (237/7) .

(3) يس : 77 .

(4) الحارث بن أسامة ، ت282 هـ: **مسند الحارث** ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ـ المدينة المنورة ط 1 1413هـ تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري (2/27 7) وسيشار إليه فيما بعد هكذا أخرجه الحارث في مسنده ، وهوحديث ضعيف لأن في إسناده محمد بن بكار وهومجهول . الذهبي ، محمد بن أحمد ، 48 7هـ: **ميزان الإعتدال في نقد الرجال** ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط 1 1995م تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (81/6) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الذهبي : ميزان الإعتدال انظر ابن عادل:اللباب(264/16) ، الواحدي : أسباب النزول(209).

المعني بالإنسان هم عموم بني الإنسان ،فقال:" قال ابن الخطيب : وقد ثبت في أصول الفقه أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1] ألا ترى قوله تعالى: **(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)**[2] نزلت في واحدة وأراد الكل،فكذلك كل إنسان أنكر البعث هذه الآية ردٌّ عليه "[3].

ومن المواضع التي لم يصرح لم يصرح فيها بالعزو عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)**[4]عقد فصلاً في دلالة هذه الآية ، قال فيه : قوله : "فاعبدوه"قد ثبت في أصول الفقه أن ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية[5]، فهاهنا وقع الأمر بالعبادة على ذكر وصف الربوبية ، فدل على أنه إنما يلزمنا عبادته سبحانه لكونه رباً لنا ، وذلك يدل على أنه تعالى إنما تجب عبادته لكونه منعماً على الخلائق بأنواع النعم "[6] .

ثالثاً : كتب العقيدة

سبق وأن أشرنا إلى أن ابن عادل أشعري في عقيدته ، لذلك نجده ينحى منحى الأشاعرة في تفسيره عند تناوله لقضايا العقيدة ، ومن خلال مطالعة تفسيره وقراءته لم يشر في تفسيره إلى المصادر العقدية سوى تفسير **مفاتيح الغيب** للإمام الرازي ، الذي" يمثل المدرسة العقدية العلمية التي يغلب عليها الطابع الفكري والعلمي، فهو ينقل آراء الفرق على اختلافها مناقشاً راداً "[7] وابن عادل متأثر بالإمام الرازي في الجانب العقدي إلى حد كبير، وذلك لكون الإمام الرازي أشعرياً ، فهو ينقل عنه فصولاً بأكملها في هذا الجانب عند تناوله للقضايا العقدية المتعددة .

وابن عادل كعادته عند رجوعه لأي مصدر في تفسيره يصرح بالعزو في مواضع ولا يصرح في مواضع أخرى ، فكان يصرح بالعزو إلى تفسير الرازي في مواضع متعددة ، ولا

---

[1] الرازي،محمد بن عمر بن الحسين ، ت06 6هـ: المحصول ، نشر جامعة محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ ط1 1400هـ تحقيق طه جابر فياض العلواني (3/188-189) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الرازي : المحصول .

[2] المجادلة : 1 .

[3] ابن عادل : اللباب (264/16) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)** البقرة : 106 أنظر ابن عادل : اللباب (371/2) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا)** هود : 112 أنظر ابن عادل : اللباب (589/10) .

[4] مريم : ٣٦ . [5] الرازي : المحصول (183/2) .

[6] ابن عادل : اللباب (66/13) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطّوف بهما)** البقرة : 158 انظر ابن عادل : اللباب (99/3) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(الله الذي خلق السماوات وأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش)** السجدة : 4 انظر ابن عادل : اللباب (473/15) . [7] د. فضل عباس : إتقان البرهان (271/2) .

يصرح بالعزو في مواضع أخرى ، فمن المواضع التي صرح بالعزو فيها عند تفسيره لقوله تعالى : **(غير المغضوب عليهم ولا الضالين)**[1] عرف الغضب ، فقال : " والغضب : ثوران الدم ، وإرادة الإنتقام ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : " اتقوا الغضب ، فإنه جمرة تُوقَدُ في قلب ابن آدم ، ألم ترَ إلى انتفاخ أوداجه وحُمرة عينيه"[2] وإذا وُصف به الباري ــ تبارك وتعالى ــ فالمراد به الإنتقام لا غيره"، ثم ذكر قول الرازي في بيانه لمعنى غضب الله ، فقال : " قال ابن الخطيب : هنا قاعدة كلية ، وهي أن جميع الأعراض النفسية ــ أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والعتو والتكبر والاستهزاء ــ لها أوائل وغايات ومثاله : الغضب فإن أوله غليان دم القلب ، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه ، فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل الذي أوله غليان دم القلب ، بل على غايته الذي هو إرادة الإضرار ، وأيضاً الحياء له أول وهو انكسار النفس ، وهذه قاعدة شريفة في هذا الباب"[3] .

ومن المواضع التي لم يصرح فيها بالعزو عند تفسيره لقوله تعالى : **(قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها)**[4] عقد فصلاً في تحرير معنى الخسران ، قال فيه : " إعلم أن كلمة "حتى" غاية لقوله : "كذبوا" لا لقوله: "قد خسروا"، لأن خسرانهم لا غاية له ، ومعنى "حتى" ها هنا : أن منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيامة ، والمعنى : أنهم كذبوا بالبعث إلى أن ظهرت الساعة بغتة "[5] .

---

[1] الفاتحة : 7 .

[2] أخرجه أحمد (61/3) الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء ما أخبر به النبي صلى الله عليه ومسلم رقم (191 2) (483/4) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، الحاكم (551/4) كلهم عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف ، انظر ابن حجر:تهذيب التهذيب (3/162-164).

[3] ابن عادل : اللباب (255/1) .

[4] الأنعام : 31 .

[5] ابن عادل : اللباب (103/8) ، الرازي : مفاتيح الغيب (214/14) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(وألقي السحرة ساجدين)** الأعراف : 120 أنظر ابن عادل : اللباب (265/9) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم)** الأنعام : 128 انظر ابن عادل : اللباب (430/8) .

4 ـ مصادره من كتب اللغة والنحو

نزل القرآن الكريم باللغة العربية ـ قال الله تعالى : **(إنا أنزلناه قرآناً عربياً)**[1] ـ على قوم كانت اللغة العربية سليقتهم ، ففهموا معانيه ، وأدركوا حقائقه ، وعرفوا بلاغته وحكمته ، ولما دخلت العجمى إلى العربية ، أخذ فهم معاني القرآن الكريم ، وإدراك حقائقه ، ومعرفة بلاغته يقل ، لذلك وضع علماء اللغة الأسس والقواعد التي تضمن سلامتها من اللحن ، وتحافظ عليها من الشطط والإنحراف .

ومكانة المفسر تتوقف على إحاطته بقواعد التفسير ، وتمكنه منها ، والتي منها الملكة اللغوية والنحوية ، فكلما كان اطلاعه عليها واسعاً ، وتمكنه منها قوياً ، كانت الملكة في إبراز معاني القرآن أقوى وأوضح .

وابن عادل واحد من المفسرين الذين أفادوا من جهود أهل اللغة والنحو في مجال الإعراب والصرف ، وفي الكشف عن المعنى القرآني من نظرتهم الخاصة ، وهو أيضاً في هذا الباب ذو ملكة ودراية قويتين،واطلاع واسع ، فلا يقتصر على النقل والاقتباس فقط،بل يستنبط ويناقش ويرجح في كثير من الأحيان .

وهذه أهم مصادر اللغة والنحو التي أفاد منها ابن عادل في تفسيره :

1 ـ **الكتاب لسيبويه**[2]: يعد الكتاب لسيبويه من أهم المراجع النحوية لكل النحاة الذين جاءوا بعده ، واعتمد ابن عادل على "الكتاب" ، ورجع إليه في تفسيره ، وكان يصرح بالعزو إليه في مواضع ، ويذكر مذهبه في النحو في مواضع أخرى ، فمن المواضع التي صرح فيها بالعزو عند تفسيره لقوله تعالى : **(وما كان أكثرهم مؤمنين)**(3) ذكر قول سيبويه في "كان" فقال : " قال : قال سيبويه : " كان هنا صلة ، مجازه : وما أكثرهم مؤمنين"[4] .

2 ـ **معاني القرآن للزجاج**[5]: يعد هذا الكتاب من المراجع الهامة،والمصادر الأساسية التي

---

(1) يوسف : 2 .

(3) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، وسيبويه لقبه معناه رائحة التفاح ، إمام النحاة على الإطلاق ، وهو غني عن التعريف ، من أشهر كتبه " الكتاب " وهو أشهر كتب النحو على الأطلاق ، توفي على أرجح الأقوال سنة 80 1هـ . ابن العماد : شذرات الذهب (252/1) السيرافي ، الحسن بن عبد الله بن المرزبان ، ت 68 3هـ : أخبار النحويين ، الطبعة المصرية (48) وسيشار إليه فيما بعد هكذا السيرافي : بأخبار النحويين . (3) الشعراء : 8 .

(4) سيبويه:الكتاب،مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ودا ر الرفاعي ـ الرياض ـ 1982 م، تحقيق عبد السلام هارون(73/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا سيبويه:الكتاب،ابن عادل:اللباب (7/15)وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)** الفرقان : 3 6 انظر ابن عادل: اللباب (564-563/14) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون)** الأعراف : 164 انظر ابن عادل : اللباب (361/9) .

(5) هو إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج ، كان يخرط الزجاج ثم مال إلى النحو، أخذ عن المبرد وثعلب وغيرهم =

اعتمد عليها ابن عادل ورجع إليها في تفسيره في الناحية اللغوية والإعرابية ، وكان يصرح بالعزو حيناً ، ولا يصرح حيناً آخر ، ومن المواضع التي صرح بالعزو فيها عند تفسيره لقوله تعالى : **(براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين)**[1] ذكر قول الزجاج في معنى "براءة" ، فقال: " قال الزجاج : " براءة " أي قد برئ الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء بها إذا نكثوا "[2] .

3 ـ **التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري**[3] : يعتبر كتاب التبيان من الكتب التي عنيت بإعراب القرآن الكريم كاملاً ، وقد اعتمده ابن عادل وصحبه في تفسيره ، وجعله أحد المراجع الهامة التي رجع إليها في النحو والإعراب ، وكان يصرح بالعزو إليه حيناً ، وذلك بقوله قال أبو البقاء ، ولا يصرح حيناً آخر ، فمن المواضع التي صرح فيها بالعزو عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن الدين عند الله الإسلام)**[4] ذكر نفي أبي البقاء أن تكون " عند الله حالاً" فقال : "قوله "عند الله " ظرف العامل فيه لفظ " الدين "لما تضمنه من معنى الفعل ، قال أبو البقاء : " ولا يكون حالاً ، لأن "إنّ" لا تعمل في الحال "[5] .

4 ـ **معاني القرآن للفراء**[6] : يعد كتاب معاني القرآن للفراء من الكتب الهامة التي اصطحبها ابن عادل في تفسيره ، فقد اعتمد عليه اعتماداً كبيراً ، ورجع إليه في أكثر المواضع

=له مصنفات منها معاني القرآن والاشتقاق وغيرها ت 311هـ. الداودي : طبقات المفسرين(1/7-10).

[1] التوبة : 1 .

[2] ابن عادل: اللباب(7/10)، الزجاج ، أبو إسحق إبراهيم بن السري ، ت311 هـ : **إعراب القرآن ومعانيه** ، دار الحديث ـ القاهرة ـ تحقيق عبد الجليل شلبي (28/2 4) وسيشار إليه فيما هكذا الزجاج : إعراب القرآن ، وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)** الأعراف : 9 8 نظر ابن عادل : اللباب(326/9) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)** التوبة : 32 نظر ابن عادل : اللباب (76/10) .

[3] هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، أبو البقاء العكبري ، النحوي الحنبلي ، أخذ العربية عن ابن الخشاب وابن القصار، كان متواضعاً ، صدوقاً ، ديناً صالحاً، حسن الأخلاق ، من تصانيفه التبيان في إعراب القرآن وإعراب الشواذ و إعراب الحديث وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات وغيرها ت 616 هـ السيوطي : بغية الوعاة (38/2) ، ابن حجر : العبر(61/5). [4] آل عمران : 19 .

[5] ابن عادل : اللباب (105/5) أبو البقاء : **التبيان في إعراب القرآن** ، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ تحقيق محمد علي البجاوي (248/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا أبو البقاء: التبيان ،وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير)** ... **(ذلك هو الضلال البعيد)** الحج : 12 انظر ابن عادل : اللباب (35/14) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه)** فصلت : 47 انظر ابن عادل : اللباب (153/17).

[6] هو يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي،أخذ العلم عن الكسائي وعليه اعتمد،كان محباً لسيبويه ، حتى إنه كان يضع كتابه تحت رأسه ، له تصانيف كثيرة منها : معاني القرآن ، ت 207هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (149/14) .

التي تطرق فيها إلى الإعراب ، فكان يصرح بالعزو إليه في مواضع كثيرة ، ولا يصرح في مواضع أخرى على عادته مع المصادر الأخرى ، فمن المواضع التي صرح فيها بالعزو عند تفسيره لقوله تعالى : **(إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم)**[1] ذكر أنواع الإستثناء في قوله " إلا من ظلم " ، ثم ذكر قول الفراء ، فقال : " وعن الفراء أنه متصل ، لكن من جملة محذوفة تقديره : وإنما يخاف غيرهم إلا من ظلم "[2] .

5 ــ **مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب**[3] : يعد كتاب مشكل إعراب القرآن من الكتب الهامة التي رجع إليها ابن عادل في تفسيره واعتمد عليها،وكان كعادته مع غيره من المصادر والمراجع يصرح بالعزو حيناً ، ولا يصرح حيناً آخر،فمن المواضع التي صرح فيها بالعزو عند تفسيره لقوله تعالى : **(وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون)**(4) بدأ بإعراب الآية وذكر أقوال النحاة في إعراب "آية " فمنهم من أعربها مبتدأ،ومنهم من أعربها خبر مقدم ، ثم ذكر رأي مكي فقال : " وجوز مكي أيضاً أن تكون " آية " مبتدأ والأرض خبره"[5] .

6 ــ **المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني**[6] : يعد كتاب المفردات من أول الكتب التي عنيت بكلمات القرآن الكريم ، وهو من المؤلفات التي أُفردت في موضوع خاص

---

[1] النمل 10-11 .

[2] الفراء ، يحيى بن زياد ، ت٢٠٧ هـ : **معاني القرآن** ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1980 م تحقيق أحمد يوسف ومحمد علي النجار (287/2) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الفراء : إعراب القرآن ، ابن عادل : اللباب (118/15) و كذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون)** يس : 1 3 انظر ابن عادل : اللباب (206/16) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين)** القصص : 86 انظر ابن عادل : اللباب (3 02/15) .

[3] هو مكي بن أبي طالب ، حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي ، كان فقيهاً مقرئاً أديباً ، غلب عليه علم القرآن ، وكان من الراسخين فيه ، أخذ العلم عم أبي الحسن القابسي وأبو القاسم المالكي وإبراهيم المروزي وغيرهم ، له مصنفات كثيرة منها : إعراب القرآن واللمع والهداية في التفسير وغيرها ، ت 07 4هـ . ابن فرحون : الديباج المذهب (346) ، الداودي : طبقات المفسرين (331/2-332) .

(4) يس : 33 .

[5] مكي بن أبي طالب : **مشكل إعراب القرآن**،مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط 2 تحقيق د. حاتم الضامن (603/2)وسيشار إليه فيما بعد هكذا مكي : مشكل إعراب القرآن ، وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **إن الذين أمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)**المائدة:69 انظر ابن عادل:اللباب(448/7) وعند تفسيره لقوله تعالى : **(لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة)** النساء:62 1 انظر ابن عادل : اللباب (122/7).

[6] هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، لا يعرف متى ولد ولا أين تلقى العلم ، من مصنفاته المفردات في غريب القرآن والذريعة إلى مكارم الشريعة وغيرها ، ت 02 5هـ السيوطي : بغية الوعاة=

يتعلق بالقرآن الكريم ، وقد عدها بعض الباحثين المعاصرين من لبنات التفسير الموضوعي[1] ، ولأهميته فقد اصطحبه ابن عادل في تفسيره ، وكان يصرح بالعزو إليه في أغلب الأحيان ، ولا يصرح حيناً آخر ، فمن المواضع التي صرح بالعزو عند تفسيره لقوله تعالى : **(وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين)**[2] ذكر في اشتقاق كلمة "معين " وجهين أردفهما بقول الراغب فقال : " وقال الراغب : هو من مَعَنَ الماء جرى ، وسمي الماء الجاري مُعْنان ، وأَمْعَن : تباعد في عدوه ، وأمعن بحقي : ذهب به، وفلان مَعْنٌ في حاجته"[3] يعني سريعاً ، فكله راجع إلى معنى الجري والسرعة[4] .

7 ــ **إعراب القرآن للنحاس**[5] : يعتبر كتاب إعراب القرآن من المصادر الهامة التي رجع إليها ابن عادل واعتمد عليها في تفسيره، وصرح بالعزو إليه في مصادر كثيرة منها عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون)**[6] ذكر أن المراد بالفرقان عدة أمور منها القرآن ، فقال : " وقيل : "الفرقان" هنا اسم للقرآن، قالوا : والتقدير ــ ولقد آتينا موسى الكتاب ، ومحمداً الفرقان "[7] ، ثم ذكر رد النحاس لهذا القول ، فقال : " قال النحاس : هذا خطأ في المعنى والإعراب ، أما الإعراب فلأن المعطوف على الشيء مثله وهذا يخالفه ، وأما المعنى فلقوله : **(ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان)**[8]"[9] .

ـ (297/2) زادة ، طاش كبرى:مفتاح السعادة،دار الكتب الحديثة ــ القاهرة ــ 968 1م تحيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور (1226) وسيشار إليه فيما بعد هكذا زادة : مفتاح السعادة .

[1] الخالدي ، د. صلاح عبد الفتاح : التفسير الموضوعي بين النظري والتطبيق ، دار النفائس ــ بيروت ــ (6 3) وسيشار إليه فيما بعد الخالدي : التفسير الموضوعي . (2) المؤمنون : 50 .

[3] الأصفهاني : المفردات ، طبعة الحلبي ــ القاهرة ــ 1381هـ ، تحقيق محمد سيد كيلاني (470) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الراغب : المفردات .

[4] ابن عادل : اللباب (224/14) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت ربِّ إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)** النمل : 44 انظر ابن عادل:اللباب (171/15)وعند تفسيره لقوله تعالى : **(قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين)** يوسف : 51 انظر ابن عادل : اللباب (128/11) .

[5] هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس النحوي أبو جعفر ، المفسر النحوي ، له تصانيف كثيرة منها: إعراب القرآن ، الناسخ والمنسوخ وغيرها ، ت 337 هـ . الداودي : طبقات المفسرين (67/1-70) .

[6] البقرة : 53 . (7) ابن عادل : اللباب (77/2) .

[8] الأنبياء: ٤٨ .

[9] ابن عادل : اللباب (٧٧/٢)، النحاس،: إعراب القرآن ، عالم الكتب ــ بيروت ــ ط 3 1998م،تحقيق د. زهير غازي زاهد (225/1)وسيشار إليه فيما بعد هكذا النحاس:إعراب القرآن وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم)** يوسف : 9 انظر ابن عادل : اللباب (25/11) وعند تفسيره لقوله تعالى **(في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون)**الروم: 3 انظر ابن عادل : اللباب (383/15) .

8 ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن لأبي البقاء العكبري : وهذا الكتاب أيضاً كان يصرح إليه بالعزو حيناً ، وذلك بقوله: قال: أبو البقاء ، ولا يصرح حيناً آخر ، فمن المواضع التي صرح فيها بالعزو عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً)**[1] قال:" قال: أبو البقاء : " من آمن " مفعول "تصدون" لا مفعول "تُوعِدون" ، إذ لو كان مفعولاً للأول لقال : " تصدونهم "[2] .

هذه هي أهم كتب النحو واللغة التي رجع إليها واعتمد عليها ابن عادل في تفسيره ، بالإضافة إلى كتب أخرى كان يرجع إليها ، ونحاة آخرين كان يصرح بأسمائهم .

---

[1] الأعراف : 86 .

[2] العكبري : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن ، دار الحديث ـ القاهرة ـ تحقيق إبراهيم عطوة محمد (279/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا العكبري : الإملاء ، ابن عادل : اللباب (212/9) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) البقرة :17 2 انظر ابن عادل : اللباب (16/4) وعند تفسيره لقوله تعالى : (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) البقرة : 7 2 انظر ابن عادل : اللباب (468/1) .

الفصل الثاني

طريقة ابن عادل في التفسير

المبحث الأول

طريقة ابن عادل في تفسيره

نستطيع تفصيل طريقة ابن عادل في تفسيره في هذه النقاط:

1 ـ رتب ابن عادل تفسيره ـ كغيره من المفسرين ـ حسب ترتيب سور القرآن الكريم ابتداء من سورة الفاتحة ، وانتهاءً بسورة الناس .

2 ـ يذكر قبل الشروع في تفسير السورة هي مكية أو مدنية ، وعدد آياتها وعدد حروفها ، فمثلاً :

أ ـ قبل شروعه في تفسير سورة الحج قال : "سورة الحج مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله: **(هذان خصمان)** إلى قوله :**(وهدوا إلى صراط الحميد)**[1]،وهي ثمان وتسعون آية ، وعدد كلماتها ألفان ومائتان وإحدى وتسعون كلمة ، وعدد حروفها خمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفاً "[2][3] .

ب ـ قبل شروعه في تفسير سورة فصلت قال :" سورة فصلت مكية وهي أربع وخمسون آية ، وسبعمائة وتسع وتسعون كلمة ، وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفاً [4] .

3 ـ يُعتبر تفسير ابن عادل من التفسير التفصيلي ، حيث يأتي بالآيات ذات الموضوع الواحد في السورة ، أو بالآية الواحدة ذات الموضوع الواحد في السورة ، ثم يشرع في تفسيرها وذلك ببيان ما فيها من اللغة والنحو والقراءات وأسباب النزول والوجوه والنظائر ، والأمور الأخرى التي لها علاقة بالتفسير ،كما يفعل غيره من المفسرين كالقرطبي وابن عطية وأبو حيان وغيرهم من المفسرين .

فمثال الآيات ذات الموضوع الواحد التي فسرها ابن عادل قوله تعالى : **(وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين**

---

[1] الحج : 19-24 .

[2] ابن عادل : اللباب (3/14) .

[3] ذكر الزركشي أنها مدنية ، وفيها أربع آيات مكية: قوله تعالى: **(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تمنى)** إلى قوله : **(عقيم)** الآيات (52-55) الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، ت 794هـ : **البرهان في علوم القرآن** دار المعرفة ، ط 2 ، تحقيق د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون (290/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الزركشي : لبرهان ، وذكر السيوطي أنها مكية سوى ثلاث آيات **(هذان خصمان)** إلى تمام الآيات الثلاث فإنهن نزلن بالمدينة أنظر السيوطي: الإتقان (12/1) .

[4] ابن عادل:اللباب(96/17)الزركشي:البرهان(281/1)السيوطي:الإتقان (13/1).

إلى قوله تعالى **كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آيات لعلكم تعقلون)**[1]فقدأتى بهاكلها لأنها تتضمن موضوعاًواحداًوهو أمر موسى عليه السلام لقومه أن يذبحوابقرة وما تبع ذلك الأمرمن نتائج[2].

ومثال الآية الواحدة ذات الموضوع الواحد قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنــوا إذا تداينتــم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ...)**[3]فقد أتى بها مفردة لأنها تتعلق بموضوع واحد وهو الديـــن وما يتعلق به من أحكام[4] .

4 ـ يأتي ابن عادل على السورة فيفسر آياتها حسب الموضوع ـ كما ذكرت في النقطـــة السابقة ـ ولا يترك آية منها إلاّ إذا تكررت تلك الآية في نفس السورة ، فيكتفي بتفســيرها أول مرة في أول موضع تأتي فيه في السورة ومن أمثلة ذلك :

أ ـ في سورة القمر : قال الله تعالى : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)**[5]تكررت هذه الآية في هذه السورة أربع مرات ، فاكتفى بتفسيرها في أول موضع ذكرت فيه[6] ، وتــرك الباقي دون تفسير لأنها توحي بنفس المعنى فلا حاجة لإعادة تفسيرها مرة ثانية .

ب ـ في سورة الرحمن : قال الله تعالى: **(فبأي آلاء ربكما تكذبان)**[7]تكررت هذه الآيـــة في هذه السورة نيفاً وثلاثين مرة ، فاكتفى بتفسيرها في أول موضع ذكرت فيــه[8] وقـــال فـــي الموضع الثاني " تقدم الكلام على قوله فبأي آلاء " إلى آخره[9] .

ج ـ في سورة المرسلات : قال : الله تعالى **(ويل يومئذ للمكذبين)**[10]تكررت هذه الآيـــة في هذه السورة تسع مرات ، واكتفى بتفسيرها أول موضع وردت فيه[11]ولم يفسرها في غــــير هذا الموضع ، لأنها توحي بنفس المعنى .

5 ـ يحيل ابن عادل عند تفسيره لبعض الآيات ـ خاصة إذا تكررت الألفاظ المتشـــابهة أو تعددت القضية الواحدة ـ إلى مواضع أخرى من تفسيره ، وهذه الإحالة في غالبها تكـــون قـــد سبق تفسيرها ، وهي كثيرة ،وفي بعض الأحيان تكون الإحالة إلى مواضع متأخرة من تفسيره ، وهي قليلة ، والإحالة إلى ما سبق على نوعين :

الأول : الإحالة بذكر الموضع :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)**[12]لم يبين معنى

---

(1) البقرة : 76-73 .
(2) انظر ابن عادل : اللباب (153/2)
(3) البقرة : 282 .
(4) انظر ابن عادل : اللباب : (475/4) .
(5) القمر : 17.
(6) انظر ابن عادل : اللباب (253/18) .
(7) الرحمن : 13 .
(8) انظر ابن عادل : اللباب (311/18) .
(9) اللباب : (315/18) .
(10) المرسلات : 19 .
(11) انظر ابن عادل : اللباب (71/20) .
(12) المؤمنون : 11 .

معنى الفردوس، لأنه سبق وأن بينه، فقال :" تقدم الكلام في الفردوس في سورة الكهف "[1][2].

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين)**[3]

لم يبين معنى الكسف ، لأنه سبق أن بينه في موضع آخر ، فقال : " وقد تقدم الكلام في "كسفاً" واشتقاقه في الإسراء "[4][5]

الثاني : الإحالة بغير ذكر الموضع :

١ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون)**[6] قال : قوله : " شهوة : مفعول لأجله ، أو في موضع حال ، وقد تقدم "[7] ، وهذا الموضع المتقدم في سورة الأعراف[8] .

٢ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين)**[9] قال : " قوله : ولما بلغ أشده تقدم الكلام فيه "[10]، وهذا الموضع المتقدم في سورة يوسف (11) .

أما الإحالة إلى ما سيأتي فهي قليلة ، منها :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ألم~ ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)** (12)قال : "فإن قيل : فهذا المعنى ورد في سورة التوبة، وهو قوله : **(براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين)** (13)ولم يقدم عليه حروف التهجي ، فالجواب : أن هذا ابتداء كلام ، ولهذا وقع الاستفهام بالهمزة ،فقال:"أحسب" ، وذلك وسط كلام بدليل وقوع الاستفهام تاماً ، والتنبيه يكون في أول الكلام ، لا في أثنائه ، وأما **(ألم~ غلبت الروم)**(14) فسيجيء في موضعه إن شاء الله تعالى" (15) .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)**(16)قال: " وقد قرأ الكسائي

---

(1) ابن عادل : اللباب (175/14) .
(2)عند تفسيره لقوله تعالى:(كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) الكهف: 107 .
(3) الشعراء : 187 .
(4) ابن عادل : اللباب (77/15)
(5)عند تفسيره لقوله تعالى : (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً) الإسراء : 92.
(6) النمل : 55 .
(7) ابن عادل : اللباب (183/15) .
(8) عند قوله تعالى (إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) الأعراف : 81 .
(9) القصص : 14 .
(10) اللباب (224/15) .
(11) عند قوله تعالى:(ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً) يوسف : 22.
(13) العنكبوت : 1-2.
(13) التوبة : 1 .
(14) الروم : 1-2 .
(15) اللباب (308/15) .
(16) النحل: 116 .

: "ولا كِذَابا" بالتخفيف ، كما سيأتي في سورة النبأ إن شاء الله تعالى"[1](2) .

6 ـــ السمة البارزة في تفسير ابن عادل هي التوسع ، خاصة في النحو واللغة ، فقد توسع فيهما توسعاً كبيراً ، ذاكراً اختلاف اللغويين والنحاة في ذلك ، وأكثر من ذكر الشواهد اللغوية والنحوية،وتطرق كثيراً للقراءات ، المتواترة منها والشاذة، وذكر القصص،وعني بالأمور الفقهية وذكر قول كل ذهب في المسألة الفقهية التي تطرق إليها ، كما حفل أيضاً بإيراده المناقشات والردود على أهل الزيغ والضلال كالمعتزلة والمرجئة والخوارج وغيرها من الفرق الضالة .

7 ـــ لم يسر ابن عادل في تفسيره للآيات ذات الموضوع الواحد ، أو الآية الواحدة ذات الموضوع الواحد ، على وتيرة واحدة ، كما فعل أبو حيان وغيره من المفسرين ، فكان يبدأ مرة بسبب النزول ، ومرة بمناسبة الآية أو السورة لما قبلها ، ومرة بذكر القراءات ، ومرة بالناحية البلاغية ، وغير ذلك ، فمثلاً :

أ ـــ فعند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة)**[3]شرع بذكر المناسبة فقال : "قال ابن الخطيب: وجه تعلق هذه السورة بآخر ما قبلها ، هو أنه تعالى أشار في آخر السورة التي قبلها إلى كمال علمه بقوله : "عالم الغيب والشهادة "، وفي أول هذه السورة أشار إلى كمال علمه بمصالح النساء ، والأحكام المخصوصة بطلاقهن"(4) .

ب ـــ وعند تفسيره لقوله تعالى : **(وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين** ...إلى قوله تعالى...**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)**[5] بدأ بذكر القراءات فقال: "قوله : "جزءاً " قرأ عاصم ـــ في رواية أبي بكر ـــ "جُزُءاً " ـــ بضم الجيم والزاي ـــ في كل القرآن ، والباقون بإسكان الزاي في كل القرآن "(6).

ث ـــ وعند تفسيره لقوله تعالى : **(ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم)**[7] بدأ بالناحية البلاغية ، فقال : قوله: "ولولا إذ سمعتموه قلتم" كقوله : **(لولا إذ سمعتموه ظن)**(8) ولكن الالتفات فيه"[9] .والإلتفات في الأولى من الخطاب إلى المتكلم وفي الثانية من الخطاب إلى الغيبة .

ج ـــ وعند تفسيره لقوله تعالى: **(وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً)**(10) بدأ بذكر سبب النزول فقال : " قوله : وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها " روى مسلم عن

---

(1) اللباب (١٢/١٧٩) .
(2) عند قوله تعالى : **(لا يسمعون فيها لغواً ولا كذّاباً)** النبأ : 35 .
(3) الطلاق : 1 .
(4) ابن عادل : اللباب (124/19) .
(5) الزخرف : 23/15 .
(6) ابن عادل : اللباب (240/17) .
(7) النور :16 .
(8) النور : 12 .
(9) ابن عادل : اللباب (326/14)
(10) الجمعة : 11 .

جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثني عشر رجلاً ، وفي رواية : أنا فيهم ، فنزلت هذه الآية : " وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً "[1] [2] .

هـ ـ وعند تفسيره لقوله تعالى : **(والذين يظاهرون منكم من نسائهم ثم يعودون لما قالوا)** [3] بدأ بالنحو والإعراب فقال : " قوله : " والذين يظاهرون " مبتدأ ، وقوله : " فتحرير رقبة " مبتدأ ثانٍ وخبره مقدم ، أي : فعليهم ، أو فاعل بفعل مقدر ، أي : فيلزمهم تحرير ، أو خبر مبتدأ مضمر ، أي : فالواجب عليهم تحرير " [4] .

8 ـ وضع في آخر كل سورة من السور القرآنية حديثاً في فضلها ،كما فعل الزمخشري ، وهذه الأحاديث أغلبها لا يصح ولا يحسن منها إلاّ القليل النادر ، فمن الصحيح ما ذكره في آخر سورة البقرة ، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه[5] " [6] .

ومن الحسن ما ذكره في آخر سورة الإخلاص ، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع رجلاً يقول : " قل هو الله أحد " فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " وجبت " ، قلت : وما وجبت ؟ قال : " الجنة " [7] " [8] .

ومن الأحاديث الضعيفة والموضوعة :

1 ـ ما ذكره في آخر سورة المجادلة ، قال : " روى الثعلبي في تفسيره عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله ـ تعالى ـ يوم القيامة " [9] " [10] .

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب إذا نفر الناس عن الإمام رقم (894) (316/1) مسلم في كتاب الجمعة باب قوله تعالى : " وإذا رأوا تجارة رقم (863) (590/2) .

(2) ابن عادل : اللباب (19/4 9) .

[3] المجادلة : 3 .

(4) ابن عادل : اللباب : (521/18) .

[5] أخرجه البخاري (٤/١٩٢٣) كتاب فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن رقم(553 4) ، مسلم (555/1) كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة الفاتحة وخواتيم البقرة،رقم (808)، ابن ماجه (435/1) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء فيما يرجى أن يكفي من قيام الليل،رقم (368 1).

(5) ابن عادل : اللباب (543/4) .

[7] أخرجه النسائي (171/2) كتاب الإفتتاح باب الفضل في قراءة هو الله أحد ، رقم (44 9) ، احمد(302/2) ، الترمذي (167/5) كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في سورة الإخلاص ، رقم (897 2) وقال حديث حسن غريب .

(8) ابن عادل : اللباب (566/20) .

[9] ذكره العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد بن حجر ، ت 52 8هـ : الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط 1 1997م (83 2) حيث عزاه إلى الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن حجر : الكافي الشاف .

(10) ابن عادل : اللباب (561/18).

2 ـ ما ذكره في آخر سورة ص ، قال : " روى الثعلبي في تفسيره : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من قرأ سورة ص أعطي من الأجر بعدد كل جبل سخره الله لداود ـ عليه السلام ـ عشر حسنات ، وعُصِم أن يُصِرَّ على ذنب صغير أو كبير " [1][2]

3 ـ ما ذكره في آخر سورة الدخان ، قال : روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ حم الدخان في ليله أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك "[3]"[4] .

4 ـ ما ذكره في آخر سورة الرحمن ، قال : روى الثعلبي عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لكل شيء عروس ، وعروس القرآن سورة الرحمن ، جل ذكره "[5]"[6] .

---

[1] ذكره ابن حجر : الكاف الشاف (242) وعزاه إلى الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حيث كعب رضي الله عنه .

[2] ابن عادل : اللباب (463/16) .

[3] البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت 58 4هـ : شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ 1410هـ تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول رقم (75/2 4) (484/2) وسيشار إليه فيما بعد هكذا البيهقي : شعب الإيمان ، الترمذي كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل حم الدخان ، رقم (888 2) (163/5) وقال أبو عيسى حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وعمر بن أبي خثعم يضعف ، وقال محمد: وهو منكر الحديث ، وذكره السيوطي : الجامع الصغير ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٤ ، وعزاه للترمذي ورمز له بالضعف (26/2 1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا السيوطي الجامع الصغير .

(4) ابن عادل : اللباب (188/17) .

[5] أخرجه البيهقي : شعب الإيمان رقم (2449) (490/2) ، وذكره السيوطي : الجامع الصغير وعزاه للبيهقي في " شعب الإيمان " ورمز له بالضعف (178/2) ، والمناوي ، عبد الرءوف ، ت 031 1هـ : فيض القدير ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط1 1356هـ ، وقال: فيه أحمد بن دبيس عده الذهبي في الضعفاء والمتروكين ، وقال الدارقطني : ليس بثقة (286/5) وسيشار إليه فيما بعد هكذا المناوي : فيض القدير .

(6) ابن عادل : اللباب (366/18) .

المبحث الثاني

جمع ابن عادل بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

إن القارئ لتفسير ابن عادل قراءة فاحصة ومتأنية ، يجد أنه قد جمع بين فني التفسير، التفسير بالمأثور سواءً كان تفسير القرآن بالقرآن ، أو تفسير القرآن بالسنة، أو تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين ، والتفسير بالرأي المحمود القائم على أسس التفسير الصحيحة وقواعده السليمة ، وحسب ما تقتضيه قواعد اللغة والنحو ، وسائر أدوات العلوم الإسلامية ، يجد أن تفسيره يجمع بين هذين الفنين وإن كانت السمة الغالبة عليه هي التفسير بالرأي المحمود ، التي يلمسها القارئ بين الفينة والأخرى .

والتفسير بالمأثور عند ابن عادل أولاً ، وإن كان لا يبدأ به ، لأنه لا يسير على وتيرة واحدة في تفسيره كما بينت في طريقته في التفسير ، ثم التفسير بالرأي المحمود ثانياً ، وقد تحصل بينهما مراوحة[1] ، ومثال ذلك :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم)**[2] حيث كان التفسير بالمأثور لهذه الآية هو الغالب ،حيث ذكر سبب نزولها ــ وهوحديث الإفك ــ بالتفصيل[3] ، وذكر أحاديث نبوية شريفة [4] ، وذكر أقوال بعض التابعين[5] وكان التعرض للتفسير بالرأي فيها أقل .

2 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)**[6] حيث كان التفسير بالرأي هو الغالب ، وكان التعرض للتفسير بالمأثور قليل ، فذكر سبب نزولها فقط[7] .

---

[1] المراوحة : هي عملان في عمل ، يعمل ذا مرة وذا مرة ، ابن منظور : لسان العرب مادة روح (66/2 4) .

[2] النور : 11 .

[3] سبب النزول هو حديث الإفك أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب حديث الإفك رقم (910 3) (1517/4) مسلم في كتاب التوبة باب في حديث الإفك رقم (770 2) (2130/4).

[4] من هذه الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام : "من سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة " أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب قبول الصدقة رقم (617 1) (704/2-705) أحمد (387/5) الترمذي في كتاب الاستئذان باب ما جاء الدال على الخير رقم (675 2) (43/5) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ابن ماجه في المقدمة باب من سن سنة حسنة أو سيئة رقم (03 2) (74/1) . انظر ابن عادل : اللباب (312/3-318).

[5] من هذه الأقوال قول مسروق لعائشة لما دخل عليها ووجد عندها حسان بن ثابت : " لِمَ تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله : " والذي تولى كبره منهم له عذاب أليم " ؟ قالت : " وأي عذاب أشد من العمى " . أخرجه الطبري (8/18 8) وأورده البغوي : معالم التنزيل (٣٣٢/٣) وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (73 3) والسيوطي : الدر المنثور (158/6) انظر ابن عادل : اللباب (321/14) .

[6] البقرة : 8 .

[7] سبب النزول هو ما قاله ابن عباس : "إنما نزلت هذه الآية في منافقي الأوس والخزرج ، كعبد الله بن أُبي ومُعتِّب بن =

وهذه المراوحة ليست سمة خاصة بابن عادل ، بل هي سمة معظم المفسرين الذين جـاءوا بعد محمد بن جرير الطبري الذي أصل قواعد التفسير ، فمعظم التفاسير تتطرق لفني التفسير ، لكن تُغَلِّب أحدهما على الآخر ، فتفسير ابن كثير مثلاً غُلِّب فيه جانب المأثور على جانب الرأي فعُد من التفسير بالمأثور ، وتفسير القرطبي غُلِّب فيه جانب الرأي فعُد من التفسير بـالرأي ، ولا يوجد ــ فيما أعلم ــ تفسير اقتصر على المأثور فقط سوى تفسير الدر المنثور للإمام السيوطي.

وابن عادل في التفسير بالمأثور وقّاف عند النص حيناً، ينحى فيه منحى الأشاعرة،يرد على كل من يحاول تجاوزه ، فقد عنف على النحاة عندما حاولوا الطعن في إحدى القراءات المتواترة فعند تفسيره لقوله تعالى: **(استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلاّ بأهله)**[1] قال : " وقرأ العامة بخفض همزة "السيئ" ، وحمزة والأعمش[2]، بسكونها وصلاً ، وقد تجـرأت النحاة على هذه القراءة ونسبوها لِلّحْن ونزهوا الأعمش من أن يكون قرأ بها ، قـالوا : وإنمـا وقف مُسكِّناً فظُنَّ أنه واصل فَغُلِّط عليه"[3] ، وقد رد على هؤلاء رداً علمياً أبطل فيه زعمهم فقال : "وقد احتج لها ــ أي لهذه القراءة ــ قوم بأنه إجراء الوصـل مُجـرى الوقـف ، أو أجـري المنفصل مُجرى المتصل حَسَّنه كون الكسرة على حرف ثقيل بعد ياءٍ مشددة مكسورة "[4] .

وهو كذلك في التفسير بالرأي لا يخرج عن قواعده وشروطه[5] ، التي وضعها واشـترطها المفسرون ، وهو لا يُعْمِل العقل في النص ، ويرد على الذين يحاولون تفسيره حسب أهوائـهم

= بن قُشير وجد بن قيس وأصحابهم " .أخرجه الطـبري (155/1-56 1) وأورده البغـوي : معـالم التـنزيل (49/1) والسيوطي : الدر المنثور (73/1) ، انظر ابن عادل : اللباب (332/1) .

[1] فاطر : 43 .

[2] هو سليمان بن مهران الأعمش الكاهلي مولاهم ، الكوفي ، رأى أنساً رضي الله عنه ، روى عن عبد الله بن أبي أوفـى وزيد بن وهب وغيرهم ، قرأ القرآن على يحيى بن وثاب ، وقرأ عليه حمزة الزيات وغيره ، روى عنه شعبة والسـفيانان وغيرهم ، ت 148 هـ . الذهبي : معرفة القراء الكبار (94/1-6 9) .

[3] ابن عادل : اللباب (155/16-156) وانظر الزجاج : معاني القرآن (275/4) حيث قال : وهذا عند النحويين الحـذاق لحن ولا يجوز ، وإنما يجوز مثله في الشعر .

[4] ابن عادل : اللباب (166/16) ، وكان رده مستمداً من الكتب التالية : الحجـة فـي القـراءات السـبعة (97/1 2) ، الزمخشري : الكشاف (312/3) ، السمين الدر المصون (241/9) .

[5] شروط التفسير هي :

1 ــ صحة الاعتقاد : فإن من كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا ، فكيف على الدين ؟ .

2 ــ أن يبدأ بتفسير القرآن بالقرآن ، لأن ما أُجمل في مكان فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسـط في موضع آخر .

3 ــ أن يطلب التفسير من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا أحد أعلم بتفسير القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه عليه أنزل ، فالسنة شارحة للقرآن و موضحة له، وذكر الله أن السنة مبينة للكتاب قال الله تعالى: **(إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أراك الله)** النساء:50 ، وقال رسول الله صلى الله عيه وسلم: "ألا إني أوتيت القرآن

الضالة ، وحسب مبادئ نحلهم وفرقهم المنحرفة ، وقد عقد فصولاً كثيرة في تفسيره رد فيها على الذين خرجوا عن قواعد التفسير وشروطه ، كالمعتزلة والقدرية والجبرية وغيرها من الفرق الضالة .

وبذلك يكون الإمام ابن عادل قد جمع في تفسيره بين فني التفسير ، التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود ، وكانت السمة الغالبة عليه هي التفسير بالرأي المحمود ، وسأبين ذلك عند الكلام عن منهجه في التفسير .

ومثله معه" أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة رقم (604 4) (11/5-12) ، الترمذي في كتاب العلم باب ما نهي أن يقال عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم (664 2)(38/5)،وقال:هذا حسن غريب من هذا الوجه.

4 ـ أن يرجع إلى أقوال الصحابة إن لم يجد التفسير في السنة النبوية ، لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال عند نزوله ، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح .

5 ـ أن يرجع إلى أقوال التابعين إن لم يجد التفسير في الكتاب ولا في السنة وفي أقوال التابعين لأنهم تلقوا تفسيرهم عن الصحابة ، والمعتمد في تفسير التابعين هو النقل الصحيح .

6 ـ العلم باللغة العربية وفروعها ، لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، قال تعالى : (إنا أنزلناه قرآناً عربياً) يوسف : 2 ، وقال الإمام مالك : " لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً " السيوطي : الإتقان (229/2) .

7 ـ معرفة العلوم التي تخدم القرآن ، كعلم القراءات ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك .

هذه الشروط مختصرة من " شروط معرفة المفسر وآدابه " من كتاب الإتقان للسيوطي (225/2-38 2) ، وانظر القطان : مباحث في علوم القرآن (229-231) .

الباب الثالث

منهج ابن عادل في التفسير

ويشتمل على فصلين

الفصل الأول : منهجه في التفسير بالمأثور وما يتعلق به

الفصل الثاني : منهجه في التفسير بالرأي وما يتعلق به

الفصل الأول

منهجه في التفسير بالمأثور وما يتعلق به

المبحث الأول

منهجه في التفسير بالمأثور

المراد بالتفسير بالمأثور الذي سيكون مدار البحث حوله هو :

أولاً : تفسير القرآن بالقرآن .

ثانياً : تفسير القرآن بالسنة .

ثالثاً : تفسير القرآن بأقوال الصحابة .

رابعاً : تفسير القرآن بأقوال التابعين .

هذه الطرق الأربعة هي أفضل طرق التفسير عند السلف الصالح وأحسنها ، وقد أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله في مقدمة تفسيره فقال : " فإن القائل ما هي أحسن طرق التفسير عند السلف ؟ فالجواب أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان،فإنه قد فسر في موضع آخر"[1].

فتفسير القرآن بالقرآن هو الطريق الأول والأسلم والأصح في هذا الفن في التفسير ، فكثير من الآيات القرآنية يفسر بعضُها بعضا ، تفسيراً واضحاً .

ومن المعلوم أنه ليس كل أي القرآن يفسر بعضه بعضاً ، لذا كان من المحتم واللازم أن يرجع المفسر الذي أعياه تفسير القرآن بالقرآن إلى السنة ، قال ابن كثير : " فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له"[2] ، قال الله تعالى : **(وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)**[3] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)[4]، والذي أوتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هي السنة ، لأنها من الله تعالى .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن الكريم كله ، وإنما كان يفسر لأصحابه ما كانوا يسألونه عنه ، وهذا ما ذهب إليه جماهير أهل العلم ، عند ذلك يتحتم على المفسر أن يرجع إلى تفاسير الصحابة الكرام ، لأنهم شاهدوا نزوله ، وعرفوا دقائقه كابن عباس رضي الله عنهما الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[5] ،

---

[1] مقدمة تفسر ابن كثير (4/1) . [2] المرجع السابق (4/1) .

[3] النحل : 64 .

[4] أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة رقم(4604) (11/5-12) ، الترمذي في كتاب العلم باب مانهى أن يقال عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم (666 2) (38/5) وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

[5] أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء رقم (143) (66/1).

وغيره من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، قال ابن كثير : " وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك ، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولمالهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح"[1] .

أما بالنسبة لتفسير التابعين فقد اختلف العلماء فيه من حيث الأخذ به والاحتجاج به، فمنهم من يأخذ به ويحتج به ومنهم من لم يأخذ به ولم يحتج به ، قال ابن كثير : "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ، وقد جعل الذين لم يحتجوا بتفسير التابعين النظر والاستنباط في المرتبة الرابعة بدلاً من تفسير التابعين ، قال الزركشي[2]: "فإن لم يوجد ــ يعني في السنة ــ يرجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن ، ولما أُعطوه من الفهم العجيب ، فإن لم يوجد ذلك يرجع إلى النظر والاستنباط "[3] .

وفي هذا المبحث سأتناول هذه التفاسير الأربعة عند ابن عادل بموضوعية تعيننا على فهم منهجه في التفسير بالمأثور ، فحين أتحدث عن أي نوع منها لا أتحدث عنه كموضوع ، وإنما أتحدث بالقدر الذي يظهر منهجه ويجليه ويوضحه .

أولاً : تفسير القرآن بالقرآن : لقد كان منهج ابن عادل في تفسير القرآن بالقرآن على النحو التالي :

أ ــ تفسير الآية القرآنية في السورة بنظيرتها في السورة الأخرى ، ومن ذلك :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون)** [4] ، وردت كلمة "القول" في هذه الآية عامة ، ولكنها مخصصة في سورة السجدة ، ولذا لم يتعد ابن عادل التفسير القرآني فقال : "قوله لقد حق القول " وجب العذاب "على أكثرهم فهم لا يؤمنون" وهذا كقوله : **(ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين)**[5]وفي الآية وجوه أشهرها أن المراد من القول هو قوله تعالى : **(ولكن حق القول مني)**[6][7] . 2

2 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور)**[8] ورد العروج في هذه الآية مطلقاً ، ولكنه قيد في

---

[1] مقدمة تفسير ابن كثير (5/1) .

[2] هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أخذ العلم عن ابن كثير والأسنوي والسراج البلقيني وغيرهم ، كان فقيهاً أصولياً مفسراً ، له مصنفات كثيرة منها شرح العمدة وغيرها ، ت 794هـ . الأدنروي : طبقات المفسرين (02 3) .

[3] الزركشي : البرهان (316/2) .

[4] يس : 7 .

[5] الزمر : 71 .

[6] السجدة : 13 .

[7] ابن عادل : اللباب (170/16) .

[8] سبأ: 2 .

سورة فاطر ، ولم يتعد ابن عادل هذا التقييد فقال : " وما يعرج فيها " من الكلام الطيب لقوله : **(إليه يصعد الكلم الطيب)**[1] والملائكة والأعمال الصالحة لقوله : **(والعمل الصالح يرفعه)**[2][3]

3 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنــه هــو التــواب الرحيم)**[4] إن كلمة " كلمات " وردت مبهمة ،وبُيِّن هذا الإبهام في سورة الأعراف ، ولم يتجــاوز ابن عادل التفسير القرآني في تبيين هذا الإبهام ، فقال : "وروي عن ابن عباس أنها قوله تعالى : **(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)**[5][6] .

ب ــ تفسير الآية بما يليها في السياق القرآني ، ومن ذلك :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الخير منوعاً وإذا مســـه الشر جزوعاً)**[7] وردت في هذه الآية كلمة "هلوعاً" وقد فسرها ابن عادل بما جاء بعدها فقــال : "والهلع مُفَسَّرٌ بما بعده ، وهو قوله "إذا ، وإذا "[8] ــ أي "إذا مسه الخير منوعاً وإذا مسه الشــر جزوعاً " ــ وعضد تفسيره هذا بتفسير آخر فقال : " قال ثعلب[9] : سألني محمد بن عبــد الله بن طاهر[10]: ما الهلع ؟ فقلت : فسره الله ، ولا يكون أبين من تفسيره ، وهو الذي إذا ناله شــر أظهره ، وإذا ناله خير بخل به ومنعه[11] .

2 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم)**[12] فسر إرسال نوح إلى قومه بأنه منذر لهم ، فقال : " قوله : " أن أنذر " يجــوز أن تكون المفسرة فلا يكون لها موضع من الإعراب ، لأن في الإرسال معنى الإنذار فلا حاجة إلى إضمار الباء ، ويجوز أن تكون مصدرية ، أي أرسلناه بالإنذار"[13] .

ج ــ تفسير الآية بأكثر من آية إذا كانت تحتمل أكثرمن معنىمع الترجيح في بعض الأحيان

---

(1) فاطر : 10 .
(2) فاطر : 10 .
(3) إبن عادل : اللباب (5/16) .
(4) فاطر : 10 .
(5) الأعراف : 23 .
(6) ابن عادل : اللباب : (575/1) .
(7) المعارج : 19-21 .
(8) ابن عادل : اللباب (366/19) .
(9) هو أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني مولاهم ، أبو العباس ثعلب ، كان محدثا ، لقب بشيخ العربية ، سمع من سلمة بــن عاصم ومحمد بن سلام الجمحي وغيرهم ، وعنه الأخفش الأصغر ونفطويه وغيرهم ، ت 91 2هــــ . بغيــة الوعــاة (396/1) ابن الجزري : غاية النهاية (148/1) ، ابن النديم : الفهرست (94) .
(10) هو محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي كان شاعرا وأديبا ، ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل ، ت 53 2هــ إبــن خلكان : وفيات الأعيان (92/5) ، الأتابكي : النجوم الزاهرة (290/2) .
(11) ابن عادل : اللباب : (367/19) ، وانظر ابن جزي ، محمد بن أحمد ، ت 41 7هــ : التسهيل لعلوم التــنزيل ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ط 1 1995م تحقيق محمد سالم هاشم (486/2)وسيشار إليه فيما بعد هكذا إبن جزي: بالتسهيل .
(12) نوح : 1 .
(13) ابن عادل : اللباب (381/19) .

ومن أمثلة ذلك :

1 ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ألم أعهد إليكم يابني آدم ألاّ تعبدوا الشيطان إنه لكم عـدو مبين)**[1] العهد الذي أخذه الله تعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ولا يطيعوا غـيره ، وهذا ما ذهب إليه ابن عادل في تفسيره لهذه الآية ، فقد فسرها بما ورد في سورتي الأعـراف وطه ، فقال : " واختلفوا في هذا العهد فقيل : هو العهد الذي كان مع آدم فـــي قولـــه : **(ولقـد عهدنا إلى آدم)**(2) ، وقيل هو الذي كان مع ذرية آدم حين أخرجهم وقال : **(ألست بربكم قـــالوا بلى)**[3] ، وقيل مع كل قوم على لسان رسولهم ، وهو الأظهر"(4) ، ولعل هذا من قوله تعـــالى : **(وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم)**(5) والعهد الذي كان على لسان كل نبي هـــو دعوة الناس إلى الإيمان بالله وعبادته .

2 ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هـــو خـــير اهبطـوا مصراً)**[6] عقد فصلاً في المراد ب "مصر" فقال : " قال قوم:المراد من "مصر " البلد الذي كانوا فيه مع فرعون ، لقوله تعالى : **(ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتـــدوا علـــى أدباركم)**(7) فأوجب دخول تلك الأرض ، وذلك يقتضي المنع من دخول غيرها ، وأيضاً قوله : " التي كتب الله لكم " يقتضي دوامهم فيها ، وقوله : "ولا ترتدوا على أدباركم " صريح في المنـــع من الرجوع عن بيت المقدس ، وأيضاً فإنه ـــ تعالى ـــ بعد الأمر بدخـــول الأرض المقدســـة ، قال: **(فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض)**[8] ، فلما بين تعالى أنهم ممنوعـون من دخولها هذه المدة ، فعند زوال تلك المدة يجب أن يلزمهم دخولها ، وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون المرادمن مصرسواها "(9) ، ويرجح كونها مصر المعهودة قوله تعالى:**(ونادى فرعون فـــي قومه قال يقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصـــرون)**[10] ، وقـد ورّثها الله بني إسرائيل، لقوله الله تعالى : **(كذلك وأورثناها بني إسرائيل)**(11).

3 ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإن منكم إلاّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً)**[12] ذكـر خلافاً في معنى الورود ، فذكر ابن عباس والأكثرون أن الورود هاهنا الدخول ، وهـــو الـــذي

---

(1) يس : 60 .
(2) طه : 115 .
(3) الأعراف : 172 .
(4) ابن عادل : اللباب (252/16) .
(5) إبراهيم : 4 .
(6) البقرة: 61 .
(7) المائدة : 21 .
(8) المائدة : 26 .
(9) ابن عادل : اللباب ، بتصرف (2/122-132) .
(10) الزخرف : 51 .
(11) الشعراء : 59 .
(12) مريم : 71 .

رجحه إبن عادل ، فقال : ويدل على أن الورود هو الدخول قوله تعالى : (**يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار**)[1] وقوله تعالى : (**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**)[2] وقال : ويدل عليه أيضاً قوله تعالى : (**ثم ننجي الذين اتقوا**) [3] أي ننجي من الواردين من اتقى ، ولا يجوز أن يقول " ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً" إلاّ والكل واردون ، وبما ورد عن جابر أنه سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الورود الدخول ، ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً ، حتى إن للنار ضجيجاً من بردها"[4]وقيل المراد من تقدم ذكره من الكفار،ولا يجوز أن يدخل النار مؤمن أبداً لقوله تعالى : (**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون** حسيسها)[5] والمبعد عنها لا يوصف بأنه واردها ، ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها ، وقوله : (**وهم من فزع يومئذ آمنون**)[6] ، والمراد في قوله "وإن منكم إلا واردها" الحضور والرؤية لا الدخول ، كقوله تعالى: (**ولما ورد ماء مدين**)[7] أراد به الحضور[8] .

ثانياً : تفسير القرآن بالسنة : استعرضنا فيما سبق منهج ابن عادل في تفسيره للقرآن بالقرآن ، وسنستعرض منهجه في تفسيره للقرآن بالسنة ، التي هي من أهم مصادر التفسير بالمأثور بعد القرآن الكريم .

ولست بصدد الخوض في مسألة هل فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم لأصحابه كله أو بعضه ؟ تلك مسألة اختلف فيها أهل العلم وخاضوا فيها كثيراً ، وكانت النتيجة واحدة ، وهي وصول تفسيرات كثيرة من تفسيرات رسول الله صلى الله عليه وسلم لآيات كثيرة في مواضع متعددة في كتاب الله تعالى ، والتي فسرها لأصحابه الكرام رضوان الله عليهم .

وهاهنا سؤال يطرح نفسه هل كان ابن عادل من علماء الحديث ؟ والإجابة على هذا السؤال نقول : إنه لم يرد في ترجمته القليلة المبعثرة في كتب التراجم ، والتي تعرضت لها عند الكتابة عن حياته ، أنه كان من علماء الحديث ، ولكن يمكن القول بأنه ــ من خلال مطالعتي لتفسيره ــ كان على علم ودراية بالحديث النبوي الشريف ، يدل على ذلك إيراده الأحاديث الكثيرة في

---

(1) هود : 13 . (2) الأنبياء : 98 .

(3) مريم : 72 .

(4) أخرجه أحمد (328/3) ، الهيثمي ، علي بن أبي بكر، ت 807هـ : مجمع الزوائد ، دار الريان للتراث ــ بيروت ــ القاهرة ــ 1407هـ (360/10) وقال : لجابر حديث في الصحيح هذا ، رواه أحمد ورجاله ثقات ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا الهيثمي : مجمع الزوائد .

(5) الأنبياء : 101-102 . (6) النمل : 89 .

(7) القصص : 23 . (8) ابن عادل : اللباب (13/117-118) بتصرف واختصار .

تفسيره واعتماده عليها أثناء تفسيره للآية الواحدة ذات الموضوع الواحد ، أو للآيات المتتالية ذات الموضوع الواحد .

هذا ومن خلال مطالعة تفسيره نستطيع حصرمنهجه في تفسير القرآن بالسنة في هذه النقاط:

1 ـ إذا صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يقف عنده ولا يتعداه ، شأنه شأن العلماء الذين سبقوه والذين كانوا يقولون : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، ونجد هذا كثيراً في تفسيره ، وهذه شواهد على ذلك :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى: **(اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون)**[1] قال: " قال العلماء:إن فيه دلالة على قرب يوم القيامة،ولهذا قال عليه السلام :"بعثت أنا والساعة كهاتين "[2] وقال عليه السلام : " خَتَمْتُ النبوة "[3] ، كل ذلك لأجل أن الباقي من مدة التكليف أقل من الماضي"[4] ، ففسر قرب يوم القيامة بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتعداه .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإنّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون)**[5] ذكر أقوال أهل العلم في تفسير اليوم الذي ورد في الآية ، ولكنه يحسم الأمر بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يوماً من أيام اليوم الآخر ، فقال : " وقال مجاهد وعكرمة : يوماً من أيام الآخرة ، لما روى أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة،تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم ، وذلك قدر خمسمائة عام"[6]"[7] .

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة)**[8] ذكر أن هذه الآية على ظاهرها وهو قول أكثر المفسرين وقال:" ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام:" لا ألفين أحدكم يجيئ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء،أو بقرة لها خوار،أو شاة لها ثغاء،فينادي يا محمد،يا محمد ، فأقول:لا أملك لك من الله شيئاً،قد بلغتك "[9]"[10] .

---

[1] الأنبياء : ١ .

[2] أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب تفسير سورة النازعات رقم (4652)(1881/4)، مسلم في كتاب الفتن باب قرب الساعة رقم (2950) (2268/4) ، أحمد (131/3) . (3) أخرجه أحمد (361/3) .

(4) ابن عادل : اللباب (441/13-442) . [5] الحج : 47 .

[6] أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب في القصص رقم (3666) (2268/4) ، الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم رقم (351 2) (578/4) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، ابن ماجه في كتاب الزهد باب منزلة الفقراء رقم (4122) (1380/2) ، أحمد (63/3) .

[7] ابن عادل : اللباب (113/14) (8) آل عمران : 161 .

[9] أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب الغلول رقم (2908) (1380/2) ، مسلم في كتاب الإمارة باب تحريم الغلول رقم (1831) (1380/2) ، أحمد (245/2) . (10) ابن عادل : اللباب (26/6) .

2 ــ كان يورد سؤال الصحابي أو الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير آية ، أو معنى كلمة في آية ، أو عن موضوع ورد في آية ، فكان صلى الله عليه وسلم يبين لهم ويفسره ومن الأمثلة التي أوردها ابن عادل في تفسيره ما يلي :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**)[1] قال:قوله: " لهم البشرى"روى عبادة بن الصامت،قال:سألت رسول الله صلىالله عليه وسلم عن قوله تعالى : " لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة " قال:هي الرؤيا الصالحة، يراها أو تُرى له "[2][3] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**)(4) قال: "روى علقمة[5] عن ابن عمر قال : لما نزلت " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم " شق ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله ، فأينا لا يظلم نفسه؟ فقال : ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان لابنه : (**يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**)(6)"(7)"(8).

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر**)(9) قال : " واعلم أن النادي والندي والمنتدى مجلس القوم ومُتَحَدَّثُهم ، روى أبو صالح[10] مولى أم هانئ بنت أبي طالب قالت:" سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : "وتـأتون في ناديكم المنكر " قلت ما المنكر الذي كانوا يأتون ؟ قال: كانوا يحذفون أهل الطرق ، ويسخرون منهم"[11]"(12) .

3 ــ إذا كانت لآية أو اللفظة القرآنية تحتمل أكثر من معنى في اللغة ، أو أكثر من دلالة في الأصول وورد تفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه يذكر تلك المعاني أو الدلالات

---

[1] يونس : 54 .

[2] أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود رقم (79 4)(348/1).

[3]ابن عادل : اللباب (367/10) . (4) الأنعام : 82 .

[5] هو علقمة بن عبد الله بن سنان المزني البصري ، روى عن أبيه ومعقل بن يسار وابن عمر ، وعنه قتادة وحميد وأبو عمران الجوني وغيرهم ، قال عنه النسائي وابن المديني بأنه ثقة ، ت 00 1هـ . ابن حجر: تهذيب التهذيب (139/3) .

(6) لقمان : 13 .

(7) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ولقد آتينا لقمان الحكمة رقم (246 3) (1262/12).

(8) ابن عادل : اللباب (259/8) . (8) النمل : 88 .

[10] هو باذان أبو صالح ، مولى أم هانئ ، روى عن ابن عباس وعلي وأبي هريرة وغيرهم ، وعنه الأعمش وسماك بن حرب وإسماعيل السدي وغيرهم قال عنه ابن معين ليس بشيء .ابن حجر تهذيب التهذيب (212/1).

[11] أخرجه أحمد (341/6)الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة العنكبوت رقم (3190) (342/5) وقال : هذا حديث حسن. (12(12) ابن عادل : اللباب (345/15) .

التي ذهب إليها أصحابها ، ثم يرجح ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجزم به ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً)**[13] وردت في هذه الآية كلمة "الرسل "عامة ، فهل تعني جميع الرسل ؟ أم تعني رسولاً خاصاً ؟ ذكر ابـــن عادل أن أهل العلم اختلفوا في تحديد مدلولها ، فقال:

1 ــ قيل : معناه بان كل رسول نودي في زمانه بهذا المعنى ، ووُصّي به ، ليعتقد الســامع أن أمراً نودي له جميع الرسل ، ووُصّوا به ، حقيق أن يؤخذ ويعمل به .

2 ــ وقال الحسن مجاهد وقتادة والسدي وجماعة : أراد به محمداً ــ عليه الصلاة الســلام ــ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة كقولك للواحد أيها القوم كفا عنـــا أذاكم ، ولأنه ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرسل .

ورجح ابن عادل القول الأول لأنه وافق اللفظ،ولما وردعن أم عبد الله أخت شــدادبن آوس أنها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح لبن في شدة الحر عند فطره وهو صـــائم ، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها وقال:"من أين لَكِ هذا ؟"، فقالت:من شاة لي،فقال: "من أين هذه الشاة ؟ "، فقالت : اشتريتها بمالي ، فأخذه، ثم إنها جاءته فقالت : يا رسول الله لم رددته ؟ فقال عليه السلام : " بذلك أُمرت الأنبياء أن لا تأكل إلا طيباً ، ولا تعمل إلا صالحاً "[2][3] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى:**(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)**[3] ذكر معنى ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين فقال:قوله:"النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم":

1 ــ أي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه ووجوب طاعته عليهم .

2 ــ قال ابن عباس وقتادة وعطاء يعني إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وســلم ودعتــهم أنفسهم إلى شيء ، كانت طاعة رسول اله صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة أنفسهم .

3 ــ وقيل أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه .

ولكنه يرى أن ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين تشمل الأمور الدنيويـــة والأخروية مستدلاً بقول رسول الله صلى اله عليه وسلم:(ما من مؤمن إلاّ وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا ما شئتم : " **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** " فأيما مؤمن مات وترك مــالاً فليرثه عصبته من كانوا،ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا أولى به "[4])[5] .

---

[1] المؤمنون : 51 .

[2] ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (10/291) وقال : رواه الطبراني، وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف .

[3] انظر اللباب (14/225-226) . (4) الأحزاب : 6 .

[4] أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم رقم (4 503) مسلم في كتاب الفرائض باب=

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير)**[1] تعرض لتركة الأنبياء فقال : قوله : " وورث سليمان داود " :

1 ــ قال الحسن : المال لأن النبوة عطية مبتدأة لا تورث .

2 ــ وقال غيره : بل العلم والنبوة والملك دون سائر أولاده .

وابن عادل يوافق الحسن في أن النبوة لا تورث،ولكن يخالفه في المال بأنه لا يورث كذلك فيقول:"لو تأمل الحسن لعلم أن المال لا يورث من الأنبياءلقوله عليه السلام: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة" [2] "، وبنفي ابن عادل وراثة المال والنبوة لم يبق إلا العلم لقوله عليه الصلاة والسلام:(إن العلماء ورثة الأنبياء لـــم يُوَرِّثوا درهما ولا مالاً وإنما وَرَّثوا العلم)[3] .

4 ــ إذا وردت كلمة في الآية ثم تعرض فيها للجانب اللغوي ليبين معناها ، فإنــه يــأتي بالحديث مدللاً على هذا المعنى ، ومن أمثلة ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن)**(4) بيــن معنــى الكلاءة فقال :" والكلاءة : الحفظ ، أي يحفظكم في الليل والنهار "من الرحمــن" إن نــزل بكــم عذابه، واكتلأت منه : احترست ، ومنه سمي النبات كلأ ، لأن به تقوم بنية البهائم وتحُــرس ، ويقال : بلغ الله بك أكلأ العمر ، والمُكَلأُ موضع يحفظ فيه السفن ، وفي الحديث : (نهى عـــن بيع الكالئ بالكالئ)[5] أي : بيع الدين بالدين ،كأن كُلاًّ من رب الدينين يكلأ الآخر أي يراقبه"(6).

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولو نزلناه على بعض الأعجمين)**(7) ذكر أن الأعجمين جمــع أعجم ، وهو الذي لا يفصح وإن كان عربي النسب يقال له: أعجم ، وذلك يقال للحيوانات،ومنه

= من ترك مالاً فلورثته رقم (1619)(1238/6) أحمد(341/6). (5) ابن عادل : اللباب (103/15) .

[1] النمل : 16 .

[2] أخرجه البخاري في كتاب الفضائل باب نساء أهل الجنة رقم (508 3) (1360/3)، مسلم في كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :"لا نورث ما تركناه صدقة " رقم (795 1) (1379/3) ، أحمد (463/4) .

[3] سبق تخريجه صفحة (23) .

(4) الأنبياء : 42 .

[5] أخرجه الدارقطني(72/3)،الطحاوي،أحمد بن محمد بن سلامة،ت 321هـ: شرح معاني الآثار ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ 1399هـ ــ تحقيق محمد زهدي النجار(74/4)،وسيشار إليه فيما بعد بشرح معاني الآثار ، وهذا الحديــث لا يصح ، فقد قال عنه ابن عدي : " تفرد به موسى بن عبيدة ، وقال أحمد : لا تحل الرواية عنه ، ولا أعرف هذا الحديــث عن غيره ، وقال أيضاً : ليس في هذا حديث يصح ، لكن إجماع الناس على أنه لا يجوز بيع دين بدين ، وقال الشــافعي : أهل الحديث يوهنون هذا الحديث "، أنظر العسقلاني،أحمد بن علي بن محمد ، ت52 8 هـ : تلخيص الحبير ــ المدينة المنورة ــ 1384هـ ، ت عبد الله هاشم اليماني المدني (6/3 2) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن حجر تلخيص الحبــير .

(6) ابن عادل : اللباب (5 05/13) .

(7) الشعراء : 198 .

قول النبي صلى الله عليه وسلم : (العجماء جبار)[1]"[2] .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من النـــاس يســـقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان)**[3] بين معنى الذود ، فقال : " تذودان أي : معهما قطيع مــن الغنم ، والقطيع من الغنم يسمى : ذوداً ، وكذلك قطيع البقر وقطيع الإبل ، قال عليه الســـــلام : (ليس فيما دون خمس ذود صدقة) [4]"[5].

5 ــ عند تفسيره لبعض الآيات أحياناً لا يذكر الأحاديث بل يكتفي بقوله : كمـــا ورد فـــي السنـــة ، أو والأحاديث على ذلك كثيرة ، ومن أمثلة ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)**[6] بين إعراب "إلا بالحق" ، ثم بين معنى القتل بالحق ، فقال : فقوله :" إلاّ بالحق " في محل نصب على الحــال من فاعل " تقتلوا " أي : لا تقتلوها إلاّ مُتَلَبِّسين بالحق ، ويجوز أن يكون وصفاً لمصدر محذوف أي : إلاّ قتلاً مُتَلَبِّساً بالحق ، وهو أن يكون القتل للقصاص ، أو للردة ، أو للزنا بشرطه ، كمــا جاء مبيناً في السنة "[7]، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : (لا يحل دم امرئٍ مسلم يشـــهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتـــارك لدينـــه المفارق للجماعة)[8] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً)** [9] بين معنى البر فقال : " أمر الله تعالى عباده بعبادته وتوحيده ، وجعل بر الوالدين مقروناً بذلك ، كما قرن شكره بشكرهما ، فقال جل ذكره : **(أن أشكر لي ولوالديك)** [10] ، ومن البر إليهما أن يحسن إليـــهما ، ولا يسبهما ، ولا يعقهما ، فإن ذلك من الكبائر ، ولا يخالفهما في أغراضهما الجـــائزة لـــهما ، والأحاديث الدالة على الأمر ببر الوالدين كثيرة "[11] ، والتي منها ما رواه مسلم عن ابن مســـعود رضي الله عنه قال : " سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب في الركاز الخمس رقم (1428)(545/2)ـمسلم في كتاب الحـــدود بـــاب جـــرح العجماء جبار والمعدن والبئر جبار رقم(1710) (1343/3) . [2] ابن عادل : اللباب (83/15) .

[3] القصص : 23 .

[4] أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب ما أدي زكاته فليس بكنزلقول النبي صلىالله عليه وسلم: " ليس فيما دون خمـــس أواق صدقة"رقم(1340) (509/2) مسلم في كتاب الزكاة رقم(979) (673/2). [5] ابن عادل : اللباب (235/15) .

[6] الأنعام : 151 . [7] ابن عادل : اللباب (510/8) .

[8] أخرجه البخاري في كتاب الديات باب قول الله تعالى : " أن النفس بالنفس" رقم (484 6) (2531/6)، مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص باب ما يباح به دم المسلم رقم(1676) (1302/3) .

[9] الإسراء : 24 . [10] لقمان : 14 .

[11] ابن عادل : اللباب (260/12) .

لوقتها ، قال : قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين ، قال : قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه "[1] ، والإرعاء هو : المحافظة على الشي ، والنزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه ، والإبقاء على الشيء ، وحسن الإصغاء إلى الحديث [2].

6 ــ أثناء تفسيره للآية القرآنية لم يعن بعزو الحديث إلى مصدره أو مصادره من كتب السنة إلاّ النزر اليسير ، والتي منها ما ذكرته أثناء الكلام عن طريقته ، ولو اقتصر بعض الباحثين على تخريج الأحاديث التي ذكرها ابن عادل في تفسيره لخرج بسفر قيِّم في علمي الحديث والتفسير وذلك لما يزخر به من أحاديث كثيرة .

7 ــ جرت عادته أن يشير في بعض الأحيان إلى ضعف الحديث ، وذلك بقوله : روي ، وهي صيغة من صيغ التمريض عند المحدثين ، ومن الأمثلة على ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم)**[3] ذكر مكانة قارون في النسب والقرابة من موسى عليه السلام ، وأنه كان من السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام،فقال : " ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم " إن قارون كان من السبعين المختارة الذين سمعوا كلام الله "[4][5] .

8 ــ عند ذكره للحديث النبوي في تفسير الآية القرآنية لا يحكم عليه غالباً ، ولا يتطرق للحكم عليه إلا نادرا ، ومن خلال قراءتي لتفسيره لم أجده يحكم إلاّ على عدة أحاديث منها :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع)**[6] عقد فصلاً عن فرضية صلاة الجمعة ، واستدل على ذلك بهذه الآية ، وبما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "وروى ابن ماجه في سننه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه"[7]، إسناده صحيح"[8] ،فهنا حكم على صحة الإسناد بناءاً تحسين الترمذي له[9] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)**[10] عقد فصلاً في سبب نزول سورة

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فضل الجهاد والسير رقم (630 2) (1025/3)، مسلم في كتاب الإيمان باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال رقم (٨٥)(0/1 9) .

[2] أنظر ابن منظور: لسان العرب(328/14) مادة رَعَى.

[3] القصص : 76 .

[4] الديلمي ، أبو شجاع شيرويه بن شهر دارت09 5هـ:الفردوس بمأثور الخطاب، دار الكتب العلمية- بيروت ــ ط 1 1986م، تحقيق السعيد بسيوني بن زغلول رقم(4834)(277/3) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الديلمي : الفردوس .

[5] ابن عادل : اللباب (288/15) .

[6] الإسراء : 17 .

[7] سبق تخريجه (41) .

[8] ابن عادل : اللباب (88/19) .

[9] أنظر الحكم على الحديث في سنن الترمذي (373/2) .

[10] المنافقون : 1 .

المنافقون، ذكر فيه حديثاً مطولاً ، رواه الترمذي عن زيد بن أرقم الذي سمع من عبد الله بن أبي بن سلول كلاماً طعن فيه برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبلغ زيد ما قاله ابن سلول لرسول الله صلى الله عليه وسلم بوساطة عمه ، فاستدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سلول ، فحلف أنه ما قال ، فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبح موقف زيد حرجاً ، فنزلت سورة المنافقين ، تبين كذب ابن سلول وصدق زيد ، وقال ابن عادل: بعد ذكره للحديث بطوله : قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح [1] ، فهنا ذكر حكم الترمذي واكتفى به .

ثالثاً : تفسير القرآن بأقوال الصحابة : استعرضنا فيما سبق منهج ابن عادل في تفسير القرآن بالقرآن ، و تفسير القرآن بالسنة ، والآن سنستعرض منهجه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم .

تظهر أهمية تفسير الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم،وشاهدوا نزول القرآن وسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسير كثير من آياته ، إما عن طريق سؤال أحدهم له عن تفسير آية أُشكل عليه فهمها ، أو توضيح مبهم ، أو تفسير مجمل ، والسؤال الذي يطرح نفسه هل تفسير الصحابة من قبيل المرفوع أو الموقوف؟ وهل قوله حجة أم غير حجة ؟.

ذكر السيوطي: "أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع "[2]، وذكر أيضاً أنه " إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند "[3] ، وفي كتب أصول الفقه أبحاث مستفيضة حول الاحتجاج بقول الصحابي ، الذي يشمل التفسير وغيره [4]، وفي كتب مصطلح الحديث التفصيل فيها أكثر [5] .

والذي يعنينا في هذا البحث هو مدى اعتماد ابن عادل في تفسيره على تفسير الصحابة لكتاب الله عز وجل ، وما هو منهجه في هذا النوع من التفسير بالمأثور ، هذا ويمكن إجمال منهجه في هذا النوع في النقاط التالية :

---

[1] أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة المنافقين رقم(3313)(514/4) وقال:هذا حديث حسن صحيح.

[2] السيوطي : الإتقان : (225/2) . (3) السيوطي : الإتقان : (41/1) .

[4] انظر على سبيل المثال:الشافعي ، محمد إدريس ، ت 04 2هـ : الرسالة ، المكتبة العلمية ــ بيروت ــ (97 5) تحقيق أحمد شاكر، وسيشار إليه فيما بعد هكذا الشافعي : الرسالة ، الشوكاني ، محمد بن علي ، ت 250 1هـ : إرشاد الفحول ، دار الفكر ــ بيروت ــ ط 1 1412هـ تحقيق محمد سعيد البدري أبو مصعب (407) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الشوكاني : إرشاد الفحول ، ابن قدامة ، محمد بن عبد الله ت ٦٢٠هـ : روضة الناظر ، نشر جامعة محمد بن سعود الإسلامية ــ الرياض ــ ط2 1399هـ ، تحقيق د.عبد العزيز عبد الرحمن السعيد (165-166) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن قدامة : روضة الناظر ، وغيرها .

[5] انظر على سبيل المثال السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت 11 9هـ : تدريب الراوي ، مكتبة الرياض الحديثة ــ الرياض ــ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف (190/1) وسيشار إليه فيما بعد بتدريب الراوي .

1 ـــ في مجال تفسير الكلمة :

أ ـــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(وفاكهة وأباً)**[1] ذكر أقوالاً في بيان معنى الأب،فقال:" قـــال ابن عباس والحسن:الأب:كل ما أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس ، وما لا يأكله الآدميون هـــو الحصيد ، وقال أنس : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ هذه الآية، ثم قال : كل هذا عرفناه ، فما الأب ؟ ثم رفع عصا كانت في يده ، ثم قال : " هذا لعمر الله التكلف ، وما عليك يا ابن أم عمر ألا تدري ما الأب ؟ ثم قال: اتبعوا ما بُيِّن لكم في هذا الكتاب، وما لا فدعوه "[2] .

ب ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وحشرلسليمان جنوده من الجن والإنس فهم يوزعون)**[3] قال : قوله : " يوزعون " أي يُمنعون ويُكفون ، والوَزْعُ : الكف والحبس ، يقال : وَزَعَه يَزَعَــه فهو وازع موزوع[4] ، وقال عثمان رضي الله عنه :" ما يَزَعُ السلطان أكثر مما يَزَعُ القرآن"[5].

ج ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)** (6) قال: "والوصيد :البـاب ، قاله ابن عباس "[7] .

2 ـــ في مجال تفسير المعنى المراد من الكلمة :

أ ـــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)**(8)ذكر خلافاً بين المفســـرين في بيان المعنى من التهلكة،ولكنه حسم الخلاف وردَّ كل الأقــوال بمـــا وردعـــن أبـــي أيـــوب الأنصاري ، فقال : " روي أن رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدو،فصاح به النـــــاس : ألقى بنفسه إلى التهلكة،فقال أبو أيوب الأنصاري:نحن أعلم بهذه الآية الكريمة،وإنما نزلت فينا ، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد، فلما قوي الإسلام ، وكثر أهله ، رجعنا إلى أهلنا وأموالنا ومصالحنا ، فنزلت هذه الآية فكانت التهلكة الإقامة في الأهـــــل والمال ، وترك الجهاد"[8]،فما زال أبو أيوب مجاهداً في سبيل الله ، حتى كان آخر غزوة غزاهــا بقسطنطينية في زمن معاوية،فتوفي هنالك،ودفن بأصل سور القسطنطينية، وهم يستسقون به[9].

ب ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة**

---

[1] عبس : 31 .

[2] اللباب (168/19) ، وانظر الطبري : جامع البيان . (451/12) . [3] النمل : 17 .

[4] انظر ابن منظور:لسان العرب(390/8-391)،الرازي:مختار الصحاح(350)،الزمخشري:أساس البلاغة (673-674).

[5] ابن عادل:اللباب(125/15)،وانظر القرطبي:الجامع لأحكام القرآن(168/13). [6] الكهف : 18 .

[7] ابن عادل : اللباب (455/12)،وانظر الطبري : جـــامع البيـــان (215/15)، السـيوطي :الـدر المنثـور (374/5).

(7) البقرة : 195 .

[8] أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في قوله : "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة رقم (512 2) (21/3-22)، الـــترمذي في كتاب التفسير باب تفسير البقرة رقم (972 2) (212/5) وقال : هذا حديث حسن غريب .

[9]ابن عادل : اللباب (355/3) ، البغوي : معالم التنزيل (164/1-165) .

ألا تخافوا ولا تحزنوا)[1] ذكر أن أبا بكر فسر معنى الإستقامة ب "أن لا تشرك بالله شيئا" ، وأن عمر بن الخطاب فسرها ب "أنها أن تستقيم على الأمر والنهي ، ولا تروغ روغان الثعلب" ، وأن عثمان فسرها ب "أخلصوا العمل" ، وأن عليا فسرها ب "أن أدوا الفرائض، وأن ابن عباس فسرها ب "استقاموا على أداء الفرائض"[2] ولم يرجح ابن عادل أحد هذه الأقوال على الأخرى .

3 ــ في مجال بيان المعنى المراد من الآية أو السورة ، وهذا ليس له علاقة بالكلمة ولا بمعناها وإنما هو من دقائق التفسير لا يعلمه إلا من أنعم الله عليه ببصيرة ثاقبة ، فقد ذكر ما ورد عن ابن عباس في تفسيره لبعض الآيات ، منها :

أ ــ عند تفسيره لسورة النصر ، ذكر المعنى المراد من هذه السورة فقال : وروى البخاري وغيره عن ابن عباس ، قال : كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ، ويأذن لي معهم ، قال : فوجد بعضهم من ذلك ، فقالوا : يأذن لهذا الفتى معنا، ومن أبنائنا من هو مثله ، فقال عمر : إنه من قد علمتم ، قال :فأذن لهم ذات يوم ، وأذن لي معهم ، فسألهم عن هذه السورة : " إذا جاء نصر الله والفتح " ، فقالوا : أمر الله ــ جل وعز ــ نبيه صلى الله عليه وسلم إذا فتح عليه أن يستغفره ، وأن يتوب إليه، فقال: ما تقول يا ابن عباس ؟ قلت:ليس كذلك ، ولكن أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بحضور أجله ، فقال : " إذا جاء نصر الله والفتح " فذلك علامة موتك ، " فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا " ، فقال عمر : تلومونني عليه ؟ وفي رواية : قال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول"[3][4] ، فكان تفسير ابن عباس لهذه السورة من التفسير الذي ليس له علاقة باللفظ أو بالمعنى .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)**[5] بدأ ببيان معاني الكلمات وتعرض لإعرابها، ثم تطرق لبيان المعنى المراد منها ، الذي ليس له علاقة باللفظ أو المعنى ، فذكر أن عمر بن الخطاب قال لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟ قالوا الله أعلم ، فغضب عمر ــ رضي الله عنه ــ فقال : قولوا : نعلم ، أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي شيء منها يا أمير المؤمنين ، فقال عمر ــ رضي الله عنه ــ : يا ابن أخي ،

---

[1] فصلت : 30 .

[2] ابن عادل : اللباب (136/17) ، وانظرا لطبري : جامع البيان (24-114-116) ، السيوطي :الدر المنثور (7/321-322) الشوكاني : فتح القدير (515/4) .

[3] ابن عادل : اللباب (452/20) .

[4] أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله فسبح بحمد ربك رقم(4686)(1650/5) .

[5] البقرة : 266 .

قل ولا تحقر نفسك ، فقال ابن عباس : ضربت لعمل فقال عمر : أي عمل ؟ فقال ابن عباس : لعمل منافق ومراءٍ ، قال عمر ــ رضي الله عنه : لأي رجل ؟ قال : لرجل غني يعمل بطاعة الله ، بعث الله له الشيطان ، فعمل بالمعاصي ، حتى أحرق أعماله[1]"[2] .

4 ــ في مجال القراءات ، استشهد الإمام ابن عادل في تفسيره بقراءات بعض الصحابة التي وردت بطريق الآحاد ، واستشهاده بها كان من قبيل الاستعانة على التفسير، لأن كثيراً من هذه القراءات كان من قبيل تفسير الصحابة ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم)** [3] ذكر كفارة اليمين بتوسع ، حيث أتى على معظم الأحكام المتعلقة بها ، من الإطعام ، والكسوة ، وتحرير الرقبة ، وعند حديثه عن الصيام تطرق لموضوع التتابع ، هل هو واجب أم لا ؟ فقال : " واختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصيام ، فذهب جماعة إلى أنه لا يجب فيه التتابع ، بل إن شاء تابع وإن شاء فرق ، وذهب قوم إلى وجوب التتابع فيه قياساً على كفارة القتل ، وهو قول الثوري[4] وأبي حنيفة ، وتدل عليه قراءة ابن مسعود : " فصيام ثلاثة أيام متتابعات "[5]"[6] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة)**[7] ذكر أن قوله:" لعدتهن " يقتضي أنهن اللاتي دخل بهن الأزواج ، لأن غير المدخول بهن خرجن بقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إذا طلقتم النساء من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها)**[8] ثم ذكر أن "معنى قوله:"لعدتهن" أي لطهرهن الذي يحصنه في عدتهن، وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن:"فطلقوهن في قبل عدتهن"والآية نزلت في عبد الله بن عمر" [9] "[10].

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكم وإن تظاهرا عليه فإن الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)**[11] ذكر أن معنى قوله تعالى : "

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله:" أيود أحدكم أن تكون له جنة " رقم (264 4) (1901/4) .

[2] ابن عادل : اللباب (406/4) . [3] المائدة : 89 .

[4] هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، الكوفي روى عن أبيه وأبي الزناد وابن المنكدر ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم ، وعنه مالك والأوزاعي وابن المبارك وغيرهم ، اتفق الأئمة على عدالته ، ت 61 1هـ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب (56/2-58) . [5] أنظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (283/6) .

[6] ابن عادل : اللباب (502/7) ، وانظر الزمخشري : الكشاف (1641) ، ابن عطية : المحرر الوجيز (232/2) .

[7] الطلاق : 1 .

[8] الأحزاب : 49 . [9] ابن خالويه : مختصر الشواذ (158) .

[10] ابن عادل : اللباب (148/) ، وانظر البغوي:معالم التنزيل (355/4) القرطبي:الجامع لأحكام القرآن (100/18) .

[11] التحريم : 4 .

" صغت " : مالت وزاغت عن الحق ، ويدل له قراءة ابن مسعود : " فقد زاغت "[1][2] .

5 ــ في مجال الأحكام : لم تقتصر نقولات ابن عادل لتفسير الصحابة على ما ذكر، بـــل تعدت إلى أكثر من ذلك ، فشملت التفسير الفقهي ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بديـــن إلـــى أجـــل مســـمى فاكتبوه)**[3] عقد فصلاً في بيان إباحة السلف ــ السلم ــ واستدل على إباحته بقول ابن عبـــاس ــ رضي الله عنهما ــ فقال : " قال ابن عباس : لما حرم الله تعالى الربا ، أباح السلف ، وقـــال : أشهد أن السلف المضمون إلى اجل مسمى ، قد أحله الله في كتابه ، وأذن فيه ثم قال : " يا أيـــها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه "[4] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فإن كان له إخوة فلأمه السدس)**[5] ذكر الخلاف في كلمة "إخوة "هل الجمع يطلق هنا على اثنين كما يطلق على ثلاثة فأكثر؟ الجمهور على أن الجمع يقع علـــى اثنين هنا ، فيحجب الأخوان الأم من الثلث إلى السدس، خلافاً لابن عباس رضي الله عنهما، فإنه لا يحجب بهما(6) ثم دلل على هذا الخلاف بما "روي عن ابن عباس قال لعثمان : بم صار الأخوان يردان الأم من الثلث إلى السدس، وإنما قال الله تعالى:"فإن كان له إخوة" والأخوان في لسان قومك ليس بإخوة ؟ فقال عثمان: لا أستطيع أن أرد قضاءً قُضي به قبلي، ومضى في الأمصار"[7] .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديـــارهم وأموالـــهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)**[8] ذكر من هـــو المهاجر ، ومن هم المهاجرون ، ثم بين حقهم في الفيء مستدلاً بما ورد عن عمر بن الخطـــاب أنه " خطب ب" الجابية "[9] فقال : من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبـــل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني ، فإن الله ــ تعالى ــ جعلني له خازناً وقاسماً ، ألا وإنـــي

---

(1) ابن خالويه : مختصر الشواذ (158) . (2) ابن عادل: اللباب(196/19)ابن عطية: المحرر الوجيز(331/5).

(3) البقرة : 282 .

(4) ابن عادل : اللباب (477/4) ، وانظر الطبري : جامع البيان (116/6) ، السيوطي : الدر المنثور (117/2) .

(5) النساء : 7 .

(6) الحجب هنا حجب النقصان وليس حجب الحرمان ، وحجب النقصان هو : حجبٌ عن فرض أكبر إلى فرض أصغـــر ، والذين يحجبون بهذا الحجب من أصحاب الفروض خمسة هم(الزوج والزوجة والأم وبنت الابن والأخت لأب) البيطار، محمد نسيب البيطار: الفريدة في حساب الفريضة، مطبعة بيت المقدس ــ القدس (57)وسيشار إليه فيما بعد هكذا البيطار : الفريدة.

(7) ابن عادل: اللباب(217/6) وانظر الطبري: جامع البيان الطبري (277/8). (8) الحشر : 8 .

(9) الجابية : قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر ، وبالقرب منها تل الجابية ، وفيه خطب عمر بن الخطاب خطبته المشهورة . الحموي : معجم البلدان (2/1 9) .

بادٍ بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم بالمهاجرين الأولين أنا وأصحابي ، أُخْرِجنا من مكة من ديارنا وأموالنا "[1] .

6 ـ في مجال تعيين ما أبهمه القرآن ، هذا المجال اختلف فيه الصحابة ، فقد تباينت آراؤهم وأقوالهم في مجالات كثيرة ، منها :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل)**[2] ذكر أن علي بن أبي طالب كان يقول : عدتهم سبعة ، وذكر أيضاً أن ابن عباس يعلم عدتهم ، فقال: "وكان ابن عباس يقول : أنا من أولئك القليل "[3] .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين)**[4] ذكر اختلاف الصحابة في تفسيرها إلى قولين :

الأول : أن الدخان هو ما أصاب قريشاً حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها ، وأكلوا الميتة والعظام ، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان ، فجاءه أبو سفيان فقال:يا محمد : جئت تأمر بصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله فقرأ : " فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين " إلى قوله : "عائدون"[5] ، وهو قول ابن مسعود "[6] .

الثاني : " أنه دخان يظهر في العالم ، وهو إحدى علامات الساعة ، وهو منقول عن علي بن أبي طالب وابن عباس لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أول الآيات الدخان ، ونزول عيسى ابن مريم ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر ، قال حذيفة : يا رسول الله ، وما الدخان ؟ فتلا الآية[7]"[8] .

4 ـ **تفسير القرآن بأقوال التابعين**:تفسير التابعين وتابعيهم بإحسان للقرآن الكريم مما يستأنس به ويستشهد به،ولا يعتبرحجة إلا في حالةإجماعهم على تفسير بعينه،شريطةأن يتوفر فيه أمران:

الأول : أن لا يكون للرأي والنظر فيه مجال .

الثاني : أن لا يكون مما تسرب إليهم من الإسرائيليات عن طريق من أسلموا من أهل

---

[1] ابن عادل : اللباب (548/18) ، وانظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (20/18) .

[2] الكهف : 22 .

[3] ابن عادل:اللباب(157/12)،وانظر الطبري:جامع البيان (٢٢٧/١٥).

[4] الدخان : 10 .

[5] أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب تفسير سورة ألم غلبت الروم رقم (4496) (1971/4)، مسلم في كتاب صفات القيامة باب الدخان رقم (2798) (2555/3) .

[6] ابن عادل : اللباب (351/17) وانظر الطبري : جامع البيان (112/25) ، ابن كثير : تفسير القرآن (253/3) .

[7] أخرجه مسلم في كتاب الفتن باب الآيات التي تكون قبل الساعة رقم (2901) (2225/4) .

[8] ابن عادل:اللباب(316/17) وانظر الطبري : جامع البيان (114/25) ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (131/16).

الكتاب[1].

وتأتي أهمية ذكر أقوال التابعين في التفسير لعدة أمور منها :

1 ــ أنهم تشرفوا بصحبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين شاهدوا نــزول القرآن ، وعايشوا أحداثه ، وسمعوا الكثير من تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وشــاهدوا نزوله ، وكانوا أول مطبق لأحكامه ، واحتمال أن يكون تفسير التابعين مستقى من ذلــك النبــع العذب الصافي وارد ، لأنهم تتلمذوا على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وقــرأوا عليــهم القرآن الكريم ، ورووا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم .

2 ــ أنهم نالوا تزكية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "يأتي على الناس زمان يغزو فئام[2] من الناس فيقال لهم : هل فيكم من رأى رسول الله صلـــى الله عليه وسلم ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم : هل فيكم مــن رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون : نعم، فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم : هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولــون لهم:نعم ، فيفتح لهم[3]،وقوله عليه الصلاة والسلام:"خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم"[4]،وهذه التزكية تبين حرص التابعين على اتباعهم السنة، وابتعادهم عن البدعة .

3 ــ أنهم كانوا أهل الفصاحةوالبلاغة،فقد بلغوا منهمامكانة عالية،لأن سليقتهم كانت لا تزال سليمة لم تدخل إليهاالعجمى،ولم يتفش فيها اللحن،حتى إن أقوالهم وأشعارهم تعتبرحجة في النحو واللغة،وكتب اللغة والنحو مليئة بأقوالهم وأشعارهم التي استُدِلَّ بها شواهدعلى اللغة والنحو.

4 ــ إضافة إلى ما تقدم ، فقد أوتوا قدراً عالياً من الفهم الدقيق لكتاب الله تعالى ، والغوص في معانيه ، وإدراك مقاصده ومراميه ، ما جعل الذين أتوا من بعدهم يضعونهم في المكان الذي يليق بهم ، لأن تفسيرهم البين الواضح لكتاب الله تعالى احتوى على المأثور ، وضم إلى جانبــه التفسير بما آتاهم الله من الفصاحة والفهم في كتاب الله الكريم .

وتفسير الإمام ابن عادل كباقي التفاسير ، حوى أقوالاً متعددة ومتناثرة لعلمــاء التابعيــن

---

[1] السيوطي : الإتقان (227/2) ، مقدمة تفسير ابن كثير (1/ 6) .

[2] الفئام : الجماعة من الناس .أنظر الزيات : المعجم الوسيط (2/71 6) مادة فَأَمَ ، الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر ، ت 538هـ : أساس البلاغة ، دار الفكر ــ بيروت (461) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الزمخشري : أساس البلاغة.

[3] أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب رقم (740 2) (1064/3)، مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم رقم (532 2) (962/4) ، أحمد (7/3) .

[4] أخرج البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب فضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رقم (450 3) (1335/3)، مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم رقم (533 22) (1963/4) ، أحمد (378/1) .

ومفسريهم ، وكان ابن عادل يعزو هذه الأقوال لأصحابها ، وقلما يترك العزو ، وهذه نماذج من تفاسير التابعين التي أوردها ابن عادل في تفسيره :

1 ــ مجاهد بن جبر المكي[1] :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى:(**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً**)(2) طرح سؤالاً: كيف يكون قتل النفس الواحدة مساوياً للكل؟ وأجاب عليه بعدة وجوه منها: ما قاله مجاهد: "من قتل نفساً محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعاً، ومن أحياها: من سلم من قتلها، فكان كمن سلم من قتل الناس جميعاً [3].

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**)(4) ذكر الخلاف في تحديد القوم ، وأورد فيه أقوالاً كثيرة ، منها قول مجاهد : " نزلت في أهل اليمن "[5] .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى: (**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**)(6) ذكر أقوال أهل العلم في تعريف القنوت ومعناه، ومن ضمنها قول مجاهد : " القنوت : عبارة عن الخشوع ، وخفض الجناح ، وسكون الأطراف، وترك الإلتفات من هيبة الله ، وكان العلماء إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن ، فلا يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث ، أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا ناسياً حتى ينصرف(7) .

2 ــ الحسن البصري :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**)[8] ذكر أقوال العلماء في تحديد المعنى المقصود من الحمل الثقيل، منها قول الحسن البصري، فقال:" وقال الحسن: العمل به"[9].

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه**)[10] ذكر أقوال العلماء في معنى الذراع والمقصود به ، منها قول الحسن البصري : " الله أعلم أي ذراع "(11) .

---

[1] هو مجاهد بن جبر المكي مولى السائب ، روى عن العبادلة الأربعة وغيرهم وعنه أيوب السختياني وعطاء وعكرمة وغيرهم ، ت104هـ . ابن حجر: تهذيب التهذيب(25/4-26) . (2) المائدة : 32 .

[3] ابن عادل : اللباب (301/7-302) وانظر الطبري: جامع البيان (201/6) مجاهد : تفسير مجاهد ، دار المنشورات العلمية ــ بيروت ــ تحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتي (194/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا تفسير مجاهد.

(4) المائدة : 54 .

[5] ابن عادل: اللباب(390/7)، الطبري: جامع البيان (284/6)، ابن كثير : تفسير القرآن (71/2) تفسير مجاهد (199/1) .

(6) البقرة : 238 . (7) ابن عادل : اللباب (235/4) ، الطبري : جامع البيان (571/2).

[8] المزمل : 5 .

[9] ابن عادل : اللباب (460/19) ، الطبري : جامع البيان (127/29) ، السيوطي : الدر المنثور (315/8) .

[10] الحاقة : 32 . (11) ابن عادل : اللباب (337/19) البغوي : معالم التنزيل (389/4).

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)**[1] ذكر النفقة المقصودة هنا، وأقوال العلماء فيها منها قول الحسن قال :" هي نفقة الرجل لنفسه "[2] .

3 ـ قتادة بن دعامة السدوسي[3]:

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً)**[4] ذكر أن التوبة فرض على الأعيان في كل الأحوال ، وكل الأزمان ، ثم أتبع ذلك اختلاف أهل العلم في التوبة النصوح ، وذكر قول قتادة في ذلك : " النصوح: الصادقة الخالصة "[5] .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم)**[6] ذكر أن الرجزهومطلق العذاب ، ثم ذكر قول قتادة : " الرجز أسوأ العذاب"[7].

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى:**(وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد)**[8] بعد أن بين معنى "يقذفون"ذكر قول قتادة:"أي يرجمون بالظن،يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار "[9] .

4 ـ سعيد بن جبير[10] :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً)**[11] ذكر أقوالاً في نزولها ، منها ما قاله سعيد بن جبير : أنها " نزلت في أصحاب الأهواء والبدع "[12].

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يس والقرآن الحكيم)**[13] ذكر أن أكثر المفسرين أن "يس " المعني به محمداً صلى الله عليه وسلم ، وبه قال : "الحسن وسعيد بن جبير "[14] .

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب**

---

(1) التغابن : 16 . (2) ابن عادل:اللباب(139/19) القرطبي:الجامع لأحكام القرآن(96/18).

(3) هوقتادة بن دعامة السدوسي ، روى عن أنس بن مالك وأبي الطفيل وغيرهم ، وعنه أيوب السختياني وشعبة وغيرهم، ت117هـ . ابن حجر :تهذيب التهذيب(428/3-430). (4) التحريم : 8 .

(5) ابن عادل : اللباب (210/19) ، الطبري : جامع البيان (168/28) ، السيوطي : الدر المنثور (227/8) .

(6) سبأ : 5 .

(7) ابن عادل : اللباب (12/16) ، الطبري : جامع البيان (61/22) ، الخازن ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم ، ت 725هـ : لباب التأويل في معاني التنزيل ، وبهامشه معالم التنزيل للبغوي ، مطبعة التقدم العلمية ـ مصر ـ (231/5) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الخازن : لباب التأويل.

(8) سبأ : ٥٣ . (9) ابن عادل : اللباب(94/16) ، الخازن : لباب التأويل(243/5).

(10) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي روى عن ابن عباس وابن الزبير وغيرهم،وعنه الأعمش وسماك بن حرب وغيرهم،ت٩٤ هـ . ابن حجر:تهذيب التهذيب(9/2-11). (11) فاطر : 8 .

(12) ابن عادل : اللباب (105/16) ، ابن الجوزي : زاد المسير (475/6) ، البغوي : معالم التنزيل (565/3) .

(13) يس : 1-2 . (14)ابن عادل :اللباب(166/16)،البغوي:معالم التنزيل(5/4).

وأن تستقسموا بالأزلام)[1] ذكر أقوال أهل العلم في بيان معنى الأزلام ، منها قول سعيد بن جبير ، فقال : " وقال سعيد بن جبير : الأزلام حصى بيض يضربون بها "[2] .

5 ـــ الشعبي " عامر بن شراحيل "[3] :

أ ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن الصفا والمروة من شعائر الله)**(4) بين معنى الصفا من الناحية اللغوية ، ثم ذكر أقوال أهل العلم في سبب تسميتهما بهذا الاسم وما كان معهوداً فيهما في الجاهلية قبل الإسلام ، وذكر منها قول الشعبي : " كان على الصفا صنم يدعى إسافاً ، وعلى المروة صنم يدعى نائلة "(5) .

ب ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)**[6]بين معنى الإحصان ، ثم ذكر قول الشعبي : " إحصان الكتابية أن تستعف عن الزنا ، وتغتسل من الجنابة "(7) .

ج ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)**(8) ذكر الخلاف المترتب على نصب أرجلكم أو جرها ، ثم ذكر قول الشعبي : " نزل جبريل بالمسح ، وقال : ألا ترى أن التيمم ما كان غسلا ، ويلقي ما كان مسحاً"[9] .

6 ـــ عطاء بن أبي رباح[10]:

أ ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير)**(11)ذكر تفسير عطاء لـ" نعمركم " ، وقال قتادة وعطاء والكلبي : " ثماني عشرة سنة "[12].

ب ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين)**[13] ذكر أن المعني بالمبتلين في هذه الآية هم أصحاب

---

[1] المائدة : 3 .

[2] ابن عادل : اللباب (195/7) ، الطبري : جامع البيان (76/6) ،ابن الجوزي : زاد المسير (284/2) .

[3] هو عامر بن شراحيل ، روى عن علي وسعد بن أبي وقاص وغيرهما ،وعنه الثوري وأبوالزناد وغيرهما ،ت 109هـــ ابن حجر : تهذيب التهذيب (264/2-265). (4) البقرة : 158 .

(5) ابن عادل:اللباب(92/3)،الطبري:جامع البيان(46/2) . [6] المائدة : 5.

(7)ابن عادل :اللباب (213/7) ، السيوطي :الدر المنثور(525/3). [8] المائدة : 6 .

[9] ابن عادل : اللباب (229/7) ، الطبري : جامع البيان (129/6) ، الشوكاني : فتح القدير (18/2) .

[10] هو عطاء بن أبي رباح ، روى عن ابن عباس وابن عمرو وابن عمر وغيرهم ، وعنه مجاهد والزهري وغيرهما ، ت 117هـــ . ابن حجر : تهذيب التهذيب (101/2-130) . (11) فاطر : 37 .

[12] ابن عادل : اللباب (148/16) الخازن : لباب التأويل (218/5) . (13) البقرة : (155).

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعزا ذلك إلى عطاء وغيره ، فقال : " وقال عطاء والربيع بن أنس[1] : المراد بهذه المخاطبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم "[2] .

ج ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه)**[3] ذكر أقوال التابعين في بيان معنى " لعناهم " ، منها قول عطاء:" لعناهم" : أبعدناهم من رحمتنا"[4] .

---

13) البقرة : 155 .

[1] هو الربيع بن أنس البصري ، روى عن أنس بن مالك والحسن البصري وأبي العالية ، وعنه الأعمش وسليمان التيمي وابن المبارك وغيرهم ، قال العجلي : بصري صدوق ، ت139 هـــ ن ابن حجر : تهذيب التهذيب (590-589/1) .

[2] ابن عادل : اللباب (82/3) ، الطبري : جامع البيان (41/2) ، البغوي : معالم التنزيل (130/1) .

[3] المائدة : 13 .

[4] ابن عادل : اللباب (271/5) ، ابن الجوزي : زاد المسير (313/2) ، البغوي : معالم التنزيل (21/2) .

المبحث الثاني

الإسرائيليات وموقفه منها

قبل استعراض موقف ابن عادل من الإسرائيليات لا بد من توضيح المراد من هذا المصطلح ، ومتى تسربت إلى كتب التفسير ، وما هو موقف أهل العلم منها ، وسيكون الكلام في هذا المبحث من خلال هذه النقاط :

1 ــ معنى الإسرائيليات وتسربها إلى كتب التفسير .

2 ــ أقسام الإسرائيليات وموقف العلماء منها .

3 ــ منهج ابن عادل في تفسير القصص القرآني وموقفه من الإسرائيليات.

1 ــ معنى الإسرائيليات وتسربها إلى كتب التفسير :

الإسرائيليات جمع إسرائيلية ، ويقصد بها القصة التي تروى من مصدر إسرائيلي ، وتنسب الإسرائيليات إلى نبي الله إسرائيل ، وهو يعقوب عليه السلام ابن نبي الله إسحاق بن خليل الله إبراهيم عليهم السلام[1] .

وقد يتبادر إلى ذهن الكثير أن المعني بالإسرائيليات هي ما روي في كتب التفسير من التراث اليهودي والثقافة اليهودية خاصة ، والحقيقة أنها أعم من ذلك ، فهي تشمل ما روي من التراثين اليهودي والنصراني ، والثقافتين اليهودية والنصرانية ، وقد غلب عليهما لفظ الإسرائيليات " من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني ، والجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه ، وذلك لكثرة أهله ، وظهور أمرهم وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم"[2] .

ولم يقتصر أيضا الإسرائيليات على الثقافتين اليهودية والنصرانية ، بل تعداهما ليشمل كل ما دسه أعداء الإسلام من اليهود والزنادقة وأمثالهم في التفسير والحديث من القصص والأخبار والروايات الملفقة ، كيدا للإسلام وأهله وتشويها لحقائقه الناصعة ، ومحاولة لطمس معالمه ، وبذرا للشبهات ، وللطعن في شخص رسول صلى الله عليه وسلم ونبوته ، كقصة الغرانيق المختلقة ، وحادثة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وما نسج حولها من أباطيل اليهود والنصارى زورا وبهتانا .

وجاء تعميم العلماء لمدلول الإسرائيليات ، وإدخالهم فيه مما لا يدل عليه اللفظ ، تغليبا للكيد

---

[1] الذهبي،د . محمد حسين الإسرائيليات في التفسير والحديث،نشرمجمع البحوث الإسلامية ــ مصر ــ 391 1هــ (19) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الذهبي:الإسرائيليات في التفسير والحديث،نعناعة،د. رمزي:الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير،دار القلم ــ دمشق ــ ط1 1391هــ(71) وسيشار إليه فيما بعد هكذا:نعناعة الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير.

(2) الذهبي : التفسير والمفسرون (165/1) .

اليهودي على غيره ، لأن كل هذه الأباطيل والدسائس من صنعهم وتخطيطهم، وهم كما قال عنهم عبد الله بن سلام[1] : " قوم بهت "[2] ، وهم أشد الناس عداء للإسلام والمسلمين ، قال الله تعالى :(**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**)(3) .

أما مسالة تسرب الإسرائيليات ودخولها إلى التفسير ومسائله فيرجع سببها ـ والله أعلم ـ إلى أن القرآن الكريم حوى بإيجاز الكثير من قصص الأنبياء ، وأخبار الأمم السابقة ، والتي كان الغرض من إيرادها العبرة والاتعاظ بها، وليس السرد التاريخي، والاهتمام بالجزئيات ، كما هو الحال في كتب التاريخ ، ذلك لأن القرآن الكريم كتاب هداية ، قال تعالى : (**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**)[4] وكتاب موعظة ، قال الله تعالى:(**قد جاءتكم موعظة من ربكم**)(5) .

وبداية دخول الإسرائيليات إلى التفسير يرجع إلى عصر الصحابة رضوان الله عليهم ، " فكان الصحابي إذا مر على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلا إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له ، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى النفر الذين دخلوا في الإسلام "[6]، أمثال عبد الله بن سلام،ووهب بن منبه[7] ، وكعب الأحبار[8] ، الذين حملوا إلى المسلمين القصص والأخبار التي قرءوها في كتبهم ، والتي جاءت في القرآن الكريم موجزة .

لم يسأل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أهل الكتاب عن كل شيء ، وفي الوقت نفسه لم يقبلوا منهم كل شيء ، فكان سؤالهم لا يتجاوز أن يكون توضيحا وتفصيلا للقصة التي ذكرها القرآن الكريم مجملة ، مع احترازهم وتوقفهم فيما يلقى إليهم من الأجوبة والمعلومات ، فكانوا لا يحكمون بصدقه أو كذبه امتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا...الآية[9] .

---

[1] هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي،أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة،شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنه ابناه يوسف ومحمد ، وأبو هريرة ، وعوف بن مالك وغيرهم،شهد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح بيت المقدس والجابية، ت 3 4هـ . تهذيب التهيب (351/2).

[2] هذا المقطع جزء من الحديث الذي ورد في قصة إسلام عبد الله بن سلام أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب خلق آدم رقم (1351) (1211/3) ، أحمد (108/3) .

(3) المائدة : 82 .

[4] الإسراء : 9 .

(5) يونس : 57 .

[6] الذهبي : التفسير والمفسرون (169/1) .

[7] هو وهب بن منبه بن كامل اليماني ، الصنعاني ، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وغيرهم ، وعنه ابناه عبد الله وعبد الرحمن وعمرو بن دينار وغيرهم ، ت13 1هـ . ابن حجر : تهذيب التهذيب (332/4-333) .

[8] هو كعب بن ماتع الحميري،أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار،روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا،وعن عمر وصهيب وعائشة،وعنه أبوهريرة وابن عباس وعطاءبن أبي رباح وغيرهم،ت2 3هـ.ابن حجر:تهذيب التهذيب (471/3).

[9] أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا رقم (215 4) (1630/4) .

كما أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يسألوا أهل الكتاب في الأمور العقدية ، لأنها جاءت واضحة المعالم ، سليمة القواعد ، قوية الأركان ، ولم يسألوهم كذلك عن الأحكام التشريعية ، لأن ما أجمله القرآن فصلته السنة وبينته ووضحته، كأحكام الصلاة والزكاة و الحج وغيرها ، لأنهم يعلمون أن شريعة الإسلام ناسخة لكل الشرائع ، وأنها جاءت كاملة من عند الله تعالى **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)**[1] .

ولم يكن سؤال الصحابة أهل الكتاب من قبيل اللهو والعبث ، أو الترف الفكري كالسؤال عن اسم عفريت الجن الذي كان بحضرة سليمان عليه السلام ،أو اسم الغلام الذي قتله الخضر ، أو حجم سفينة نوح عليه السلام ، وغير ذلك ، لأنه تكلف لا فائدة فيه ، " فكان الصحابة رضي الله عنهم يعدون مثل ذلك قبيحا من قبيل تضييع الأوقات "[2] .

وإن كان سؤال أهل الكتاب مباحا ، فإنهم لم يخرجوا عن الدائرة التي حددها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله " بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "[3] .

لم يأخذ الصحابة جواب أهل الكتاب على السؤال على عواهنه ، فكانوا يمحصونه ويدققون النظر فيه ، ويردونه إذا خالف مما تعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ذلك عندما راجع أبو هريرة رضي الله عنه عبد الله بن سلام ليسأله عن تحديد الساعة التي يجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ، فيقول له : " أخبرني ولا تضن علي ، فيجيبه ابن سلام : بأنها آخر ساعة في يوم الجمعة ، فيرد عليه أبو هريرة بقوله : كيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي " وتلك الساعة لا يصلى فيها ؟ فيجيبه عبد الله بن سلام بقوله : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جلس مجلسا ينتظر فيه الصلاة فهو في الصلاة حتى يصلي؟ فقلت بلى ، قال : فهو ذاك "[4] .

هذا هو مسلك الصحابة في الأخذ عن أهل الكتاب ، والرجوع إليهم ، أما التابعون فقد توسعوا في ذلك توسعا كبيرا ، ويرجع ذلك إلى كثرة الداخلين من أهل الكتاب في الإسلام ،

---

[1] المائدة : 4 .

[2] الدهلوي ، ولي الله : الفوز الكبير في أصول التفسير ، المطبعة المنيرية ـ القاهرة ـ 1346 هـ (ص : 35) وسيشار إليه فيما بعد هكذا : الدهلوي :الفوز الكبير .

[3] أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل رقم (274 3) (1275/3)، أحمد (159/2) .

[4] أخرجه أحمد (451/5) أبو داود في كتاب الصلاة باب فضل الجمعة وليلة الجمعة رقم (1046) (442/1-443) ، الترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة رقم(91 4) (362/2) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وميل عامة الناس إلى سماع تفصيل القصص التي طوى القرآن تفاصيلها، فتناقل الناس أقوالهم ، وتساهل المفسرون في تدوينها في كتبهم بنسب متفاوتة ، فنجد تفسير الإمام الطبري ــ مع جلال قدر صاحبه وسعة علمه ــ حوى شيئا منها ، كذلك تفاسير الواحدي والبغـــوي والخــازن[1] التي حوت الكثير من الأساطير والخرافات التي لا يقبلها عقل[2] ، والتي مصدرها أهل الكتاب .

لقد انبرى علماء الحديث للإسرائيليات ، فنقدوها نقد الصيرفي للدراهم ، فميزوا صحيحـــها من ضعيفها ، بحكم صنعتهم التي امتازوا بها عن غيرهم من أهل العلم ، وتنبه أيضـــا بعـض المفسرين إلى خطرها المحدق بتفسير القرآن الكريم ، التي تشوه جماله ، وتكدر صفاءه ورونقـه كابن عطية والقرطبي وابن كثير وأبو حيان غيرهم ، ومع ذلك لم يسلموا من ذكر بعضها .

2 ــ أقسام الإسرائيليات وموقف العلماء منها :

قسم العلماء الإسرائيليات تقسيمات متعددة ، من أحسنها تقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية لــها ، حيث قسمها في مقدمته ثلاثة أقسام ، فقال : " ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشــهاد ، لا للاعتقاد فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته ، مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

الثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه ــ أي فهو كذب ــ .

الثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ، ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمـــن بـــه ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما تقدم , وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود لأمر ديني"[3].

فمثال القسم الأول : تعيين اسم صاحب موسى الذي ورد في سورة الكهف بأنه الخضـــر ، وذلك لما جاء صريحا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إنما سمي الخضـــر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء"[4] .

ومثال القسم الثاني : ما ذكره ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : **(قالوا يا موسى إن فيـــها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها)**[5] أن من الجبارين " عوج بن عنق بنـــت آدم عليه السلام ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلث الذراع"[6] ، وقد رد ابن كثير هذا الكلام لأنه يخالف ما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "

---

(1) هو علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر ، المعروف بالخازن ، سمع من الثعالبي ، والقاسم بن مظفر ، له مصنفات منـــها لباب التأويل في معالم التنزيل وشرح العمدة وغيرها ، ت 41 6هـــ . الداودي :طبقات المفسرين (422/1-423) .

(2) مثل قصة عوج بن عنق التي أوردها الطبري : جامع البيان (185/6) والبغوي: معالم التنزيل (20/2) .

(3) ابن تيمية : مقدمة التفسير (42) وانظر ابن كثير : تفسير القرآن (5/1) .

(4) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام رقم (221 3) (1248/3).

(5) المائدة : 22 .   (6) ابن كثير (39/2) .

وهو مخالف لما في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : " إن الله خلــق آدم وطوله ستون ذراعا ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن"[1].

ومثال القسم الثالث : ما ذكره البغوي عند تفسير لقوله تعالى : **(وكلبــهم باسـط ذراعيـه بالوصيد)**(2) من أن لون الكلب كان أصفر[3] ، فتحديد لون الكلب لا يصدق ولا يكذب .

أما بالنسبة لموقف العلماء منها ، فإنه يتضح من تقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية لها ، وبيانـه لما يقبل منها وما لا يقبل ، وما يجوز التحدث عنه وما لا يجوز ، أنه قد أتى بما يكـاد يجمـع عليه المحققون من أهل العلم وما استقر عليه موقفهم منها .

يقول ابن كثير رحمه الله أثناء تفسيره لمطلع سورة ق : وإنما أباح الشـارع الرواية عنـهم في قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ:"حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[4] فيما قد يجوزه العقل، فأما ما تحيله العقول، ويحكم عليه بالبطلان،ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل"(5) .

ويقول الإمام ابن حجر في شرحه لهذا الحديث : " أي إذا كان ما يخبرونكم به محتمــلا ، لئلا يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبوه أو كذبا فتصدقوه فتقعوا في الحرج ،ولم يرد النهي عـن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه"[6].

وينقل ابن حجر أيضا عن مالك رحمه الله أنه قال : " المراد جواز التحدث عنهم بما كـان من أمر حسن ، أما ما علم كذبه فلا "(7) .

وينقل أيضاعن الشافعي رحمه الله أنه قال:"من المعلوم أن النبي صلىالله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب،فالمعنى:حدثوا عن بني إسرائيل بمالاتعلمون كذبه،وأماماتجوزونه فلاحرج عليكم في التحدث به عنهم،وهو نظير قوله " إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم "[8](9) .

هذه مواقف بعض أهل العلم من الإسرائيليات ، التي يفهم منها جواز التحدث عـن أهـل الكتاب فيما سكت عنه شرعنا مما لا يعلم كذبه ، وهذا المسكوت عنه معروف بدهيا أنه ممـا لا علاقة له بالعقيدة التي جاءت واضحة المعالم ، قوية الأسس ، وبعيدا عن الأمور التشـريعية ، لأن ما أجمله القرآن بينته السنة وأوضحته وفصلته ، كأحكام الصلاة والزكاة والحج التي أتـت مجملة في القرآن وفصلتها السنة ووضحتها ، أما القصص والأخبار التي جاءت مجمـلة فـي

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب بدء السلام رقم (873 5) (2299/2)، مسلم في كتاب الجنة باب يدخل الجنـة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير رقم (841 2) (2183/4).   (2) الكهف : 18 .

[2] البغوي : معالم التنزيل (154/3) ، الخازن : لباب التأويل (166/4) .

[3] سبق تخريجه صفحة (95).   (4) ابن كثير : تفسير القرآن (222/4) .

[5] ابن حجر : فتح الباري (170/8) .   (6) ابن حجر : فتح الباري (498/6-499) .

[7] سبق تخريجه صفحة (94) .   (8) ابن حجر : فتح الباري (499/6) .

القرآن ، فهي قابلة لمزيد من التفصيلات ، ولذلك لم يتحرج الصحابة في سؤال أهل الكتاب عن بعض هذه التفصيلات مع أخذ الحيطة والحذر في ذلك .

و نستطيع القول: إن ما شهد له شرعنا بالصحة لا حرج في إيراده والجزم به ، وأما ما ماكان مما يحتمل الصدق أو الكذب ، وصح إسناده فلا حرج كذلك في إيراده مع عدم الجزم به،وأما ما كان من قبيل الخرافات والأساطير التي تبين كذبها،ومخالفتها لشريعتنا كالتي تقدح في عصمة الأنبياء مثلا،فيجب أن لا يكون لها مكان في كتب التفسير،وأن تطهر ساحة التفسير منها.

3 ـ منهج ابن عادل في تفسير القصص القرآني وموقفه من الإسرائيليات :

إن مما اعتاده المفسرون أن يضع كل مفسر مقدمة لتفسيره ، يبين فيها منهجه الذي سينتهجه في خطوط عريضة ، وطريقته التي سيسير عليها في نقاط محددة ، وموقفه من الإسرائيليات بشكل خاص ، كابن كثير والقرطبي وأبي حيان وابن عطية وغيرهم ، فقد وضع كل واحد منهم مقدمة لتفسيره بين فيها منهجه وطريقته وموقفه من الإسرائيليات.

أما الإمام ابن عادل فإنه لم يضع مقدمة لتفسيره ، يبين فيها منهجه وطريقته ، وموقفه من الإسرائيليات ، فاكتفى قبل الشروع في التفسير بقوله : " فهذا كتاب جمعته من أقوال العلماء في علوم القرآن وسميته : اللباب في علوم الكتاب ، ومن الله أسأل العون ، وبلوغ الأمل ، والعصمة من الخطأ والزلل "[1] ، ولم يزد على ذلك شيئا ، ثم شرع في تفسير الإستعاذة مباشرة .

على أنه من خلال مطالعة تفسيره يمكننا تحديد منهجه في القصص القرآني والإسرائيليات بشكل خاص في هذه النقاط :

1 ـ القصص القرآني ـ كما يراه ابن عادل وهو في الواقع ـ يراد به تثبيت قلب النبي صلىالله عليه وسلم أولا،ثم العظة والاعتبار ثانيا،ويتضح هذا عند تفسيره لقوله تعالى:**(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة للمؤمنين)**[2]

حيث قال : " لما ذكر القصص الكثيرة في هذه السورة ، ذكر في هذه الآية نوعين من الفائدة :

أحدها : تثبيت على أداء الرسالة ، وعلى الصبر واحتمال الأذى ، وذلك لأن الإنسان إذا ابتلي بمحنة وبلية ، فإذا رأى له مشاركا خف ذلك على قلبه ، كما يقال : المصيبة إذا عمت خفت ، فإذا سمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القصص ، وعلم أن حال جميع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ مع أتباعهم هكذا ، سهل عليه تحمل الأذى من قومه ، وأمكنه الصبر عليه .

والفائدة الثانية:قوله: **(وجاءك في هذه الحق وموعظة للمؤمنين)** "[3]أي العظة والاعتبار

---

[1] ابن عادل : اللباب (79/1) .

[2] هود : 120 .

[3] ابن عادل : اللباب (602/10-603) بتصرف .

لأتباعك المؤمنين ، فحالهم معك في الصبر كحال المؤمنين أتباع الأنبياء السابقين .

2 ــ كان يفسر بعض الآيات أحيانا بالإسرائيليات التي جاء ما يوافقها في شرعنا ، مثـــل تحديد اسم العبد الذي لقيه موسى عليه السلام بالخضر .

3 ــ كان يردالإسرائيليات التي تطعن في الأنبياء،وتقدح في عصمتهم،مثل ما ذكره عنـــد تفسيره لقوله تعالى:(**ردوها علي فطفق مسحابالسوق والأعناق**)[1] فقال:"وهذه أنواع من الكبائر نسبوهاإلىسليمان ــ عليه السلام ــ مع أن لفظ القرآن لم يدل على شيء منها"[2] .

4 ــ كان يذكر من الإسرائيليات ما سكت شرعنا عنه ، والذي لا يصدق ولا يكذب ،فعنـد تفسيره لقوله تعالى : (**وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين**)(3) ذكر عدد النسوة اللاتي تكلمن على امرأة العزيـــز عندمـــا راودت يوسف عليه السلام فقال : إنهن خمس : امرأة حاجب الملك ، وامرأة صاحب دوابه ، ولمـــرأة الخازن وامرأة الساقي ، ولمرأة صاحب السجن ، قاله مقاتل "[4] .

٥ ــ كان حريصا على أن ألا يذكر من الإسرائيليات التي تخالف شرعنا ، إلا أنه وقع كما وقع غيره في إيراده بعض القصص الإسرائيلي الذي لا يتفق مع شرعنا ، فمثلا عنـــد تفســـيره لقوله تعالى : (**إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم**)(5) ذكر قصة طويلـــة تضمنـت استعمال حساب الجمل الذي لا يقره شرعنا[6].

وهذه نماذج من تفسيرات ابن عادل تعين على توضيح منهجه في تفسير القصص القرآني ، وتجلي موقفه من الإسرائيليات :

أولا : القصص المتعلق بآدم عليه السلام :

أ ــ قصة أكله من الشجرة التي نهي عن الأكل منها :

لم يحدد ابن عادل الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام ، فعند تفسيره لقوله تعالى: (**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا مـن الظالمين**)(7)ذكر قول العلماء في تحديد هذه الشجرة ، فقال : " روى السدي عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير:أنها الكرم "(8)وقال ابن عباس أيضا وأبو مالك وقتادة : السنبلة[9] .

ب ــ قصة وسوسة إبليس له ولزوجه :

---

[1] ص : 33 .

[2] ابن عادل : اللباب (418/16) .　　(3) يوسف : 30 .

[4] ابن عادل : اللباب (78/11)انظر البغوي معالم التنزيل(422/2).　　(5) النمل : 33 .

[6] ابن عادل : اللباب (154/15-158)　　(7) البقرة : 35 .

[8] ابن عادل : اللباب (556/1) ، الطبري : جامع البيان (232/1) .　　(9) السابق نفسه .

عند تفسيره لقوله تعالى : **(فأزلهما الشيطان فأخرجهما مما كانا فيه)**[1] ذكر في كيفية الوسوسة وجوها منها : ما روي عن وهب بن منبه والسدي عن ابن عباس : " أن إبليس أراد دخول الجنة ، فمنعته الخزنة ، فأتى الحية بعد ما عرض نفسه على سائر الحيوانات ، فما قبله واحد من الحيوانات ، فابتلعته الحية خفية من الخزنة ، فلما دخلت الحيةالجنةخرج إبليس من فيهاواشتغل بالوسوسة ، فلا جرم لعنت الحية ، وسقطت قوائمها، وصارت تمشي علىبطنهاءوجعل التراب رزقهاءوصارت عدوالبني آدمءوأمرنابقتلهافي الحل والحرم "[2] .

لكن الإمام ابن عادل رد هذه القصة بما نقله عن الإمام الرازي فقال : " وهذا وأمثاله يجب أن لا يلتفت إليه ، لأن إبليس لو قدر على الدخول في فم الحية فلم لم يقدر على أن يجعل نفسه حية ثم يدخل الجنة ؟ "[3] .

ج ـ قصته في تسمية ولده :

عند تفسيره لقوله تعالى : **(فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون)**(4) قال : " وكانت القصة أنه لما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل فقال لها : ما الذي في بطنك ؟ قالت : ما أدري ، قال : إني أخاف عليك أن يكون بهيمة ، أو كلبا ، أو خنزيرا ، وما يدريك من أين يخرج ؟ أمن دبرك فيقتلك ، أو من فيك أو ينشق بطنك ، ؟ فخافت حواء من ذلك ، وذكرته لآدم ، فلم يزالا في هم من ذلك ، ثم عاد إليها فقال : إني من الله بمنزلة ، فإن دعوت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك ، ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث ، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث ، فذكرت ذلك لآدم ، فقال : لعله صاحبنا الذي قد علمت ، فعاودها إبليس ، فلم يزل حتى غرها ، فلما ولدته سمياه عبد الحارث "[5](6).

لكن الإمام ابن عادل رد هذه القصة التي تتنافى مع عصمة آدم عليه السلام بوجوه منها : "أن بتقدير أن آدم عليه السلام ، سماه بعبد الحارث ، فلا يخلو إما أن يقال : إنه جعل هذا اللفظ اسم علم له أو جعله صفة له ، بمعنى أنه أخبر بهذا اللفظ أنه عبد الحارث، فإن كان الأول ـ أي اسم علم له ـ لم يكن شركا ، لأن أسماء الأعلام والألقاب لا تفيد في المسميات فائدة ، فلا يلزم من هذه التسمية حصول الإشراك ، وإن كان الثاني ـ أي صفة له ـ كان هذا قولا بأن آدم

---

(1) البقرة : 36 .

(2) اللباب (562/1) بتصرف ، وانظر الخازن : لباب التأويل (42/1) ، البغوي : معالم التنزيل (64/1) .

(3) ابن عادل : اللباب (562/1) .

(4) الأعراف : 190 .

(5) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأعراف رقم (077 3)(267/5) وجاء في هذه الرواية أنه كان وحيا من الشيطان ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة .

(6) ابن عادل : اللباب (419-418/9) بتصرف، وانظر الخازن : لباب التأويل (267-266/2) .

ـ عليه السلام ـ اعتقد أن لله شريكا في الخلق والإيجاد، وذلك يوجب الجزم بكفر آدم عليه السلام ، وذلك لا يقول به عاقل ، فثبت فساد هذا القول"[1] .

ثانيا : القصص المتعلق بإبراهيم عليه السلام :

أ ـ قصة الذبيح :

عند تفسيره لقوله تعالى : **(وفديناه بذبح عظيم)**[2] بعد أن ذكر الخلاف فيمن هو الذبيح ، هل هو إسماعيل عليه السلام أم إسحاق عليه السلام،ذكر ما هو الذبح فقال : " وروى ابن عباس أنه هبط عليه الكبش من بشير فذبح ، وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه ، فذبحه ـ أي إبراهيم ـ بمنى وقيل بالمقام ، وروي أنه كان وعلا ، وقيل : كان تيسا من الأروى [3]"[4] .

ب ـ قصة إحياء الموتى :

عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم ادعهن يأتينك سعيا)** [5] عقد فصلا في بيان أنواع الطيور المأخوذة ، فقال:"قال مجاهد وعطاء وابن جريج:أخذ طاووسا وديكا وحمامة وغرابا ونقل عن ابن عباس:ونسرا بدل الحمامة،وقال عطاء الخراساني[6]: بطة خضراء وغرابا أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر "[7] ولم يعلق ابن عادل على هذه الرواية.

ج ـ قصة حرقه بالنار :

عند تفسيره لقوله تعالى: **(قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم)**[8] ذكر أحداث قصة الإحراق ، منها ما رواه كعب الأحبار أنه قال : " جعل كل شيء يطفئ النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ النار "[9] ، ثم ذكر ما يؤيد رواية كعب الأحبار من السنة النبوية ، حيث قال : " وروت أم شريك[10] أن رسول الله صلى اله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ[11] ،وقال:" إنه كان ينفخ

---

[1] ابن عادل : اللباب (419/9) .
[2] الصافات : 107 .
[3] الأروى : هو أنثى الوعل ، الدميري : حياة الحيوان (41/1-42) .
[4] ابن عادل : اللباب (331/16) انظر الخازن:لباب التأويل (25/6) . [5] البقرة : 260 .
[6] هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، روى عن الصحابة مرسلا كابن عباس وأبي هريرة وغيرهما ، وعنه ابن جريج والإوزاعي ومالك بن أنس وغيرهم ، قال عنه ابن معين : ثقة ، ت ١٣٥هـ تهذيب التهذيب (108/3-109) .
[7] ابن عادل : اللباب (372/4) ، ابن كثير : تفسير القرآن (16/1 31) وقال ابن كثير: اختلف المفسرون في هذه الأربعة وإنه لا طائل تحت تعيينها ، إذ لو كان في ذلك أمر مهم لنص عليه القرآن (316/1) .
(8) الأنبياء : 69 .
[9] ابن عادل:اللباب(539/13) ابن كثير: تفسير القرآن (185/3) .
[10] هي غزيلة بنت بان دودان ، صحابية ، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم،وعنها جابر بن عبد الله وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وغيرهم .ابن حجر تهذيب التهذيب (698/4) .
[11] الوزغ جمع وزغة ، وهي دويبة سامة معروفة مؤذية . الدميري : حياة الحيوان (544/2-545) .

النار على إبراهيم "[1] ، وهذا النوع مما يؤيده شرعنا .

ثالثا : القصص المتعلق بيوسف عليه السلام : امتازت قصة يوسف عليه السلام بأنها كانت من أحسن القصص كما قال ربنا عنها : (**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين**)[2] ، وأنها جاءت مفصلة في سورة واحدة طويلة ، ونقتصر منا على ما ورد في موضوع هم يوسف بامرأة العزيز الذي تكلم فيه كثير من الناس كلاما لا يليق بعصمة يوسف عليه السلام .

فعند تفسيره لقوله تعالى : (**ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه**) [3] عقد فصلا في تفسير الهم فقال : " الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه ، فهمها : عزمها على المعصية،وأما همه:فروي عن ابن عباس أنه حل الهميان، وجلس منها مجلس الخاتن[4] ، وعن مجاهد أنه حل سراويله ، وجعل يعالج ثيابه ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والحسن وأكثر المتقدمين "[5] ، ثم نقل عن المتأخرين ما يدحض هذه الأقوال المفتراة ، فقال : " وقال أكثر المتأخرين : إن هذا لا يليق بحال الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، وقالوا : تم القول عند قوله : " ولقد همت به " ، ثم ابتدأ الخبر عن يوسف فقال : " وهم بها لولا أن رأى برهان ربه " على التقديم والتأخير ، أي لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، لكنه رأى البرهان ، فلم يهم "[6].

هذا ونكتفي ببعض قصص الأنبياء السابقين ، التي بان فيها موقفه من الإسرائيليات ، المقبول منها وغير المقبول ، فنجده تارة يرد الرواية ويصرح بأنها من الإسرائيليات ، وأحيانا يؤكدها بما ورد في شرعنا ، وتارة نجده يورد الرواية ويسكت عنها مكتفيا بسرد قصصها .

وقبل إتمام هذا المبحث لا بد من التعرض إلى ما قيل في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونسب إليه مما لا يليق به،وقد عد هذا من الإسرائيليات لأنه من صنيع اليهود ودسائسهم ، ونرى موقف ابن عادل من ذلك ، وأكثر ما قيل فيه من الكلام في كتب التفسير حادثتان هما :

1 ـ قصة الغرانيق .

2 ـ قصة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش .

1 ـ قصة الغرانيق :

عند تفسيره لقوله تعالى : (**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى**

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب واتخذ الله إبراهيم خليلا رقم (3180)(1226/3) مسلم في كتاب السلام باب استحباب قتل الوزغ رقم (2238)(1756/4) .

[2] يوسف : 3 .

(3) يوسف : 24 .

[4] الخاتن:هو الذي يجري عملية الختان للمولود.ابن منظور:لسان العرب(137/13) مادة ختن .

[5] ابن عادل : اللباب (61/11-62) ، الطبري : جامع البيان (184/12) ، الخازن : لباب التأويل (224/3) .

[6] اللباب (62/11) .

الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقي الشيطان فتنةللذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد)[1] ،
كر أن سبب نزول هذه الآيات هو أنه : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعراض قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به ، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم ، فجلس ذات يوم في ناد من أندية قريش ، واحب يومئذ أن لا يأتيه الله بشيء ينفر عنه ، وتمنى ذلك ، فأنزل الله سورة " والنجم إذا هوى " ، فقرأها حتى بلغ (**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى)**[2] ، ألقى الشيطان على لسانه لما كان تحدثه به نفسه ويتمناه : تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته، وقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة،فسجد المسلمون لسجوده،وسجد كل منفي المسجد من المشركين،فلم يبق أحد في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبا أحيحة سعيد بن العاص،فإنهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيها ورفعاها لأنهما كانا شيخين كبيرين،فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا :قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن ذكر ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، فأن جعل لها محمد نصيبا فنحن معه ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل، فقال: يا محمد ماذا صنعت اليوم ، تلوت على الناس ما لم أتزل به عن الله عز وجل ، وقلت ما لم أقل لك ؟ فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله خوفا عظيما، فأنزل الله هذه الآية يعزيه[2].

هاتان الآيتان كثر اللغط حولهما ، والتقول فيهما بغير علم ، وهذا السبب الذي ذكره المفسرون غير صحيح ، فقد رده ابن عادل كما رده المفسرون من قبله ، وقد انبرى ابن عادل للرد على هذه الرواية الباطلة التي تطعن في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رسالته ، فرد على هذه الفرية ودحضها ، وبين زيفها بأدلة من القرآن والسنة والمعقول ، أما القرآن : " فقوله تعالى : **(ولو تقول بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)**[3] ، وقوله : **(قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي)**[4] ، وقوله : **(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)**[5] ، فلو أنه قرأ عقب هذه الآية قوله : تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله في الحال ، وذلك لا يقول به مسلم "[6] .

---

(1) الحج : 53-54 . (1) النجم : 19-20 .

(2) الواحدي:أسباب النزول(177)،السيوطي: لباب النقول(150). (3) الحاقة : 44-46 .

(4) يونس : 15 . (5) النجم : 3-40 .

(6) أنظر ابن عادل : اللباب (117/4) وذكر آيات أخرى تبين زيف هذه الفرية ، فاقتصرت على ما ذكر خشية الإطالة .

ثم رد الإمام ابن عادل هذه القصة المختلقة بما ورد في السنة فقال : " قال أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي[1] : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم قال : رواة هذه القصة مطعونون[2]،وروى البخاري في صحيحه أنه ــ عليه السلام ــ قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس وليس فيها ذكر الغرانيق "[3](4) .

أما من المعقول فقد ذكر وجوها كثيرة تدل على بطلان هذه القصة ، منها " أنه من جوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيم الأصنام فقد كفر ، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي عبادة الأوثان ، وأنه ــ عليه السلام ــ ما كان عليه في أول الأمر أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة آمنا لأذى المشركين له ، حتى ربما مدوا أيديهم إليه[5] ، وإنما كان يصلي إذا لم يحضروا ليلا في أوقات خلوة ، وذلك يبطل قولهم "(6) .

٢ ــ قصة زواج النبي صلى اله عليه وسلم من زينب بنت جحش :

عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجنلكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا)**(7) ذكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش ، فقال: " ..وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوج زينب من زيد مكثت عنده حينا ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصر زينب قائمة في درع وخمار ، وكانت بيضاء وجميلة ذات خلق من أتم نساء قريش فوقعت في نفسه،وأعجبه حسنها،فقال : سبحان الله مقلب القلوب وانصرف "[8]،ثم بين ما الذي أخفاه وهو أنه ستكون له زوجة فقال:"أي تسر في نفسك ما الله مظهره،أي كان في قلبه لو فارقها تزوجها "(9) ،وقد رد ما نقل عن ابن عباس

---

[1] هو أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي ، الشافعي ، ولد 428هـ ، حدث عن أبيه ، وأبي حفص بن مسرور ، وأبي عثمان الصابوني وغيرهم ، وعنه عباس بن أرسلان ، والحسن بن سليمان الخجندي وآخرون = الذهبي،محمد بن أحمد بن عثمان،ت ٧٤٨هـ،سير أعلام النبلاء،مؤسسةالرسالة ــ بيروت ــ ط9 ، 1413هـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسي(314/19)وسيشار إليه فيما بعد هكذا الذهبي،سير أعلام النبلاء .

[2] ابن عادل : اللباب (117/14) ، وللمرحوم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رسالة سماها " نصب المجانيق في إبطال قصة الغرانيق ، بين فيها بطلان هذه الفرية وفسادها .

[3]أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب فاسجدوا لله واعبدوا،رقم(4581) (182/4). (4)ابن عادل:اللباب(117/14).

[5] يدل على هذا عندما ألقى أبو جهل بسلى الجزور على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي عند الكعبة ، وقد روى هذه الحادثة البخاري في كتاب الصلاة باب المرأة تطرح على المصلي شيئا من الأذى رقم (468)(194/1) .

(6) ابن عادل : اللباب (118/14) .

(7) الأحزاب : 3 7.

[8] ابن عادل : اللباب (553/15) .

(9) ابن عادل : اللباب (5 33/15) .

وغيره من أن الذي كان يخفيه هو حبها بما روي عن سفيان بن عيينة[1] عن علي بن جدعان[2] قال : " سألني علي بن الحسين زين العابدين : ما يقول الحسن في قوله : " وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه " قال : قلت : لما جاء زيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يا نبي الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك ، قال : أمسك عليك زوجك واتق الله، فقال علي بن الحسين ليس كذلك،كان الله أعلمه أنها ستكون من أزواجك "[3] .

فمن خلال ما ذكره ابن عادل عن قصة زينب بنت جحش يتضح أنه رد ما لا يليق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه ذكر ما عليه أهل العلم من أن الله عاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على إخفاء ما أعلمه أنها ستكون زوجة له [4]، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكتم شيئا ، وتقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : لو كتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحي إليه لكتم هذه الآية[5] .

---

[1] هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، ميمون الهلالي ، أبو محمد الكوفي ، سكن مكة ، روى عن أبي إسحاق السبيعي ، وأيوب السختياني والأعمش وغيرهم ، وعنه شعبة والثوري وإسحاق بن راهويه وابن المبارك وغيرهم ، اتفق الجميع على أنه ثقة ، ت 198هـ . ابن حجر : تهذيب التهذيب (62-59/2) .

[2] هو علي بن زيد بن عبد الله بن جدعان،البصري،كان أعمى،روى عن أنس بن مالك و سعيد بن المسيب وغيرهم ، وعنه قتادة والسفيانان وغيرهم،اتفق الجميع على تضعيفه،ت 131 هـ . ابن حجر تهذيب التهذيب (164-162/3) .

[3] ابن عادل : اللباب (445/15) .

[4] ذكر القرطبي في تفسيره بعد إيراده الأثر الوارد عن علي بن الحسين أن هذا الأمر " هو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين كالزهري والقاضي أبو بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبو بكر بن العربي وغيرهم " القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (191/14) .

[5] ابن عادل : اللباب (554/15) .

المبحث الثالث

منهجه في التفسير العقدي

العقيدة الصحيحة أمر ضروري ومهم جدا ، وهي قاعدة وأساس ومنطلق لكل باحث وكاتب وبدون معرفتها لن يكون لمن أقبل على تفسير كتاب الله إلمام في قضايا التفسير جميعـــــها، ولا إبداع في كثير من النواحي العقدية التي تعرض لها القرآن الكريم .

وعلم التفسير خاصة هو العلم الذي يمكن أن يستغله أصحاب القلوب المريضة والمعتقـدات الفاسدة ، أو أصحاب المعتقدات الصحيحة على السواء لإثبات ما اعتقدوه وذهبوا إليه من خـــلال تفسيرهم لكتاب الله تبارك وتعالى .

ولكي لا يقدم على تفسير كتاب الله تعالى من ليس أهل لذلك ، اشـــترط العلمـــاء شـــروطا للمفسر ، منها صحة الاعتقاد ، فقد ذكر السيوطي أن " من شرطه ــ أي من شروط المفسـر ــ صحة الإعتقاد أولا ولزوم سنة الدين ، فإن كان مغموضا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيـــا ، فكيف يؤتمن على الدين ؟ ثم لا يؤتمن في الدين على الإخبار عن عالم ، فكيـــف يؤتمـــن فـــي الإخبار عن أسرار الله تعالى "[1] .

فالعقيدة لأي مفسر هي القاعدة الفكرية التي يبني على أساسها تفسيره ، ومنها ينطلق فــــي طريقته ، وعلى ضوئها ينهج في منهجه ، وهي الإطار الفكري العام الذي لا يتعداه .

وتتجلى هذه الحقيقة بوضوح في تفاسير المعتزلة ، فقد بنوا كل تفاسيرهم علـــى عقيدتـــهم الاعتزالية المنحرفة ، القائمة على أصولهم المزعومة : العدل ، التوحيد، والوعـــد والوعيـد ، والمنزلة بين منزلتين .....، ولا تخرج عنها،فجعلوها الأصل ، وفسروا القرآن وأولوا آياته علـى ضوئها ، مما جعلها حرية بأن تنسب إلى قسم التفسير بالرأي المذموم .

ومما تجدر الإشارة إليه،أنه من الحقيقة البدهيةالتي ليس بعد وضوحها وضوح،هي أنه ليس أحد أعلم بالله تعالى من الله،وليس أحد أعلم بالله من رسول الله صلىالله عليه وسلم،فما وصف أو سمىالله به نفسه،أو وصفه وسماه به رسول الله صلىالله عليه وسلم يجب الإيمان به،ويدل علـــى ذلك حديث رسول الله صلىالله عليه وسلم الذي يقول فيه:"ما أصاب أحد هم ولا حـــزن،فقـــال : اللهم إني عبدك ابن عبدك،ابن أمتك،ناصيتي بيدك،ماض في حكمك،عدل في قضائك،أسألك بكـل اسم هو لك سميت به نفسك،أو أنزلته في كتابك،أو علمته أحدا من خلقك،أو استأثرت به في علـم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي،ونور صدري،وجلاء حزني وذهاب همي ، إلا أذهب الله حزنه وهمه ، وأبدله مكانه فرحا ، فقالوا : يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعـلم هـــذه

---

[1] السيوطي : الإتقان (225/2) .

الكلمات ؟ قال : أجل ، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن ".[1]

والآن نذكر الأمور العقدية التي تعرض لها ابن عادل في تفسيره والتي نحى فيها منحى الأشاعرة ، وذلك بحكم كونه أشعري العقيدة ، والتي ستكون مدار هذا المبحث ، وهي :

1 ـ تعرضه لإثبات وحدانية الله تبارك وتعالى .

2 ـ تعرضه لإثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

3 ـ موقفه من المتشابه ـ الأسماء والصفات ـ .

4 ـ تعرضه لمسائل عقدية متعددة .

1 ـ تعرضه لإثبات وحدانية الله تبارك وتعالى :

عرض ابن عادل في تفسيره براهين الإيمان،ودلائل التوحيد كما صورها القرآن الكريم ذاته في سهولة ويسر ووضوح ، مبينا أن أدلة القرآن الكريم أصح الأدلةالتي سار عليها المتكلمون ، لكنه أورد بعض ما ذهب إليه المتكلمون في إثبات القضاياالإيمانيةومنهاإثبات وحدانيةالله تعالى.

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم كتابا فهم على بينت منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا)**[2]عقد فصلا في دلالة هذه الآية على وحدانية الله تعالى فقال: " وهذه الآية تقرير للتوحيد ، وإبطال للشرك ، والمعنى : جعلتموهم شركائي بزعمكم ـ يعني الأصنام ـ " أروني "أخبروني" ماذاخلقوامن الأرض"فقال : "شركاءكم"فأضافهم إليهم من حيث إن الأصنام في الحقيقة لم تكن شركاء لله ، وإنما هم الذين جعلوها شركاء فقال : شركاءكم أي الشركاء بجعلكم"[3].

ب ـ عندتفسيره لقوله تعالى : **(أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلاتذكرون)**[4]قال:" قوله تعالى: " **أفمن يخلق كمن لا يخلق** " الآية لما ذكر الدلائل الدالة على وجود الإله القادر الحكيم ، أتبعه بذكر إبطال عبادة غير الله تعالى ، والمقصود أنه لما دلت الدلائل القاهرة على وجود إله قادر حكيم ، وثبت أنه المولي لجميع هذه النعم ، والمعطي لكل هذه الخيرات فكيف يسن في العقول الاشتغال بعبادة غيره ، لا سيما إن كان غيره جمادا لا يفهم ولا يعقل ؟ "[5] .

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى: **(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون)**[6]وقع ابن عادل فيما وقع فيه المتكلمون من القول بوجود التمانع من الآلهة فقال:"

---

[1] أخرجه أحمد (225/2) .

[2] فاطر : 40 .

[3] ابن عادل : اللباب (151/16-152) .

[4] النحل : 17 .

[5] ابن عادل : اللباب (35/12) .

[6] الأنبياء : 22 .

[6] ابن عادل:اللباب(471/13)وانظر البغوي: معالم التنزيل(80/5 4).

المعنى : لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله لفسدتا ، أي لخربتا ، وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة ، لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام "[1] دلل على هذا التمانع بوجوه ثلاثة ، نذكر منها الوجه الثالث ، فقد قال فيه : " لو قدرنا إلهين فإما أن يتفقا أو يختلفا ، فإن اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال ، وإن اختلفا فإما أن يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما ، أو يقع أحدهما دون الآخر والكل محال، فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات "(2) .

د ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)**[3] عقد فصلا في بيان المراد بالعبادة في القرآن الكريم ، بدأه بقول ابن عباس رضي الله عنهما : " كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد"(4) ،ثم عقد فصلا آخر في الاستدلال بهذه الآية على الصانع، قال فيه:"هذه الآية تدل على الصانع القادر الفاعل المختار سأل بعض الدهرية الشافعي ـ رضي الله عنه ـ ما الدليل على الصانع؟ فقال : ورقة الفرصاد[5]طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم ؟ قالوا: نعم ، قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم ويأكلها النحل[6] فيخرج منها العسل ، وتأكلها الشاة فيخرج منها البعر ، وتأكلها الظباء فينعقد في نوافجها المسك ، فمن الذي جعلها لذلك مع أن الطبع واحد ؟ فاستحسنوا ذلك وآمنوا على يديه ، وكانوا سبعة عشر"[7] .

2 ـ تعرضه لإثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

كانت معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، فالمعجزة هي القرآن ، والقرآن هو المعجزة ، على غير ما كانت عليه معجزات الأنبياء السابقين ، فكانت المعجزة شيء والكتاب شيء آخر ، فمعجزة موسى عليه السلام العصا والكتاب التوراة ، ومعجزة عيسى عليه السلام إحياء الموتى والكتاب الإنجيل .

والقرآن الكريم هو الدليل القطعي الدال على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فعجز البشر عن الإتيان بمثله دليل على أنه من عند الله تعالى ، وكونه من عند الله دليل على أن الذي أتى به مرسل من عند الله .

لقد تعرض ابن عادل في تفسيره لإثبات نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواضع

---

[1] ابن عادل:اللباب(471/13) البغوي:معالم التنزيل (480/5) . [2] ابن عادل : اللباب (471/13) .

[3] البقرة : 21 . (4) ابن عادل:اللباب(409/1) البغوي:معالم التنزيل(55/1).

[5] الفرصاد : هو التوت ، الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة:ت٣٧٦هـ:أدب الكاتب ، المكتبة التجارية ـ مصر ـ 1963م،ط 4 ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد(1/9 7) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن قتيبة : أدب الكاتب.

[6] النوافج جمع نافجة وهي وعاء المسك .الزيات:المعجم الوسيط مادة نفج(938/1). (٧) ابن عادل : اللباب (414/1) .

متعددة ، منها :

أ ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)**[1] قال:" إعلم أن الله سبحانه لما أقام الدلائل القاطعة على إثبات الصانع،وأبطل القول بالشريك، عقبه بما يدل على النبوة ، ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مبنية على كون القرآن معجزاأقام الدلالة على كونه معجزا"[2].

ب ـــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءناوأبناءكم ونساءناونساءكم وأنفسناوأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنةالله على الكاذبين)**[3] بعد أن ذكر سبب نزول هذه الآية عقد فصلا في دلالة هذه الآية على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال فيه : " دلت هذه الواقعة[4] على صحة نبوته ـــ عليه السلام ـــ من وجهين :

أحدهما : أنه ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ خوفهم بنزول العذاب ، ولو لم يكن واثقا بذلك لكان ذلك منه سعيا في إظهار كذب نفسه ، لأنه بتقدير أن يرغبوا في مباهلته ، ثم لا ينزل العذاب ، فحينئذ يظهر كذبه ، فلما أصر على ذلك علمنا أنه إنما أصر عليه لكونه واثقا بنزول العذاب عليهم .

وثانيهما : أن القوم ـــ لما تركوا مباهلته ـــ لولا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدل على نبوته لما أحجموا عن مباهلته "[5] .

ج ـــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)**[6] قال:"السور التي تقدمت وافتتاحها بالقسم بالأشياء دون الحروف،هي الصافات والذاريات والطور وهذه السورة بعدها،ففي الأولى أقسم لإثبات الوحدانية كما قال: **(إن إلهكم لواحد)**[7]،وفي الثانية أقسم لوقوع الحشر والجزاء كما قال تعالى: **(إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع)**[8] ، وفي الثالثة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال: **(إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع)**[9]،وفي هذه أقسم لإثبات النبوة لتكتمل الأصول الثلاثة: الوحدانية،الحشر ، والنبوة "[10].

د ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ**

---

(1) البقرة : 23 .　　(2) ابن عادل : اللباب (429/1) .

(3) آل عمران : 61 .

(4) هي واقعة المباهلة التي طرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران عندما قدموا إليه،لكنهم رفضوها ، لأنهم أيقنوا بالهلاك إن حصلت ، أوردها البخاري في كتاب المغازي باب قصة أهل نجران رقم (4119) (1592/4) .

(5) ابن عادل : اللباب (290/5)　　(6) النجم :1- -4.

(7) الصافات : 4 .　　(8) الذاريات : 5-6 .

(9) الطور : 7-8 .　　(10) ابن عادل : اللباب (154/18) بتصرف .

يلقــون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون)[1] قال : " ومعنـــى الآيـــة : ذلك الذي ذكرناه ــ من حديث زكريا ويحيى ومريم ــ عليهم السلام ــ من أخبار الغيب نوحيــه إليك ، وذلك دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أنه أخبر عن قصصهم ــ ولم يكن قــرأ الكتب ــ وصدقه أهل الكتاب بذلك " (2) .

3 ــ موقفه من المتشابه [3]: ــ الأسماء والصفات ـــ: ذكر القرآن الكريم أسماء عديدة لله سبحانه وتعالى وصفات كثيرة ، وأسماء الله كلها حسنى **(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)**[4] وصفاته كلها صفات الكمال المطلق ، لأنه سبحانه وتعالى منزه عن كل نقص وعيب ، ولا يشبه أحدا من خلقه **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** .

هذا وقد اختلفت مواقف المفسرين لكتاب الله تبارك وتعالى، وتعـــددت آراؤهـــم وتبـــاينت اتجاهاتهم نحو أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى حسب اختلاف مشاربهم ، وتعدد مناهجـــــهم ، وظهر هذا الاختلاف على سطح التفسير .

والذي يعنينا هنا هو ماهو موقف ابن عادل من أسماء الله وصفاته ؟ وما هي المدرسة التي انتمى إليها في ذلك؟ هل هي مدرسة السلف القائمة على الوقوف عند النص وعدم تجـــاوزه ؟ أم مدرسة الخلف القائمة على تأويل النص والاجتهاد في تأويله ؟ ، أم هل كان وسطا في ذلــــك ؟ هذا ما سنبينه إن شاء الله تعالى .

أ ــ أسماء الله الحسنى وموقفه منها :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)**[6] صرح بأن أســـماء الله تعالى توقيفية ، لا يجوز تجاوز النص فيها ، وهذا منهج السلف ، فقال : " الآية دالة على أن لله تعالى أسماء حسنة ، وأن الإنسان لا يدعو الله إلا بها، وأنها توقيفية لا اصطلاحية، لأنـــه لا يجوز أن يقال : يا جواد ولا يجوز أن يقال : يا سخي ، ويجوز أن يقال : يا عالم ، ولا يجـــوز أن يقال:يا فقيه يا عاقل يا طبيب "[7]، ثم أعقب بدليل من السنة النبوية فقال:" وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة "[8]"(9).

---

[1] آل عمران : 44 . (2) ابن عادل : اللباب (219/5) .

[3] المتشابه هو ما خفي في نفس اللفظ ولا يرجى إدراكه أصلا.الجرجاني،علي محمد بن علي ت ٨١٦هـ:التعريفات، دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط 1 1405هـ تحقيق إبراهيم الإبياري(253)وسيشار إليه فيا بعد هكذا الجرجاني:التعريفات.

[4] الأعراف : 180 . (5) الشورى : 11 .

(6) الأعراف : 180 . (7) ابن عادل : اللباب (401/9) .

[8] أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب إن لله مائة اسم إلا واحدا رقم (6957) (2691/6)، مسلم في كتاب الذكر بـــاب الحث على ذكر الله رقم (2677) (2063/4) . (9) ابن عادل : اللباب (410/9) .

2 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى)**[1] قسم الأسماء الواردة في القرآن الكريم ثلاثة أقسام :

الأول : ما ليس بانفراده مدحا وثناء ، كقوله : جاعل وفالق وصانع ، فإذا قيل : **(فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا)**[2] صار مدحا "[3] .

الثاني : الإسم الذي يكون مدحا ، وهو نوعان :

أ ـ " ما إذا قرن بغيره صار أبلغ ، نحو قولنا : حي ، فإذا قيل : الحي القيوم ، أو الحي الذي لا يموت كان أبلغ "[4] .

ب ـ " ما كان اسم مدح ولكن لا يجوز إفراده ، كقولنا دليل ، وكاشف[5]، فإذا قيل : يا دليل المتحيرين ، ويا كاشف الضر والبلوى جاز "[6] .

الثالث : " ما يكون اسم مدح مفردا أو مقرونا ، كقولنا : الرحيم الكريم"[7] .

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(الله نور السماوات والأرض)**[8] تأول تفسير النور بعدة معاني،منها العدل،فقال: "والمراد النور:عدله" ، وب "أنه منور السماوات" وهذا مروي عن الحسن والضحاك[9]"[10] ، ثم ذكرقول ابن عباس قال : " هادي أهل السماوات والأرض،فهم بنوره إلى الحق يهتدون ، وبهداه من حيرة الضلالة ينجون"[11] .

د ـ عند تفسيره للآيات الأواخر من سورة الحشر من قوله تعالى : **(هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ...إلى قوله تعالى : وهو العزيز الحكيم)**[12] عني بتفسير أسماء الله الواردة في هذه السورة ، وبيان معانيها من الناحية اللغوية ، نذكر منها الأسماء التالية :

---

(1) طه : 8 .

(2) الأنعام:96. "جاعل" قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر ، و"جعل " قراءة عاصم وحمزة والكسائي . أنظر ابن الجزري: النشر(260/2)، الواسطي:الكنز (155) .

(3) ابن عادل:اللباب(182/13)،قال ابن تيمية:(..والسماء والأرض أعظم من الشمس والقمر والليل والنهار،والنفس أشرف الحيوان المخلوق ، فكان القسم بصانع هذه الأمور العظيمة مناسبا ، وكان إقسامه تنبيها على أنه صانع لها ...) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (230/16) .

(4) ابن عادل : اللباب (182/13)

(5) بالنسبة ل" دليل " لم يرد في القرآن مفردا،ولا مضافا،أما " كاشف " فورد في قوله تعالى : "وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو" الأنعام : 17 .

(6) ابن عادل : اللباب (182/13)

(7) ابن عادل : اللباب (182/13) .

(8) النور : 35 .

(9) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي،روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم،وعنه جويبر بن سعيد والحسن ابن يحيى البصري،اتفق الجميع على توثيقه،ت 106 هـ . ابن حجر : تهذيب التهذيب (226/2-227) .

(10) ابن عادل : اللباب (381/14) .

(11) ابن عادل:اللباب(381/14) الطبري:جامع البيان (135/18) .

(12) الحشر : 22-24.

السلام : قال في تفسيره لهذا الإسم وبيانه : " السلام : أي ذو السلامة من النقائص ، وقيل: المسلم على عباده في الجنة كما قال : (**سلام قولا من رب رحيم**)[1]، وقيل المسلم لعباده[2] .

المؤمن : قال في تفسير هذا الإسم وبيانه : " المؤمن : أي الذي أمن أولياؤه عذابه ، يقال : أمنه يؤمنه فهو مؤمن "[3] .

المهيمن : قال في تفسير هذا الاسم وبيانه: " المهيمن : القائم على خلقه بقدرته ، وقيل : هو في الأصل مؤيمن فقلبت الهمزة هاء ، كقوله : أرقت وهرقت، ومعناه المؤمن نقله البغوي" [4] .

الجبار : قال في تفسير هذا الإسم وبيانه : " الجبار : استدل به من يقول : إن أمثلة المبالغة تأتي من المزيد على الثلاثة ، فإنه من أجبره على كذا أي قهره وقيل هو من الجبر ، وهو الإصلاح "[5] ، وذكر قول ابن عباس : " الجبار : هو الملك العظيم "[6] .

هـ ــ عند تفسيره للبسملة في سورة الفاتحة مال إلى التأويل في بيان معنى الرحمن الرحيم، فقال : " والرحمة لغة : الرقة والإنعطاف ، ومنه اشتقاق الرحم ، وهي البطن ، لانعطافها على الجنين ، فعلى هذا يكون وصفه ــ تعالى ــ بالرحمة مجازا عن إنعامه على عباده ، كالملك إذا عطف على رعيته أصابهم خيره "[7] .

ب ــ صفات الله العلى وموقفه منها :

وصف الله سبحانه وتعالى ذاته العلية بصفات الكمال ، والعظمة والجلال ، وهي أبعد ما تكون عن صفات البشر المخلوقين ، المتصفين بصفات النقص والعجز ، وهذه الصفات ثابتة في الكتاب والسنة ، لا يجوز العدول عنها ، لأن الله تعالى أعلم بصفاته من خلقه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من سائر خلق الله بما أوحاه الله إليه.

هذا وقد انقسم الناس إزاء صفات الله أربعة أقسام :

الأول : المعطلة : حيث عطلوا صفات الله تعالى ، ظنا منهم أنهم ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ، وهؤلاء هم المعتزلة ومن سار على نهجهم ، فهم يزعمون أن الله عالم بدون علم ، وقادر بدون قدرة ....إلخ ، ويزعمون أيضا أن الله سبحانه وتعالى لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة ، وأنه سبحانه يرى نفسه ولا يراه غيره .....إلخ .

الثاني : المجسمة : حيث وصفوا الله بما لا يليق به ، ونسبوا إليه الجهة والمكان ، وشبهوه

---

(1) يس : 58 .

(2) ابن عادل : اللباب (611/18) .

(3) السابق نفسه (611/18) .

(4) ابن عادل:اللباب (612/18)،البغوي:معالم التنزيل(362/4).

(5) ابن عادل : اللباب (613/18) .

(6) ابن عادل:اللباب(٦١٣/١٨)،ابن الجوزي: زاد المسير(227/8) .

(7) ابن عادل : اللباب (146/1) .

الثاني : المجسمة : حيث وصفوا الله بما لا يليق به ، ونسبوا إليه الجهة والمكان ، وشبهوه بخلقه ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وكان على رأس هؤلاء الجهمية .

الثالث : مذهب السلف : فقد وصف أصحاب هذا المذهب الله تعالى بما وصف به نفسه ، ووصفه به نبيه عليه الصلاة والسلام ، دون تكييف أو تشبيه،أو تعطيل ،أو تحريف ، أو تأويل .

الرابع : مذهب الخلف ، فقد أثبت أصحاب هذا المذهب بعض الصفات لله عز وجل كالحياة والعلم ، والقدرة،والإرادة،وأولوا بعض الصفات الأخرى كالوجه بالذات،واليد بالقوة وغير ذلك .

والمذهبان الأخيران هما أهل السنة ، وهما مقران بأن مذهب السلف أسلم طريقة ، وأقوم

أما موقف ابن عادل من ذلك فإنه كان يقول بالتأويل في أغلب المواضع وهي السمة الغالبة في تفسيره،وذلك بحكم كونه أشعري العقيدة ، ويقول بعدم التأويل في مواضع أخرى ، وهي قليلة ، فمن المواضع التي قال فيها بالتأويل ما يلي :

أ ـ عند تفسيره للبسملة عقد فصلا في بيان صفات لا تثبت في حق الله،قال في مقدمته : " إعلم أنه قد ورد في القرآن ألفاظ دالة على صفات لا يمكن إثباتها في حق الله تعالى ، ونحن نعد منها صورا :

فإحداها: الاستهزاء : قال تبارك وتعالى: **(الله يستهزئ بهم)**[1] ثم إن الاستهزاء جهل لقول موسى عليه السلام حين قالوا : **(أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)**(2)"[3]، ثم قال بعد أن عدد ست صور : " واعلم أن القانون الصحيح في هذه الألفاظ أن نقول : لكل واحد من هذه الأحوال أمور توجد معها في البداية ، وآثار تصدر عنها في النهاية ،مثاله:أن الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان الدم وسخونة المزاج ، والأثر الحاصل منها في النهاية إيصال الضرر إلى المغضوب عليه ، فإذا سمعت الغضب في حق الله ـ تعالى ـ فاحمله على نهاية الأعراض ، لا على بدايات الأعراض ، وقس الباقي عليه "[4] .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى:**(الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون)**(5)ذكر أن للاستهزاء معنيان:الأول: السخرية واللعب،والثاني:الإنتقام ، ثم قال: "فعلى هذا القول الثاني نسبة الإستهزاء إليه ـ تعالى ـ على ظاهرها،وعلى القول الأول فلا بد من تأويل وهو من وجوه :

الأول : قيل المعنى يجازيهم على استهزائهم،فسمى العقوبة باسم الذنب ليزدوج الكلام ومنه

---

(1) البقرة : 15 . (2) البقرة : 67 .

(3) ابن عادل : اللباب (154/1) .

(4) ابن عادل:اللباب(155/1)،وانظر: العمري محمد بن أحمد بن خير الله ، ت ١٢٠٣هـ : تيجان البيان في مشكلات القرآن ، مطابع جامعة الموصل 1985م ط1 تحقيق حسن مظفر الرزو (248) وسيشار إليه فيما بعد هكذا العمري : تيجان البيان . (5) البقرة : 15 .

: **(وجزاء سيئة سيئة)** [1]،[2] ، ثم أتى بالوجوه الأخرى التي تأول فيها معنى الإستهزاء .

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون)**[3]ذكر تأويل ابن عباس لهذه الآية فقال : "قال ابن عباس في قوله تعالى : "يوم يكشف عن ساق قال : كرب وشدة "[4] .

د ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولتصنع على عيني)** [5] ذكر أن هذا من المجاز ، وقال : " وفي كيفية المجاز قولان : الأول المراد من العين العلم ، أي تربى على علم مني ....والثاني المراد من العين الحراسة ، لأن الناظر إلى الشيء يحرسه عما لا يريده ، فالعين كأنها سبب الحراسة ، فأطلق اسم السبب على المسبب مجازا "[6] .

وأما المواضع التي لم يقل فيها بالتأويل ، ونحا فيها منحى السلف وهي قليلة منها :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى: **(ثم استوى على العرش)**[7]ذكر أن هذا من المتشابه فقال:إن قوله تعالى:" ثم استوى على العرش " من المتشابهات التي يجب تأويلها،وللعلماء هاهنا مذهبان :

الأول : أن يقطع بكونه تعالى متعاليا عن الجهة والمكان ، ولا نخوض في تأويل الآية على التفصيل ، بل نفوض علمها إلى الله ـ تعالى ـ ونقول :الإستواء على العرش صفة لله ـ تعالى ـ بلا كيف ، يجب على الرجل[8]الإيمان به ، ونكل العلم فيه إلى الله عز وجل ، وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله : " الرحمن على العرش استوى" كيف استوى ؟ فأطرق مليا ، وعلاه الرحضاء[9] ، ثم قال : الإستواء معلوم ،والكيف غير معقول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أظنك إلا ضالا ، فأمر به فأخرج[10] والمذهب الثاني : أن نخوض في تأويله على التفصيل ..." [11]ثم ذكر كلاما كثيرا وموسعا في ذلك .

---

[1] الشورى : 40 .

[2] ابن عادل : اللباب (364/1) ، الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ت ٢٧٦هـ : **تأويل مشكل القرآن** ، المكتبة العلمية ـ بيروت ـ شرح أحمد صقر (77 2) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن .

[3] القلم : 42 .

[4] ابن عادل : اللباب (298/19) ، وانظر ابن حجر: فتح الباري (428/13) ، العمري : تيجان البيان (247) ، ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن (137) .

[5] طه : 39 .

[6] ابن عادل : اللباب (238/13-239) .

[7] الأعراف : 54 ، هذه الآية ومثيلاتها في القرآن أخذت شوطا كبيرا في كتب التفسير ، بين مسلم لله فيها غير مؤول ، وبين مؤول استعمل فيها عقله بما ترشد إليه لغة العرب وأشعارهم ، والراجح أن التسليم أولى .

[8] ذكر الرجل للتغليب،فهو يشمل الرجل والمرأة،كما في قوله تعالى:(قد أفلح المؤمنون)المؤمنون : 1،حيث ذكر المؤمنون هنا للتغليب،وإلا فهو يشمل المؤمنات أيضا.

[9] الرحضاء: العرق الكثير يغسل الجسد،الزيات:المعجم الوسيط (334/1).

[10] السيوطي:الدر المنثور(473/3) ابن تيمية:مجموع الفتاوى (40/16) .

[11] ابن عادل:اللباب (150/9-151) بتصرف.

لكنه مع تطرقه إلى التأويل والتوسع فيه ، إلا أنه ذكر في آخر موضع تعرض فيه لـــهذه المسألة[1] ما يدل على أنه يقول بما قاله أهل السلف فقال : " قوله ثم استوى على العرش " اختلف العلماء في هذه الآية ونظائرها على قولين :

الأول : ترك التعرض إلى بيان المراد ، الثاني : التعرض إليه ، والأول أسلم ، لأن صفة الإستواء مما لا يجب العلم بها،فمن لم يتعرض إليه لم يترك واجبا ، ومن تعرض إليه فقد يخطر له فيعتقد خلاف ما هو عليه، فالأول غاية ما يلزمه أنه لا يعلم،والثاني يكاد يقع في أن يكون جاهلا،وعدم العلم، والجهل المركب كالسكوت والكذب،ولاشك أن السكوت خير من الكذب "[2] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)** [3] بعد أن بين معنى القبضة من الناحية اللغوية،عقد فصلا في تفسيرها حيث قال :" إنهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا هذه الأشياء الخسيسة مشاركة له في العبودية فقال : " وما قدروا الله حق قدره " أي عظموا الله حق عظمته فقال:"والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه" [4] ، ثم ذكر ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ولم يزد عليه ، فقال : "وروى البخاري أن حبرا من الأحبار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، ويقول أنا الملك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ :"وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة "[5] وروى مسلم قال:والجبال والشجر على إصبع وقال: ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله"[6]"[7].

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وكلم الله موسى تكليما)** [8]أثبت صفة الكلام على الحقيقة ، فقال: " وتكليما " مصدر مؤكد رافع للمجاز " [9] أي وقع الكلام على الحقيقة وليس على المجاز ، و نقل عن الإمام القرطبي ما يؤيد هذا القول ، فقال :" قال القرطبي: " تكليما " يقدر معناه بالتأكيد ، وهذا يدل على بطلان قول من يقول : خلق الله لنفسه كلاما في شجرة ،

---

[1] آخر موضع هو عند تفسيره للآية رقم : 4 من سورة السجدة .

[2] ابن عادل : اللباب (473/15) .

[3] الزمر : 67 .

[4] ابن عادل : اللباب (546-545/16) .

[5] أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب وما قدروا الله حق قدره رقم (4533)(1812/4) .

[6] أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار رقم(2785)(2147/4).

[7] ابن عادل:اللباب(546/16) بتصرف .

[8] النساء : 165 .

[9] ابن عادل : اللباب (135/7) .

فسمعه موسى عليه السلام ، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلما "[1]، ثم أنهى الكلام بقوله :"لما قال : "تكليما"وجب أن يكون كلاما على الحقيقة[2] .

د ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)** [3] عقد فصلا في رؤية الله عز وجل يوم القيامة قال فيه : " وجمهور أهل السنة تمسك بهذه الآية لإثبات أن المؤمنين يرون الله ــ سبحانه وتعالى ــ يوم القيامة ، وأما المعتزلة فاحتجوا بقوله تعالى : **(لا تدركه الأبصار)**[4] ،ويقولون:النظر المقرون ب"إلى" ليس اسما للرؤية ، بل لمقدمة الرؤية "[5] ، وهذا هو مذهب السلف الذي يثبت الرؤية دون تأويل ، خلافا للمعتزلة الذين يؤولون النظر بالانتظار ، واستدل على صحة مذهب أهل السنة بما رواه الشيخان عن جرير بن عبد الله[6] قال : كنا عند رسول الله صلى اله عليه وسلم فنظر إلى القمر ، فقال : إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا " ثم قرأ: **(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)** [7] متفق عليه "[8][9] .

مما سبق يتبين أن الإمام ابن عادل غلب على تفسيره لآيات الصفات منهج الخلف القائم على التأويل ، وذلك بحكم كونه أشعري العقيدة ، فكانت السمة الغالبة في تفسيره ، ومع ذلك فقد كان يتعرض لمذهب السلف عند تفسيره لبعض الآيات .

4 ــ تعرضه لمسائل عقدية متعددة :

تعرض الإمام ابن عادل في تفسيره لمسائل عقدية متعددة في مواضع متفرقة منها :

1 ــ معنى الإسلام والإيمان :

من المعلوم أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا تفرقا، وإذا تفرقا اجتمعا ،ومن هذا المنطلق فقد عرف الإمام ابن عادل الإيمان بأنه " التصديق بالقلب "[10] والإسلام بأنه " هو الدخول في السلم ، والانقياد والطاعة "[11] ، فهنا عرف كل واحد منهما تعريفا مستقلا عن الآخر ، فجمع

---

[1] اللباب (135/7) .

[2] ابن عادل : اللباب (136/7) .

[3] القيامة : 22-23 .

[4] الأنعام : 103 .

[5] ابن عادل : اللباب (565/19) .

[6] هو أبو عمرو جرير بن عبد الله البجلي الصحابي الجليل،روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه أنس بن مالك وقيس بن حازم والشعبي وغيرهم،ت4 5 هــ . النووي:تهذيب الأسماء واللغات(147/1) .

[7] ق : 39 .

[8] أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب فضل صلاة العصر رقم(529) (203/1) ، مسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاة الصبح والعصر رقم (633) (439/1) .

[9] ابن عادل : اللباب (567/19) .

[10] ابن عادل : اللباب (560/17) .

[11] ابن عادل : اللباب (560/17) .

بينهما عند ورود أحدهما ، فقال : " فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللســـان والأبـــدان والجنان كقوله ــ عز وجل ــ لإبراهيم : **(أسلم قال أسلمت لرب العالمين)**[1]) "[2] وفرق بينهما عند اجتماعهما ، فقال : " ومنها ــ أي الإسلام ــ ما هو انقياد باللسان دون القلب ، وذلك قوله : **(ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)** (3) "[4]وأشار إلى هذه التفرقة أيضـــا عنـــد تفسيره لقوله تعالى : **(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات)** (5)فقال:" قال عطاء بن أبي رباح : " من فوض أمره إلى الله عز وجل فهو داخل في قوله :"إن المسلمين والمســـلمات" ومن أقر بأن الله ربه،ومحمدا رسوله،ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله: "إن المؤمنيـــن والمؤمنات "[6].

2 ــ زيادة الإيمان ونقصانه :

اختلف أهل العلم في هذه المسألة،فمنهم من قال:إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، لأن الإيمان هو مجرد التصديق ، ومنهم من قال:إن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي مستدلا بقوله تعالى : **(ويزيد الله الذين اهتدوا هدى)**[7] ، ومنهم من قال : إن الإيمان يزيد ولا ينقص مستدلا بأنه لم يرد هناك دليل يذكر أن الإيمان ينقص ، بل كل ما ورد أن الإيمان يزيد .

وقد تعرض الإمام ابن عادل لهذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون)** (8) حيث ذهب إلى أن الإيمان يزيد وينقص مستدلا بما في الأثر فقال : عمر بن حبيب وكانت له صحبة[9]: إن للإيمان زيادة ونقصانا ، قيل : فما زيادته؟ قال : إذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته ، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه"[10] .

وفسر الزيادة بأنها زيادة اليقين و الإيمان ، أو زيادة الثواب ، أو زيادة المرتبة ، فقال عنـد تفسيره لقول تعالى : **(ويزيد الله الذين اهتدوا هدى)** [11] : قال :" إعلم أنه ــ تعالى ــ لما بيـــن أنه يعامل الكفار " بعد ذلك بما ذكره ، فكذلك يزيد المؤمنين المهتدين هدى ، أي إيمانا وإيقانـــا

---

[1] البقرة : 131 .

[2] ابن عادل : اللباب (560/17) .　　(3) الحجرات : 14 .

[4] ابن عادل : اللباب (560/17) .　　(5) الأحزاب : 35 .

[6] ابن عادل:اللباب (550/15)،البغوي:معالم التنزيل (530/3).

[7] مريم : 76 .　　(8) الأنفال : 2 .

[9] الصواب هو عمير بن حبيب ، بايع تحت الشجرة ، وهو جد أبي جعفر الخطمي ، لم تخرج له رواية عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد حجر ، ت 852هـ : الإصابة في تمييز الصحابـــة ، دار الجيل ــ بيروت ــ ط 1 1992م تحقيق محمد علي البجاوي وسيشار إليه فيما بعد هكذا إبن حجر : الإصابة .

[10] ابن عادل : اللباب (448/9) ، وانظر البغوي : معالم التنزيل (229/2) .

[11] مريم : 76 .

على يقينهم ، ومن الناس من حمل زيادة الهدى على الثواب ، أي يزيدهم ثوابا على ذلك الإهتداء ، ومنهم من فسر الزيادة بالعبادة المرتبة على الإيمان "[1] .

3 ـــ عذاب القبر :

عذاب القبر من الأمور المتعلقة باليوم الآخر ، وهو من المسائل التي تعرض لها ابن عادل في تفسيره ، فعنـــد تفسيره لقوله تعالى : **(النار يعرضون عليها غدوا وعشــــيا ويـــوم تقـــوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)**[2] قال:"دلت هذه الآية على إثبات عـــذاب القـــبر، لأن الآية تقضي عرض النارعليهم غدواوعشيا،وليس المراد منه يوم القيامة لقوله بعده : " ويوم تقوم الساعةأدخلوا فرعون أشدالعذاب "وليس المرادمنه أيضاالدنيا،لأن عـــــرض النارعليـــهم غـــدوا وعشياما كان حاصلافي الدنيا فثبت أن هذا العرض إنماحصل بعد الموت وقبل يوم القيامة [3].

4 ـــ نزول عيسى عليه السلام :

من المعلوم أن نزول عيسى عليه السلام من السماء من علامات الساعة الكبرى ، وثبـــت ذلك بالأدلة القاطعة في الكتاب والسنة ، منها قوله تعالى : **(وإنه لعلم للساعة فلا تمـــترن بـــها واتبعوني هذا صراط مستقيم)**[4]، فقد قال ابن عادل عند تفسيرها:" معنى الآية أن نزول عيســى من أشراط الساعة يعلم بها قربها "[5] ثم ذكر حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه : " ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضـــع الجزية ، وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام "[6]"[7] .

5 ـــ الشفاعة :

مذهب أهل السنة والجماعة ثبوت شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بـــل وأجمعـــت عليها أمة الإسلام ، فعند تفسيره لقوله تعالى : **(واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شـــيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون)**[8]عقد فصلا في الشـــفاعة قـــال فيـــه :"أجمعت الأمة على أن الشفاعة في الآخرة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلفـــوا فـــي أن شفاعته ـــ عليه الصلاة والسلام لمن تكون ؟ للمؤمنين المستحقين للثـــواب أم لأهـــل الكبـــائر المستحقين للعقاب ؟ فذهب المعتزلة إلى أنها للمستحقين للثواب ، وتأثير الشفاعة زيادة المنـــافع

---

[1] ابن عادل : اللباب (131/13) .

[2] غافر : 46 .

[3] ابن عادل : اللباب (62/17) .

[4] الزخرف : 61 .

[5] ابن عادل : اللباب (286/17) .

[6] أخرجه البخاري في كتاب البيع باب قتل الخنزير رقم (2109) (477/2)ومسلم في كتاب الإيمان باب نزل عيسى حاكمـا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم رقم (155) (135/1) .

[7] ابن عادل : اللباب (286/17) .

[8] البقرة : 48 .

على ما استحقوه ، وقال أصحابنا : تأثيرها في إسقاط العذاب عن المستحقين بأن يشفع لهم في عرصة يوم القيامة حتى لا يدخلوا النار ، فإن دخلوا النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة ، واتفقوا على أنها ليست للكفار "[1].

والشفاعة خصوصية من الخصوصيات التي أعطيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا،فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة "[2] .

---

[1] ابن عادل : اللباب (52/2) بتصرف .

[2] أخرجه البخاري في كتاب التيمم حديث نزول آية التيمم رقم (328) (128/1) ، مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم (521) (370/1) .

الفصل الثاني

منهجه في التفسير بالرأي وما يتعلق به

المبحث الأول

الإتجاه اللغوي والنحوي والبلاغي في تفسير ابن عادل

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم(**بلسان عربي مبين**)[1] في غاية الفصاحة والبلاغة والتعبير، وصفه مُنَزّله سبحانه وتعالى بأنه(**قرآناً عربياً غير ذي عوج**)[2].

والذي يقدم على تفسير كتاب الله تبارك وتعالى ، ليوضح معانيه ، ويبين مقاصده ومراميه ويغوص في دقائقه ، لابد له من الإطلاع على علوم اللغة العربية بشتى فروعها ، إلى مستوى يؤهله لأن يكون أهلاً لتفسير كتاب الله المجيد .

هذا وقد اشترط أهل العلم للمفسر شروطاً محددة ، منها الإحاطة باللغة العربية ، فقد قال الإمام مالك رحمه الله : " لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بالعربية إلا جعلته نكالاً"[3]، وقال من قبله الإمام مجاهد : " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب "[4].

ومعرفة لغات العرب تكمن في معرفة أشعارهم وخطبهم وحكمهم أمثالهم ، روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب "[5] .

لذلك اهتم العلماء منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من بعدهم بلغة العرب، فحفظوا دواوين شعرائهم وألموا بخطبهم وحكمهم وأمثالهم ، فهذا الشافعي خرج إلى قبيلة هذيل ، فتعلم لغتهم وحفظ أشعارهم،حتى غدا علماً من أعلام العربية والفقه والأصول والتفسير،بل حجة على أهل اللغة،وبلغ من علو كعبه في اللغة أن الأدباء كانوا يصححون محفوظاتهم من الشعر عليه.

أما الذي لم يتضلع في علوم اللغة،ويتبحر في معانيها،ويغوص في دقائقها ، فإنه سيقع في الخطأ ، فيحرف الكلام عن مواضعه ، ويوقع نفسه في دائرة النقد واللوم والعتاب.

والإمام ابن عادل أخذ بحظ وافر من علوم العربية ومعارفها المتعددة ، مما أهله لأن يكون من المفسرين الذين أبدعوا في القضايا اللغوية ، وتوسعوا فيها ، فتعرض للمفردات وشرحها ، وذكر أصل الكلمة واشتقاقها ، وتوسع في الإعراب توسعاً كبيراً ، وتعرض للنواحي البلاغية

---

[1] الشعراء : 195 .   [2] الزمر : 28 .

[3] رواه البيهقي في شعب الإيمان (2287)،وذكره الزركشي في البرهان(302/2)،والسيوطي في الإتقان (229/2) .

[4] الزركشي:البرهان(396/1)،السيوطي:الإتقان(231/2).[5] الزركشي:البرهان(396/1)،السيوطي:الإتقان(10/2).

ودقائقها ، ودلل على كل مسألة وقضية بالشواهد الشعرية

هذا وسيكون الكلام في هذا المبحث عن الإتجاهات التالية :

أولاً : الإتجاه اللغوي .

ثانياً : الإتجاه النحوي .

ثالثاً : الإتجاه البلاغي .

أولاً : الإتجاه اللغوي

وردت في القرآن الكريم ألفاظ وكلمات تحتاج إلى تفسير وبيان وتوضيح ، وقد تكون هذه الكلمات إسماً أو فعلاً أو حرفاً ، وهذه الألفاظ و الكلمات لا يقدم على تفسيرها وتوضحيها إلا من تمكن في اللغة العربية ،وعرف معاني مفرداتها حال الإفراد والتركيب.

والإمام ابن عادل متمكن في معرفة مفردات اللغة ، مطلع على ما أُلِّف في هذا النوع من العلوم ، يدل على ذلك اهتمامه الكبير في بيان معاني الألفاظ التي تعرض لها في تفسيره ، وقد كان اتجاهه ومنهجه في ذلك على النحو التالي :

1 ـ يبين معنى الكلمة الغريبة التي وردت في الآية القرآنية ، وهذه أمثلة على ذلك:

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا)**[1] تعرض لمعنى الحنجرة ، فقال : " والحناجر جمع حنجرة ، وهي رأس الغلصمة ، والغلصمة منتهى الحلقوم ، والحلقوم مجرى الطعام والشراب ، وقيل الحلقوم مجرى النفس , والمريء الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم ، وقال الراغب : "رأس الغلصمة من خارج "(2) .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى :(**كلا إذا بلغت التراقي**)(3)قال:"والتراقي جمع "ترقوة"، أصلها:"تراقو" قلبت واوها ياءً لانكسار ما قبلها "(4)، وذكر أقوالاً لأهل العلم، في معنى الترقوة ، منها ما نقله عن الراغب،فقال:قال الراغب:"الترقوة : عظمٌ وَصَلَ ما بين نقرة النحر والعاتق"(5).

ولا يقف ابن عادل عندهذاالمعنىالحقيقي للترقوة،بل يتجاوزه إلىالمعنىالمجازي،فيقول:"وقد يكنىببلوغ النفس التراقي عن الإشفاءبالموت،والمقصودتذكيرهم شدةالحال عندنزول الموت"(6) .

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً)**(7) تعرض لتعريف الزمرة فقال:"وزُمَرٌ" جمع "زُمْرَة" ، وهي الجماعات في تفرقة بعضها إثر بعض "(8)،ثم ذكر قول

---

(1) الأحزاب : 11 .

(2)ابن عادل:اللباب(511/15)،الراغب:المفردات(133).

(3) القيامة : 26 .

(4) ابن عادل : اللباب (569/19) .

(5) ابن عادل:اللباب(570/19)،الراغب:المفردات(74).

(6)ابن عادل : اللباب (570/19) .

(7) الزمر : 71 .

(8) ابن عادل : اللباب (551/16) .

الراغب فقال:"وقال الراغب:للزمرة الجماعة القليلة،ومنه شاة زَمِرة أي قليلة الشعر ، ورجل زَمِر أي قليل المروءة،وزَمَرَت النعامة زِماراً،ومنه اشتق الزَّمر،والزَمّارة كناية عن الفاجرة"[1].

2 ــ يذكر المعاني المتعددة للفظة الواحدة ، مما يسهل معرفة معانيها المختلفة ، وهو ما يسمى بالوجوه والنظائر[2] ، ويذكر الشواهد القرآنية لكل معنى ،وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين)**[3]عقد فصلاً ذكر فيه معاني الفرار الواردة في القرآن الكريم ، فقال : " وقد ورد لفظ "الفرار" على أربعة :

الأول : بمعنى الهرب ، كهذه الآية ، ومثله **(ولن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت)**(4) .

الثاني : بمعنى الكراهية ، قال تعالى : **(قل إن الموت الذي تفرون منه)**(5) أي تكرهونه .

الثالث : بمعنى اشتغال المرء بنفسه ، قال تعالى: **(يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه)**(6) أي لا يلتفت إليهم لانشغاله بنفسه .

الرابع :بمعنى التباعد ، قال تعالى: **(فلم يزدهم دعائي إلا فراراً)**(7) أي تباعداً "(8) .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)**(9) ذكر أن معنى الحسنى هو الجنة ، والزيادة غيرها ،فقال : " فلفظ " الحسنى" : وهي الجنة ، مطلقة ، وهي غير مقدرة بقدر معين ، فتكون الزيادة مغايراً لما في الجنة "(10) ، ثم عقد فصلاً بين فيه أن لفظ "الحسنى" يطلق على أكثر من معنى ، فقال: " قال أبو العباس المقرئ : وردت الحسنى على أربعة معان :

الأول : بمعنى الجنة قال تعالى : **(للذين أحسنوا الحسنى)** .

الثاني : الحسنى:الصلاح ، قال تعالى:**(وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى)**(11) أي:الصلاح.

الثالث : البنون ، قال تعالى: **(وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى)**(12) أي:البنون.

الرابع : الخَلَفُ في النفقة ، قال تعالى : **(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى)**(13) أي : بالخَلَف ، ومثله **(وكذب بالحسنى)**(14) "(15) .

---

[1] ابن عادل : اللباب (551/16) ، الراغب : المفردات (215) .

[2] كان يرجع في ذلك إلى كتاب " وجوه القرآن " لأبي عباس المقرئ الذي أشرت إليه في مصادر تفسيره والذي لا يزال مخطوطاً ينتظر من يحققه.

(3) الشعراء : 21 .

(4) الأحزاب : 16.

(5) الجمعة : 4 .

(6) عبس : 34-35.

(7) نوح : 6 .

(8) ابن عادل : اللباب (15/15-16)

(9) يونس : 26.

(10) ابن عادل : اللباب (306/10) .

(11) التوبة : 107 .

(12) النحل : 62 .

(13) الليل : 6 .

(14) الليل : 9 .

(15) ابن عادل : اللباب (307/10) .

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(قالوا كنا مستضعفين فــي الأرض)**[1] بيــن أن المقصــود بالأرض في هذه الآية أرض مكة ، فقال : " في الأرض" يعني أرض مكة "[2] ثم عقد فصلاً بين فيه معاني "الأرض" فقال : " وقد ورد لفظ الأرض على ثمانية أوجه:

الأول : الأرض المعروفة .

الثاني:أرض المدينة،قال الله تعالى: **(ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)**[3] .

الثالث : أرض مكة ، قال تعالى : **(قالوا كنا مستضعفين في الأرض)**[4] .

الرابع : أرض مصر ، قال تعالى : **(فأراد أن يستفزهم من الأرض)**[5] .

الخامس : أرض الجنة ، قال تعالى:**(وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء)**[6] .

السادس : بطون النساء ، قال تعالى : **(وأورثكم أرضهم وديارهم وأرضاً لم تطئوهــا)**[7] يعني النساء .

السابع : الرحمة ، قال تعالى: **(للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة)**[8] ، وقوله تعالى : **(يا عبادي إن أرضي واسعة)**[9] أي : رحمتي .

الثامن :القلب،قال تعالى:**(اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها)**[10]أي يحيي القلوب"[11] .

3 ـ يذكر معنى الأفعال التي لها أكثر من معنى ، ثم يحدد أحياناً المعنى المراد من الفعــل المراد في الآية ، ولا يحدد المعنى المراد حيناً آخر ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فــي ظلــل مــن الغمــام و الملائكة)**[12] ذكر أن معنى "ينظرون" هو ينتظرون ، فقال : " وينظرون" هنا بمعنى ينتظــرون ،وهو معدًى بنفسه ، قال امرؤ القيس :

فإنكما إن تَنْظُرَاني ساعةً   من الدَّهرِ يَنْفَعْنِي لدى أمِّ جُنْدَبِ[13]

وليس المراد هنا بالنظر تردد العين ، لأن المعنى ليس عليه "[14] .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم)**[15] ذكر معــاني الفعل "يريهم" فقال : " والرؤية تحتمل وجهين :

---

[1] النساء 97 .
[2] ابن عادل : اللباب (590/6) .
[3] النساء : 97 .
[4] النساء : 97 .
[5] الإسراء : 103 .
[6] الزمر : 74 .
[7] الأحزاب : 27 .
[8] الزمر : 10 .
[9] العنكبوت : 56 .
[10] الحديد : 17 .
[11] ابن عادل : اللباب (590/6-591) .
[12] البقرة : 210 .
[13] الأصفهاني : الأغاني (199/8) .
[14] ابن عادل : اللباب (481/3) .
[15] البقرة : 167 .

الأول : أحدهما أن تكون بصرية ، فتتعدى لاثنين بنقل الهمزة ، أولهما الضمير ، والثاني "أعمالهم" ، و"حسرات" على هذا حال من أعمالهم .

الثاني : أن تكون قلبية فتتعدى لثلاثة ، ثالثها "حسرات"[1] .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)**[2] بين أن معنى "جعل" في هذه الآية هو الخلق ، فتتعدى لمفعول واحد ، ثم ذكر معاني "جعل" فقال : " قال أبو العباس المقرئ : ورد لفظ الجعل في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى "خلق" ، قال تعالى : **(وجعل الظلمات والنور)**[3] ، وقوله : **(وجعل فيها رواسي من فوقها)**[4] ، وقوله : **(جعل الليل والنهار خِلْفَةً)**[5] .

الثاني : بمعنى "بعث" ، قال تعالى : **(وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً)**[6] .

الثالث : بمعنى " قدره" ، قال تعالى : **(وجعل لله أنداداً)**[7] ، وقوله تعالى : **(وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً)**[8] ، وقوله تعالى : **(أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً)**[9] .

الرابع : بمعنى "بين" ،قال تعالى:**(إنا جعلناه قرآناً عربياً)**[10] أي:بيناه بحلاله وحرامه.

الخامس :بمعنى "صير" ، قال تعالى:**(وجعلنا على قلوبهم أكنة)**[11]،أي:صيرنا،وقوله: **(أجعلتم سقاية الحاج)**[12]،وقوله:**(وجعل بين البحرين)**[13]وقوله:**(إنا جعلنا في أعناقهم)**[14]"[15] .

4 ــ كما تكلم عن معاني غريب المفردات القرآنية من أسماء وأفعال ، وتكلم أيضاً عن معاني الحروف التي لها علاقة بقضايا التفسير ولطائفه ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)**[16] ذكر أن "هل" هنا للنفي،ثم ذكر معانيها فقال :"وهل تأتي على أربعة أوجه :

الأول : بمعنى "ما" كهذه الآية ، وقوله : **(هل ينظرون إلا تأويله)**[17] .

---

[1] ابن عادل : اللباب (3/148-149) .
[2] الأنعام : 1 .
[3] الأنعام : 1.
[4] فصلت : 10 .
[5] الفرقان : 62 .
[6] الفرقان : 35 .
[7] الزمر : 8 .
[8] الزخرف : 19 .
[9] فصلت : 9 .
[10] الزخرف : 3 .
[11] الإسراء : 46.
[12] التوبة : 19 .
[13] النمل : 61 .
[14] يس : 8 .
[15] ابن عادل : اللباب (8/10) .
[16] البقرة : 167 .
[17] الأعراف : 16 .

الثاني : بمعنى "قد" ، كقوله تعالى : **(هل أتى على الإنسان)**[1] أي : قد أتى ، وقوله: **(وهل أتاك نبأ الخصم)**[2] ، و**(هل أتاك حديث الغاشية)**[3] أي : قد أتاك .

الثالث : بمعنى "ألا" ، قال تعالى : **(هل أدلكم)**[4] أي ألا أدلكم ، ومثله **(هل أنبئكم على من تنزل الشياطين)**[5] أي : ألا أنبئكم .

الرابع : بمعنى الاستفهام ، قال تعالى : **(هل من شركائكم من يفعل)**[6] "[7] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق)**[8] عقد فصلاً في معاني " أو" ، قال فيه : " في "أو" خمسة أقوال :

أظهرها : أنها للتفصيل ، بمعنى : أن الناظرين في حال هؤلاء منهم من يُشَبِّهُهُم بحال المستوقد ، ومنهم من يُشَبِّهُهُم بأصحاب صَيِّب هذه صفته .

والثاني : أنها للإبهام ، أي : أن الله أبهم على عباده تَشْبيهَهُم بهؤلاء أو بهؤلاء .

والثالث : أنها للشك ، بمعنى أن الناظر يشك في تَشْبُّهِهِمْ .

الرابع : أنها للإباحة .

الخامس : أنها للتخيير "[9] .

ويلاحظ في هذا الموضع أنه اكتفى بتطبيق معاني "أو" على هذه الآية فقط ، ولم يأت بشواهد من الآيات القرآنية .

ج ــ عند تفسيره للبسملة ذكر معاني حرف الباء ، فقال : " والباء هنا للإستعانة ، كـ " عملت بالقدوم " ، لأن المعنى : أقرأ مستعيناً بالله ، ولها معانٍ أُخر وهي :

الإلصاق : حقيقة أو مجازاً ، نحو " مسحت برأسي "

السببية : **(فبظلم من الذين هادوا)**[10] أي بسبب ظلمهم .

المصاحبة : نحو : " خرج زيد بثيابه " أي مصاحباً لها .

البدل : كقوله عليه الصلاة والسلام : " ما يسرني بها حمر النعم "[11] أي بدلها .

القسم : " أحلف بالله " .

---

(1) الإنسان : 1 .
(2) ص : 21 .
(3) الغاشية : 1 .
(4) طه : 40 .
(5) الشعراء : 22 .
(6) الروم : 40 .
(7) ابن عادل : اللباب (3/480-481) ، وانظر الدامغاني : الوجوه والنظائر (476-477) .
(8) البقرة : 19 .
(9) ابن عادل : اللباب (1/385) .
(10) النساء : 160 .
(11) أخرجه الطبراني في الكبير (1/293) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (8/175) وقال عنه : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه مرزوق بن المرزبان لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

الظرفية : نحو : " زيد بمكة " أي فيها .

التعدية : نحو (ذهب الله بنورهم)[1] .

التبعيض : كقول الشاعر في هذا البيت :

شَرِبنَ بِماءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ   مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ ، لَهُنَّ نَئِيجُ[2]

أي من مائه .

المقابلة : " اشتريت بألف " أي : قابلته بألف .

المجاوزة : نحو قوله تعالى : **(ويوم تشقق السماء بالغمام)**[3] .

الإستعلاء : كقوله تعالى : **(من إن تأمنه بقنطار)**[4] أي على قنطار .

بمعنى "إلى" : كقوله **(وقد أحسن بي)**[5] "[6] .

5 ــ أكثر ابن عادل في تفسيره من ذكر الشواهد الشعرية ، بلغ حد الإسراف ، حتى بلغت الشواهد الشعرية إلى ما ينوف عن خمسة آلاف بيت من الشعر ، وكان استشهاده بالشعر تدليلاً على قضايا اللغة والتفسير المختلفة ، منها على سبيل المثال :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً)**[7] تعرض لذكر معنى الأجل ودلل على ذلك المعنى بالشعر ، فقال : " والأجل " في الأصل هو الجناية ، يقال : أجا الأمر يأجل إجلاً وأجْــلاً وإجلاءً وأجلاءً ، بفتح الهمزة وكسرها إذا جناه وحده ، مثل أخذ يأخذ أخذاً ، ومنه قول زهير :

وأَهْلُ خِباءٍ صالحٍ ذاتُ بَيْنِهم   قدِ احتَرَبوا في عَاجِلٍ أنا آجِلُه[8]

أي جانيه "[9] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ذلك الكتاب لا ريب فيه)**[10] عرف الريب ، ثم ذكر معانيه ودلل عليها بالشعر ، فقال : " وقال بعضهم : في الريب ثلاثة معانٍ :

---

(9) البقرة : 17.

(2) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، أنظر الزمخشري : سر صناعة الإعراب (52 1) ،وابن هشام:مغني اللبيب (142).

(3) الفرقان : 25 .   (4) آل عمران : 75 .

(5) يوسف : 100 .

(6) ابن عادل : اللباب (119/11-122) بتصرف واختصار ، وانظر ابن هشام : مغني اللبيب (137-143) .

(7) المائدة : 32 .

(8) أنظر ابن إسحاق ، أبو يوسف بن يعقوب ، ت 244 هـ : إصلاح المنطق ، دار المعارف ، القاهرة ــ ط 4 1949م ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون (9) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن اسحاق : إصلاح المنطق .

(9) ابن عادل : اللباب (298/7) ، وانظر الزمخشري : الكشاف (608/1) ، والسمين : الدر المصون (248/4) .

(10) البقرة : 2 .

أحدها : الشك ، قال عبد الله بن الزبعرى[1]

لَيْسَ في الحَقِّ يا أُمَيْمَةَ رَيْبٌ إنَّما الرَّيْبُ مَا يَقولُ الكَذوبُ[2]

وثانيها : التهمة ، قال جميل بثينة[3] :

بُثَيْنَةُ قالت يا جميلُ أَرَبْتَني فقلتُ : كلانا يا بُثَيْنُ مُرِيبُ[4]

وثالثها : الحاجات ، قال :

قضينا من تِهامَةَ كلَّ ريبٍ وخيْبَرَ ثمَّ أجمعنا السيوفا[5][6]

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى: **(فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام)**[7] ذكر معنى الدار،فقال:"فالمراد بالدار:البلد،وتسمى البلاد بالديار،لأنه يدار فيها،أي:يتصرف،يقال:ديار بكر أي: بلادهم ،وقيل: المراد بالديار دار الدنيا، وقيل:هو جمع "دارة" كساحة وساحٍ وسُوحٍ ، قال :

له داعٍ بمكةَ مشْمَعِلٌّ وآخَرُ فوقَ دارتِهِ ينادي[8][9]

ولا تكاد تمر كلمة تعرض ابن عادل لبيان معناها إلا واستشهد على ذلك المعنى ببيت من الشعر أو أكثر .

أما الإستشهاد بالشعر على قضايا النحو والصرف فسيأتي في حينه .

6 ـ يقول ابن عادل بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً)**[10] تعرض لبيان "طالوت" هل هو عربي أم عجمي؟ فقال : " وطالوت" فيه قولان :

أظهرهما: أنه أعجمي ، فلذلك لم ينصرف للعلتين،أعني:العلمية والعجمة الشخصية "[11]وقد رد على الذين قالوا : إنه مشتق من الطول ، فقال : " هذا القول مردود، بأن لو كان مشتقاً من الطول ، لكان ينبغي أن ينصرف إذ ليس فيه إلا العلمية "[12] .

---

[1] هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس السهمي القرشي،شاعر قريش،كان شديداً على المسلمين،أسلم بعد فتح مكة واعتذر للنبي صلى الله عليه وسلم،الزركلي : الأعلام (87/4) . (2) أنظر أبو حيان:البحر المحيط(78/1)السمين : الدر المصون(86/6).

[3] هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري نسبة إلى بني عذر ، أحب بثينة من فتيات قومه، وأصبح مثلاً في الحب العفيف،وفد على عبد العزيز عبد العزيز بن مروان فأكرمه ، ت4 8هـ ابن خلكان:وفيات الأعيان (366/1-370).

[4] أنظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (112/1) ، السمين : الدر المصون (86/1) .

[5] البيت لكعب بن مالك ، الجمحي ، محمد بن سلام ، ت39 2هـ : **طبقات فحول الشعراء** ، دار المدني ـ جدة ـ تحقيق محمود شاكر (221/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الجمحي : طبقات فحول الشعراء .

[6] ابن عادل : اللباب (267/1-268) . (7) هود : 65 .

[8] البيت لأمية بن أبي الصلت ، النيسابوري ، أبو الفضل أحمد بن محمد ، ت٥١٨هـ : **مجمع الأمثال** ، دار المعرفة ـ بيروت ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (127/2) وسيشار إليه فيما بعد هكذا النيسابوري : مجمع الأمثال .

[9] ابن عادل : اللباب (515/10) . (10) البقرة : 247.

[11] ابن عادل : اللباب (268/4). (12) السابق نفسه

ب ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها)**[1] بيـــن أن السرادق غير عربية ، فقال : " والسرادق : فارسي معرب أصله : سُرادة ، وقال الراغـب : السرادق فارسي معرب ، وليس في كلامهم إسم مفرد ، ثالث حروفه ألف بعده حرفان "[2] .

ج ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وأمطرنا عليها حجارة من ســـجيل منضـــود)**[3] قـــال : "وسجيل" قيل هو في الأصل مركب من : "سنك وكل " وهو بالفارسية حجـــر وطيـــن فعُـــرِّب، وغيرت حروفه ، كما عربوا الديباج والديوان والإستبرق "[4] .

---

[1] الكهف : 29 .

(2) ابن عادل:اللباب(476/12)،الراغب:المفردات(230).

[3] هود : 82 .

(4) ابن عادل:اللباب(541/10)،الراغب:المفردات(224).

ثانياً : الإتجاه النحوي

اهتم ابن عادل بالاتجاه النحوي في تفسيره اهتماماً كبيراً،يظهر في كل صفحة من صفحات تفسيره ، وأولاه عناية خاصة ، تظهر من خلال تطرقه لقضاياه المختلفة ، وتفريعاته المتعددة .

كان ابن عادل على اطلاع،ودراية واسعين في النحو،ذا قدم راسخة فيه،يدل على ذلك نقلــه عن أئمةالنحوالمعتبرين كسيبويه والفراءوالزجاج وغيرهم،ورجوعه إليهم في كثيرمن المواضع .

ومع نقله عن هؤلاء الأعلام ورجوعه إليهم ، فقد كان يناقشهم في بعض الأمور إذا احتــاج الأمر لذلك ، فهو لم يكن مجرد ناقل فحسب .

ومما يلفت النظر أنه ينقل كثيراً من الأعاريب عن الزمخشري ، ويردفها بما قاله أبو حيان رداً على الزمخشري ، ثم يتبع ذلك الإرداف ما قاله ابن السمين الحلبي في رد شيخه أبي حيــان إما تأييداً له ، أو معارضاً له .

وقد كان اتجاهه ومنهجه في توجيه النحو لتفسير كتاب الله تبارك وتعالى على النحو التالي :

1 ـــ يتوسع في إعراب الكلمة ، فلا يكتفي بوجه إعرابي واحد ، بل يذكر أكثر من وجــــه في إعراب الكلمة ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ـــ عند تفسيره لقوله تعالى:**(ولقد جاءت رسلناإبراهيم بالبشرى قالوا سلامًا قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ)**[1] ذكر في إعراب "سلام" وجهين،فقال:"قوله:"سلام" في رفعه وجهان :

أحدهما : أنه مبتدأ ، وخبره محذوف ، أي : سلام عليكم .

والثاني : أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي أمري وقولي سلام "(2) .

ب ـــ عند تفسيره لقوله تعالى:**(وإذ قلنا للملائكة اسجدواﻵدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً)**[3]ذكر في إعراب"طيناً" وجوهاً، فقال:" قوله تعالى:"طيناً" فيه أكثر من وجه:

أحدها:أنه حال من "لمن" فالعامل فيها"أأسجد"،أومن عائد الموصول،أي خلقته طيناً،فالعامل فيها "خلقت"،وجاز وقوع "طيناً"حالاً،وإن كان جامداً لدلالته على الأصالة،كأنه قال :متأصلاً من طين.

الثاني : أنه منصوب على إسقاط الخافض ، أي : من طين ، كما صرح بــــه فـــي الآيـــة الأخرى **(وخلقته من طين)**[4] .

الثالث : أنه منتصب على التمييز ، قاله الزجاج(5) وتبعه ابن عطية(6) ، ولا يظهر ذلــك ، إذ لم يتقدم إبهام ذات ولا نسبة "[7] .

---

(1) هود : 69 .

(2) ابن عادل : اللباب (520-519/10) .

(3) الإسراء : 61 .

(4) الأعراف : 12 .

(5) انظر الزجاج : إعراب القرآن (249/3) .

(6) انظر ابن عطية : المحرر الوجيز (469/3) .

(7) ابن عادل:اللباب (٣٢٥/١٢) وفي الوجه الثالث لم يوافق ابن عادل الزجاج وابن عطية فيما ذهبا إليه من أن إعراب =

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : (**تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**)[1] ذكر في إعراب "تبصرة" وجوهاً كثيرة ، فقال : قوله : "تبصرة" العامة على نصبها على المفعول من أجله، أي تبصير أمثالهم وتذكير أمثالهم ، وقيل منصوبان بفعل من لفظهما مقدر ، أي :بصّرْهم تبصرة وذكِّرهم تذكرة ، وقيل : حالان ، أي مُبَصَّرين ومذكَّرين ، وقيل : حال من المفعول ، أي : ذات تبصير وتذكير لمن يراها "[2] .

2 ـ يتوسع أيضاً في إعراب الجملة ، فلا يكتفي بوجه إعرابي واحد ، بل يذكر أكثر من وجه للجملة ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : (**بينهما برزخ لا يبغيان**)[3] ذكر في إعراب "بينهما برزخ" يجوز أن تكون جملة مستأنفة ، وأن تكون حالاً ، وأن يكون الظرف وحده هو الحال ، و"البرزخ" فاعل به ، وهو أحسن لقربه من المفرد[4] .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : (**أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**)[5] ذكر في إعراب "أأنتم تخلقونه " وجهين ، فقال : " قوله : "أأنتم تخلقونه" وجهان :

أحدهما : أنه فاعل مقدر ، أي : "أتخلقونه" فلما حذف الفعل لدلالة ما بعده عليه انفصل الضمير ، وهذا من باب الاشتغال[6] .

والثاني : أن "أنتم" مبتدأ ، والجملة بعده خبر، والأول أرجح لأجل أداة الإستفهام "[7] .

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : (**يتجرعه ولا يكاد يسيغه**)[8] ذكر أوجه إعراب "يتجرعه" ، فقال : " قوله : "يتجرعه" يجوز أن تكون الجملة صفة ل "ماء" ، وأن تكون حالاً من الضمير في "يسقى" ، وأن تكون مستأنفة "[9] .

3 ـ يتعرض لإعراب الحروف التي لها أكثر من وجه ، ويذكر أثر ذلك الإعراب على ما بعدها ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى: (**أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**)[10] ذكر أوجه إعراب "أم" ، فقال : " وقوله : "أم" يجوز فيها وجهان :

= " طيناً " وذلك لأن التمييز إبهام نسبة أو لإبهام ذات ، ولم يتقدم " طيناً " إبهام نسبة أو ذات حتى تكون تمييزاً .

(1) ق : ١-٢ .   (2) ابن عادل : اللباب (17/18) .

(3) الرحمن : 20 .

(4) ابن عادل : اللباب (316/18) .   (5) الواقعة : 59 .

(6) الاشتغال:أن يتقدم اسم ويتأخرعنه فعل قدعمل في ضميرذلك الاسم أوفي سببه.ابن عقيل،بهاءالدين عبدالله00 6ت هـ: شرح ابن عقيل،دار الفكر ـ بيروت ـ تحقيق محمدمحيي الدين عبدالحميد(29/2 1)وسيشار إليه فيمابعدهكذا ابن عقيل

(7) ابن عادل : اللباب (416/18).   (8) إبراهيم : 17 .

(9) ابن عادل : اللباب (359/11) .   (10) الواقعة : 59 .

أحدهما : أنها منقطعة ، لأن ما بعدها جملة ، وإنما هي تعطف المفردات .

والثاني : أنها متصلة ، ويؤكد كونها متصلة أن الكلام يقتضي تأويله ، أي: الأمرين واقع، وإذا صلح كانت متصلة ، إذ الجملة بتأويل المفرد "[1] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به)**[2]تعرض لوجهي إعراب حرف الواو في قوله "والراسخون"،وذكر ما يترتب على كل وجه ، فقال:"وقوله:"وما يعلم تأويله إلا الله "اختُلف في هذا الموضع ، فقال قوم : الـــواو فـــي قولـــه: "والراسخون"عاطفة على الجلالة،فيكونون داخلين في علم التأويل،وعلى هذا يجوز في الجملة قولان:

أحدهما : أنها حال ، أي : يعلمون تأويله حال كونهم قائلين ذلك .

والثاني : أن خبر مبتدأ مضمر ، أي : هم يقولون "[3] .

ثم ذكر قول أكثر أهل العلم في هذه المسألة ، فقال : " وذهب الأكثرون إلى أن الواو فـــي قوله : " والراسخون" واو الإستئناف ، فيكون مبتدأ ، وتم الكلام عند قوله : "وما يعلم تأويلـــه إلا الله" والجملة من قوله : "يقولون" خبر المبتدأ "[5] .

٤ ــ يستعين كثيراً بالشواهد الشعرية ليدلل بها على صحة الوجه الإعرابي الذي يذكره ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)**[5] ذكر في إعراب "إنا نحن" وجهين ، استعان في الوجه الأول بشـــاهد من الشعر ليدلل على صحته ، فقال : "إنا نحن" يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون مبتدأ وخبراً ، كقوله :

أنا أبو النَّجمِ وشعري شعري[6] " [7] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذيـــن أوتـــوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين)**[8] ذكر ل "ردَّ" في قوله تعالى : "يردوكم" وجهين ، دلل على الأول بشاهد من الشعر فقال : "قوله : "يردوكم" ردَّ يجوز أن يتضمن معنى صيَّر فينصـــب

---

[1] ابن عادل : اللباب (416/18) .
(2) آل عمران : 7 .
[3] ابن عادل : (39/5) .
(4) ابن عادل : اللباب (40/5) .
[5] يس : 12 .
[6] هذا البيت لأبي النجم ، والإستشهاد به على أن " أنا أبو النجم" مبتدأ مؤخر كـ "إنا نحن" من الآية الكريمة . أنظر ابـــن جني ، أبو الفتح عثمان ، ت 393 هـ : الخصائص، بدون ذكر الطبعة ودار النشر، تحقيق محمد علي النجار (37/3 3) سيشار إليه فيما بعد هكذا ابن جني : الخصائص .
[7] ابن عادل : اللباب (177/16) .
[8] آل عمران : 100 .

مفعولين ، ومنه قول الشاعر :

رَمى الحَدَثان نِسْوَةَ آلَ سَعْدٍ　　بِمِقْدارٍ سَمَدْنَ لهُ سُمُـودا
فَرَدَّ شُعورَهُنَّ السُّودَ بيضاً　　وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البيض سُودا[1]

ويجوز أن لا يتضمن ، فيكون المنصوب الثاني حالاً "[2] .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم)**[3] ذكر أن اسم كان ضمير مستتر ، فقال : " قوله : "لكان خيراً" اسم "كان" ضمير يعود على المصدر المدلول عليه بفعله ، والتقدير : لكان الإيمان خيراً لهم ، كقولهم :"من كذب كان شراً له" ، كقوله تعالى : **(اعدلوا هو أقرب للتقوى)**[4] ، وقول الشاعر :

إذا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ　　وَخَالَفَ ، وَالسَّفِيهُ إِلى خِلافِ[5]

أي : جرى إليه السفه "[6] .

5 ــ يتعرض لوجوه الإعراب المبنية على اختلاف القراءات ، وهذه أمثلة على المتواترة منها والشاذة ، فمن اختلاف القراءات المتواترة ما يلي :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين)**[7] ذكر القراءات المتواترة في ذلك فقال : " وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير والكسائي "ولا نُكَذِّبُ" و"نكونُ" برفعهما، وبنصبهما حمزة وحفص عن عاصم ، وبرفع الأول ونصب الثاني ابن عامر ، وأبو بكر "[8] .

بعد ذكره للقراءات شرع في الإعراب ، فقال : " فأما قراءة الرفع ففيها ثلاثة أوجه :

أحدها أن الرفع فيهما على العطف على الفعل قبلهما وهو "نردُّ" ، ويكونون قد تمنوا ثلاثة أشياء : الرد إلى الدنيا ، وعدم تكذيبهم بآيات ربهم ، وكونهم من المؤمنين .

والثاني : أن "الواو" واو الحال ، والمضارع خبر مبتدأ مضمر ، والجملة الإسمية في محل نصب على الحال من مرفوع "نُرد" ، والتقدير : يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين ، فيكون تمني الرد مقيداً بهاتين الحالتين ، فيكون الفعلان أيضاً داخلان في التمني .

---

[1] البيتان لعبد الله بن الزبير،الحموي، أبو بكر علي بن عبد الله ، ت٨٣٧هـ: خزانة الأدب،دار ومكتبة الهلال بيروت ــ تحقيق عصام شعيتو(356/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الحموي:خزانة الأدب . [2] ابن عادل : اللباب (426/5) .

[3] آل عمران : 100 .　　[4] المائدة : 8 .

[4] البيت لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري ، انظر الحموي: خزانة الأدب (64/3 3)، وابن جني : الخصائص (249/3) .

(5) ابن عادل : اللباب (469/5) .　　(6) الأنعام : 27 .

[7] ابن عادل : اللباب (90/8)ابن الجزري: النشر (257/2)،البغدادي، أبو بكر أحمد بن موسى ،ت45 2هـ: السبعة في القراءات ، دار المعارف ــ القاهرة ــ ط 2 1400هـ تحقيق د.شوقي ضيف(255) وسيشار إليه فيما بعد هكذا البغدادي : السبعة في القراءات .

الثالث:أن قوله:"ولا نكذب" خبر لمبتدأ محذوف،والجملة استئنافية لا تعلق لها بما قبلها"[1] .

ثم ذكر وجه إعراب النصب الذي ذهب إليه حمزةوحفص،فقال:"وأما نصبهما فبإضمار "أن" بعد الواو التي بمعنى "مع" ،كقولك:"ليت لي مالاً وأنفقَ منه" فالفعل منصوب بإضمار "أن "[2] .

وأخيراً ذكر الإعراب المبني على قراءة ابن عامر ، فقال : " أما قراءة ابن عامر ـــ برفـع الأول ونصب الثاني ـــ فظاهرة بما تقدم ، لأن الأول يرتفع على حد ما تقدم من التـأويلات[3] ، وكذلك نصب الثاني يخرج على ما تقدم[4]"[5] .

ب ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فناداها من تحتها ألا تحزني)**[6] ذكر في "من" قراءتيـن ، فقال : " قوله تعالى : "فناداها من تحتها" : قرأ الأخوان[7] ، ونافع ، وحفص بكسر ميـم "مِـن" وجر "تحتها" على الجار والمجرور ، والباقون بفتحها ، ونصب "تحتَها"[8]، فـالقراءة الأولـى تقتضي أن يكون الفاعل في "نادى" مضمراً "[9] .

ثم ذكر القراءة الثانية ، فقال : " والقراءة الثانية : تكون "من" موصولة ، والظرف فيها صلتها ، والمراد بالموصول : إما جبريل وإما عيسى "[10] .

ج ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(قل إنما أنذركم بالوحي ولا يَسمَعُ الصُّـمُّ الدُّعـاءَ إذا مـا يُنذَرون)**[11]ذكرالقراءات في "يَسمَعُ"،فقال:"وقوله:"ولا يَسمَعُ "قرأابن عامرهنا"ولا تُسمِعُ"بضم التاء للخطاب وكسر الميم،"الصمَّ الدُّعاءَ" منصوبين ـــ وقرأ ابن كثير كذلك في النمل[12] والروم[13] ـــ وقرأ باقي السبعة بفتح ياء الغيبة والميم ، "الصم" بالرفع "الدعاء"بالنصب في جميع القرآن[14].

بعد ذكره للقراءات شرع في الإعراب،فقال:" فأما قراءة ابن عامر وابن كثير[15]فالفاعل فيها ضمير المخاطب وهو الرسول ـــ عليه السلام ـــ فانتصب"الصمَّ" و "الدُّعاءَ" على المفعوليـن[16] وأولهما الفاعل المعنوي،وأما قراءة الجماعة فالفعل مُسْنَـدٌ للصمِّ،فانتصب"الدعاءَ"مفعولاًبه "[17].

---

[1] ابن عادل : اللباب (8/90-91) بتصرف واختصار . [2] ابن عادل : اللباب (8/92) .

[3] أي أوجه الرفع الثلاثة .

[4] أي بالنصب على إضمار "أن" . [5] ابن عادل : اللباب (8/94) .

[6] مريم : 24 . [7] هما حمزة والكسائي .

[8] البغدادي : السبعة في القراءات (408-409) ، ابن الجزري : النشر : 318/2) ، الواسطي : الكنز (193) .

[9] ابن عادل : اللباب (12/42) . [10] السابق نفسه .

[11] الأنبياء : 45 . [12] وهو قوله تعالى:(إنك لاتُسْمِعُ الموتى ولاتُسْمِعُ الصم الدعاء)النمل : 80.

[13] وهو قوله تعالى : (فإنك لا تُسمِعُ الموتى ولا تُسمِعُ الصمَّ الدعاء) الروم:٥٢ .

[14] ابن عادل:اللباب(13/508) ، وانظر البغدادي : السبعة في القراءات (429)، ابن الجزري:النشر (2/323-324) .

[15] أي قراءة ابن كثير في النمل والروم وليس في هذه الآية. [16] لأن الفعل هنا رباعياً من "أسمع"فتعدى إلى مفعولين.

[17] ابن عادل : اللباب (13/508-509) ، والفعل هنا ثلاثياً من "سَمِعَ" فتعدى إلى مفعول به واحد .

ومن اختلاف القراءات الشاذة ما يلي :

أ ــ عند تفسره لقوله تعالى : (**قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عـالمُ الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير**)[1] ذكر في إعراب قوله : "عالمُ الغيب" ــ بالرفع وهي قراءة الجميع ــ أربعة وجوه ، ثم ذكر قراءة شاذة ، بين فيها أوجه الإعراب ، فقال : "وقرأ الحسن البصري والأعمش : "عالمِ" بالجر[2] وفيها ثلاثة أوجه :

أحسنها : أنه بدل من الهاء في "له" .

الثاني : أنه بدل من "رب العالمين" وفيه بعد لطول الفصل بين البدل والمبدل منه .

الثالث : أنه نعت للهاء في "له" ، وهذا يتمشى على رأي الكسائي حيث يجيز نعت المضمر بالغائب ، وهو ضعيف عند البصريين والكوفيين غير الكسائي "[3] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**دحوراً ولهم عذاب واصب**)[4] ذكر أن قراءة العامة على ضم الدال في "دحوراً" وبين أوجه إعرابها ، ثم ذكر قراءة شاذة ، فقال : وقرأ علي بن أبي طالب والسلمي[5] وابن أبي عبلة[6] "دَحوراً" بفتح الدال[7] وفيها وجهان :

أحدهما : أنه صفة لمصدر مقدر أي : قذفاً دَحوراً ، وهو كالصبور والشكور .

والثاني : أنه مصدر كالقَبول والوَلوع "[8] .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**صم بكم عمي فهم لا يرجعون**)[9] ذكر قراءة الرفع، وهي للجمهور،ثم ذكر قراءة شاذة، فقال:"وقرأ بعضهم:"صماً بكماً عمياً" بالنصب[10] وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه حال ، وفيه وجهان ، أحدهما : هو حال من الضمير المنصوب في "تركهم" ، والثاني : من المرفوع في "لا يبصرون" .

والثاني : النصب على الذم ، كقوله : (**حمالة الحطب**)[11] ، وقول الآخر :

سقَوني الخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفوني عُدَاةَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وزُورِ[12]

أي : أذم عداةَ الله .

---

[1] الأنعام : 73 .
(2) ابن خالويه : مختصر الشواذ (44) .
[3] ابن عادل : اللباب (228-227/8) .
(4) الصافات : 9 .
[5] هو يزيدبن هارون أبو خالد السلمي الواسطي،الحافظ القدوةشيخ الإسلام،ت 206 هـ،الذهبي:تذكرة الحفاظ(318/1).
[6] هو إبراهيم بن أبي عبلة ، روى عن أنس بن مالك وبلال بن أبي الدرداء وعقبة بن وسّاج وغيرهم ، وعنه مالك والليث وابن المبارك وغيرهم ، وثقه ابن المديني وغيره ، ت 153 هـ . ابن حجر : تهذيب التهذيب (76-75/1) .
(7) ابن خالويه : مختصر الشواذ (127) .
[8] ابن عادل : اللباب (282-281/16) .
(9) البقرة : 18 .
[10] وهي قراءة عبد الله بن مسعود ، أنظر ابن خالويه : مختصر الشواذ (10-11) . [11] المسد : 4 .
[12] البيت لعروة بن الورد ، أنظر الأصفهاني : الأغاني (38/3) ، سيبويه : الكتاب (70/2) .

الثالث : أن يكون منصوباً ب "ترك" ، أي : صماً بكماً عمياً "[1] .

6 ــ يتعرض لمشكل إعراب كثير من الآيات القرآنية،الذي وقف عنده النحاة واختلفوا فيه ، حيث تناوله بالتفصيل ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنـــون بمـــا أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة)**[2] ذكر القراءات الواردة فـــي "والمقيمين" ، ثم فصل إعرابها ، فقال:" فأما قراءة الياء فقد اضطربت فيها أقوال النحاة ، وفيـــها ستة أقوال :

أظهرها ــ وعزاه مكي[3] لسيبويه[4] ، وأبو البقاء[5] للبصريين : أنه منصوب على القطـــع ، يعني المفيد للمدح ، كما في قطع النعوت ، وهذا القطع مفيد لبيان فضل الصلاة .

الثاني :أن يكون معطوفاً على الضمير في "منهم" أي لكن الراسخون في العلم منهم ، ومن المقيمين الصلاة .

الثالث : أن يكون معطوفاً على الكاف في "إليك" أي يؤمنون بما أنزل إليك ، وإلى المقيمين الصلاة ، وهو الأنبياء .

الرابع : أن يكون معطوفاً على "ما" في "بما أنزل" أي يؤمنون بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وبالمقيمين ، ويُعزى هذا للكسائي .

الخامس : أن يكون معطوفاً على الكاف في "قبلك" أي ومن قبل المقيمين الصلاة ، ويعنـــي بهم الأنبياء .

السادس :أن يكون معطوفاً على نفس الظرف ،ويكون على حذف المضاف ،أي ومن قبـــل المقيمين،فحذف المضاف،وأقيم المضاف إليه مقامه،فهذا نهاية القول في تخريج هذه القراءة" [6].

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى مـــن آمن بالله واليوم الآخر)**[7] ذكر في إعراب "والصابئون" تسعة أوجه ، وقد توسع في كل وجـــه ، وخشية الإطالة أذكرها مختصرة :

أحدها : وهو قول جمهور أهل البصرة ــ أنه مرفوع بالابتداء وخبره محـــذوف ، لدلالـــة خبر الأول علية ، والنية به التأخير ، والتقدير : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمـــن منـــهم والصابئون كذلك[8] .

---

(1) ابن عادل : اللباب (383-382/1) .
(2) النساء : 162 .
(3) مكي:مشكل إعراب القرآن(212/1) .
(4) سيبويه : الكتاب (1-248-249) .
(5) أبو البقاء : التبيان (407/1) .
(6) ابن عادل:اللباب(7/122-123)بتصرف،العمري:تيجان البيان(263-264).
(7) المائدة : 69 .
(8) انظر أبو البقاء : التبيان (451/1) .

الوجه الثاني : أن "إن" بمعنى "نعم" فهي حرف جواب ، ولا محل لها حينئذ ، وعلى هذا فما بعدها مرفوع المحل على الابتداء ، وما بعد ه معطوف عليه بالرفع ، وخبر الجميع قوله : "من آمن" إلى آخره[1].

الوجه الثالث : أن يكون معطوفاً على الضمير المستكن في "هادوا" أي : هادوا هم والصابئون[2] ، وهذا قول الكسائي وردّه تلميذه الفراء[3] والزجاج[4] .

الوجه الرابع : أنه مرفوع نسقاً على محل "إن"[5]، لأنه قبل دخولها مرفوع بالابتداء ، فلما دخلت عليه لم تغير معناه بل أكدته .

الوجه الخامس : قال الواحدي : " وفي الآية قول رابع لهشام بن معاوية[6] : وهو أن تُضمر خبر "إن" ، وتبتدئ "الصابئون" ، والتقدير : "إن الذين آمنوا والذين هادوا يرحمون، على قول من يقول : إنهم مسلمون ، و"يُعذبون" على قول من يقول : إنهم كفار ، فيحذف الخبر إذا عرف موضعه ، كما حذف من قوله : **(إن الذين كفروا بالذكر)**[7]، أي كـ "يعاقبون" "[8].

الوجه السادس : أن "الصابئون" مرفوع بالابتداء ، وخبره محذوف إلا أنه لا ينوى بهذا المبتدأ التأخير[9] .

الوجه السابع : أن "الصابئون" منصوب ، وإنما جاء على لغة بني الحارث وغيرهم الذين يجعلون المثنى بالألف على كل حال ، نحو "رأيت الزيدانِ ، ومررت بالزيدانِ" ، نقل ذلك مكي ابن أبي طالب وأبو البقاء[10] .

الوجه الثامن : أن علامة النصب في "الصابئون" فتحة النون ، والنون حرف الإعراب ، كهي في "الزيتون" و"عربون"[11] .

الوجه التاسع : قال مكي : " وإنما رفع "الصابئون" لأن "إن" لم يظهر لها عمل في "الذين" فبقي المعطوف على رفعه الأصلي قبل دخول "إن" على الجملة "[12]،قلتُ ــ القائل ابن عادل ــ : وهذا هو بعينه مذهب الفراء[13]"[14] .

---

[1] انظر : أبو البقاء : التبيان (451/1) . (2) مكي مشكل إعراب القرآن(232/1)أبو البقاء:التبيان(451/1).

[3] انظر الفراء : إعراب القرآن (312/2) . (4) الزجاج : إعراب القرآن (213/2) .

[5] أنظر أبو البقاء : التبيان (451/1) ، مكي : مشكل إعراب القرآن (232/1) .

[6] هو هشام بن معاوية النحوي الكوفي ، له "حدود القياس" ، ت 09 3هـ . حاجي خليفة:كشف الظنون(635/1).

[7] فصلت : 41 . (8) الواحدي : الوسيط (201/2) .

[9] الواحدي : الوسيط (210/2). (10) أنظر أبو البقاء ، التبيان (٤٥١/١) .

[11]أبو البقاء:التبيان(452/1)مكي:مشكل إعراب القرآن(232/1). (12) أبو البقاء : التبيان (452/1).

(13) مكي:مشكل إعراب القرآن(232/1)،الفراء:إعراب القرآن(311/1).

[14] ابن عادل : اللباب (442/7-448) بتصرف واختصار .

7 ــ يورد مناقشات النحاة بعضهم لبعض ، خاصة منا قشة أبي حيان للزمخشري ، وذلك لشدة اهتمامه بالقضايا النحوية والإعرابية ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو)**[1] ذكر خلافاً بين الزمخشري وأبي حيان في "أيان مرساها" ، فقال : " وقال الزمخشري:مُرساها إرساؤهَا ، أو وقت إرسائها: أي : إثباتها وإقرارها[2] .

قال أبو حيان :"وتقديره : وقت إرسائها ليس بجيد ،لأن أين استفهام عن الزمان ، فلا يصح أن يكون خبراً عن الوقت إلا بمجاز،لأنه يكون التقدير:في أي وقتٍ وقتُ إرسائها،وهو حسن"[3].

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً)**[4] ذكر في إعراب "إلا من" أوجه ، منها الوجه الثاني الذي ذكر فيه خلافاً بين الزجاج والنحاس ، حيث قال فيه : "أنه في محل جر بَدَلاً من الضمير في "أموالكم" قاله الزجاج[5]، وغلطه النحاس : بأنه بدلُ ضميرٍ من ضمير المخاطب ،قال: "ولو جاز هذا لجاز : رأيتك زيداً "[6] ، وقول أبي إسحاق هذا هو قول الفراء[7]"[8] .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا)**[9] ذكر أن إعراب "أن تعتدوا" مفعول به ثاني ل" ولا يجرمنكم" أو مفعول على حذف حرف الجر ثم ذكر مناقشة أبي حيان للزمخشري،فقال:" قال الزمخشري : والمعنى:ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداءَ ولا يحملنكم عليه[10] ،قال أبو حيان: وهذا تفسير معنىً لا تفسير إعراب،لأنه يمتنع أن يكون مدلول"جرم"حمل وكسب في استعمال واحدلاختلاف مقتضاهما،فيمتنع أن يكون "أن تعتدوا" في محل مفعول به،ومحل مفعول على إسقاط حرف الجر[11]"[12].

وكعادة ابن عادل في ذكره لمناقشات أبي حيان للزمخشري أنه يردفها غالباً بقول شهاب الدين ــ السمين الحلبي ــ ، وهنا أردف هذه المناقشة بقول شهاب الدين الذي أيد قول الزمخشري ، فقال : "قال شهاب الدين : هذا الذي قاله ــ أي أبو حيان ــ لا يُتَصَوَّر أن يتوهمه من له أدنى بصرٍ بصناعة النحو حتى ينبه عليه[13]"[14] .

---

(1) الأعراف : 187 .
(2) الزمخشري : الكشاف (34/2 1) .
(3) أبو حيان:البحر المحيط (237/5)،ابن عادل:اللباب(410/9).
(4) سبأ : 37 .
(5) الزجاج : إعراب القرآن (255/4) .
(6) النحاس : إعراب القرآن (352/3) .
(7) الفراء : إعراب القرآن (363/2) .
(8) ابن عادل : اللباب (74/16) .
(9) المائدة : 2 .
(10) الزمخشري : الكشاف (592/1) .
(11) أبو حيان : البحر المحيط (168/4).
(12) ابن عادل : اللباب (186/7) .
(13) السمين : الدر المصون (194/4) .
(14) ابن عادل : اللباب (186/7) .

8 ــ لم يكن ابن عادل مجرد ناقل لأقوال النحاة ، بل كان يناقش أقوالهم إذا بان له الصحة والصواب في غير ما يقولون ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ألم تر أن الله أنزل من السماءماءً فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير)**[1] ذكر في إعراب "فتصبح" قولين ، ناقش في الأول منهما أبا البقاء ، فقال: : " قوله : "فتصبح" فيه قولان ، أحدهما : أنه مضارع لفظاً ماضٍ معنىً ، تقديره:فأصبحت ، قاله أبو البقاء، ثم قال بعد أن عطفه على"أنزل":فلا موضع له إذاً "(2) .

لكن ابن عادل لم يوافق أبا البقاء فيما ذهب إليه،فقال:وهو كلام ضعيف،لأن عطفه على "أنزل"يقتضي أن يكون له محل من الإعراب وهوالرفع خبراًل"أن"،لكنه لا يجوز لعدم الربط "[3].

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(قد أفلح المؤمنون)**(4)ذكر قول أبي البقاء في تعليل قراءة ورش وهي نقل حركة الهمزة في "أفلح" إلى الساكن قبلها في "قد" ثم حذفها[5]، فقال: " وقال أبو البقاء:من ألقى حركة الهمزة على الدال وحذفها فعلته أن الهمزة بعد حذف حركتها صيرت ألفاً ، ثم حذفت لسكونها وسكون الدال قبلها في الأصل ولا يعتد بحركة الدال لأنها عارضة "(6) .

لكن ابن عادل لم يرتض بقول أبي البقاء ، فقال : " وفي كلامه نظر من وجهين :

أحدهما : أن اللغة الفصيحة في النقل حذف الهمزة من الأصل فيقولون : المَرَة والكَمَة في المرأة والكمأة ، واللغة الضعيفة فيه إبقاؤها وتغييرها بحركة ما قبلها فيقولون : المَراة والكَماة بمدة بدل الهمزة كــ "راس وفاس" فيمن خففها، فقوله:صيرت ألفاً ارتكاب لأضعف اللغتين "[7].

الثاني : أنه وإن سُلِّم أنها صُيِّرت ألفاً فلا نُسَلِّم أن حذفها لسكونها وسكون الدال في الأصل بعد حذفها لساكن محقق في اللفظ وهو الفاء في "أفْلح" ومتى وُجد سبب ظاهر أحيل الحكم عليه دون السبب المقدر "(8) .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم)**[9] ذكر في إعراب " سبع سماوات " خمسة أوجه ، الثالث منها أنه مفعول به ، فقال : " الثالث : أنه مفعول به ، والأصل : فسوى منهن سبع سماوات ، وشبهوه بقوله تعالى: **(واختار قومه سبعين رجلاً لميقاتنا)**(8) أي من قومه

---

[1] الحج : 63 .

(2) ابن عادل:اللباب(136/14)،أبو البقاء:التبيان(947/2).

[3] ابن عادل : اللباب (136/1) .

(4) المؤمنون : 1 .

[5] انظر البغدادي : السبعة في القراءات (148).

(6) أبو البقاء : التبيان (950/2) .

[7] انظر سيبويه : الكتاب (545/3) .

(8) ابن عادل : اللباب (164/14) بتصرف .

[9] البقرة : 29 .

(10) الأعراف : 155 .

قومه قاله أبو البقاء"[1]وغيره[2] "[3] .

لكن ابن عادل لم يوافق أبا البقاء وغيره على ما ذهبوا إليه في هذا الوجه ، حيث ضعفه ، فقال : " وهذا ضعيف لوجهين :

أحدهما : بالنسبة إلى اللفظ .

والثاني : بالنسبة إلى المعنى .

أما الأول ــ أي القول بأنه مفعول به ــ : فلأنه ليس من الأفعال المتعدية لاثنين .

أحدهما ــ بالنسبة إلى اللفظ ــ : بإسقاط الخافض ، لأنها محصورة في "أمر" و"اختار" وأخواتهما .

الثاني ــ بالنسبة إلى المعنى ــ : أنه يقتضي أن يكون ثَّم سماوات كثيرة ، سوَّى من جملتها سبعاً وليس كذلك "[4] .

9 ــ كما اعتنى ابن عادل بالقضايا الإعرابية اعتنى أيضاً بقضايا الصرف ، حيث كان يتعرض لأصل الكلمة ، واشتقاقها وبيان المعاني المترتبة على ذلك ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**يتجرعه ولا يكاد يسيغه**)[5] ذكر وزن "تَجَرَّعَ" واحتمالات هذا الوزن ، فقال : " وتَجَرَّعَ : "تَفَعَّلَ" وفيه احتمالات :

أحدها : أنه مطاوع ل"جَرَّعتُه" نحو "علَّمتُه فتَعَلَّم" .

والثاني:أنه يكون للتكلف نحو "تَحَلَّم" أي يتكلف جرعه،ولم يذكر الزمخشري غيره[6] .

الثالث : أنه دال على المهلة ، نحو "تَفَهَّمتُه" أي : يتناوله شيئاً فشيئاً بالجرع كما يفهم شيئاً فشيئاً بالتفهيم .

الرابع : أنه بمعنى جَرَعَ المجرد ، نحو عَدَدْتُ الشيء وعَدَدتُه ، والمعنى : يتحسَّاه ويشربه لا مرة واحدة ، بل يجرعه لمرارته وحرارته "[7] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**)[8] ذكر أصل كلمة المتقين ووزنها الصرفي ، فقال : " المتقين جمع "متق" ، وأصله مُتَّقِيين بياءين ، الأولى لام الكلمة ، والثانية علامة الجمع ، فاستُثْقِلَت الكسرة على لام الكلمة وهي الياء الأولى فحذفت ، فالتقى ساكنان ، فحذفت إحداهما وهي الأولى ، و"مُتَّقٍ" من اتقى يتقي وهو مفتعل من الوقاية ،

---

(1) أبو البقاء : التبيان (45/1) .

(2) انظر مكي : مشكل إعراب القرآن (84/1-85) .

(3) ابن عادل : اللباب (489/1) .

(4) ابن عادل : اللباب (489/1-490) بتصرف .

(5) إبراهيم : 17 .

(6) الزمخشري : الكشاف (371/2) .

(7) ابن عادل : اللباب (359/11) بتصرف .

(8) ابن عادل : اللباب (272/1) بتصرف .

إلا أنه يطَّرِد في الواو والياء إذا كانتا فاءين ، ووقعت بعدهما "تاء" الافتعال أن يُبدلا "تاء" نحـــو "اتَّعَدَ" من الوعد ، و "اتَّسَرَ" من اليسر ، وفعل ذلك بالهمزة شاذ ، قالوا : "اتَّزَرَ" واتَّكَـــلَ" مـــن الإزار ، والأكل "[1].

ج ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(الحمد لله رب العالمين)**[2]ذكر معنى الـــرب ، ثـــم ذكـــر اختلاف العلماء في وزن "رب" ، فقال : " ثم اختلف هؤلاء في وزنه ، فمنهم من قال : هو على "فَعِل" كقولك : "نَمَّ ، يَنَمَّ ، فهو نَمٌّ" من النمام ، بمعنى غمَّاز ، وقيل : وزنه "فاعل" ، وأصلـــه : "رابٌّ" ثم حذفت الألف لكثرة الاستعمال ، لقولهم : رجل بارٌّ وبرٌّ "[3] .

---

[1] ابن عادل : اللباب (272/1) بتصرف .

[2] الفاتحة : 1 .

[3] ابن عادل : اللباب (179/1) .

الاتجاه البلاغي

نزل القرآن الكريم في عصر تباهى الناس فيه بالبلاغة ، لذا كان لزاماً أن يخاطب القــرآن العقل البشري بها ليقيم الحجة عليه بأنه من عند الله تبارك وتعالى ، ومن هنا كان القرآن الكريم هو الكتاب وهو المعجزة في نفس الوقت ، بعكس الكتب السابقة حيث لم تكن لها علاقة بالمعجزة فمعجزة موسى عليه السلام العصا وكتابه التوراة .

لقد بهر القرآن الكريم عقول البلغاء ، خاصة وأنه نزل في عصر تباهى الناس فيه بالبلاغة والفصاحة ، فوقف مشاهير البلغاء ، ومصاقيع الخطباء أمام تحديه حائرين ، لا يستطيعون الـرد ولو بعبارة واحدة ، مع أن كلماته معروفة لديهم ، يتكلمون بهما ، لكن الأمر يكمن في أن ســبك هذه الكلمات ونظمها كان على طريقة لم يعهدوها في كلامهم .

من هنا كان من المحتم على من يقبل على تفسير كتاب الله تبارك وتعالى أن يكون علــــى اطلاع وإلمام واسعين في علم البلاغة ، لأنه بدونها لن يستطيع الوصول إلى معرفة مراميـــه ، وفهم معانيه ، وإدراك سر مبانيه .

وقد ذكر الزركشي حاجة المفسر لهذا العلم،فقال:"وهذا العلم أعظم أركان المفسر،فإنه لابد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز،من الحقيقة والمجاز،وتأليف النظم،وأن يُؤاخي بين الموارد،ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر،وغير ذلك"[1]إلى أن يقول:"واعلم أن معرفةهذه الصناعة بأوضاعها هي عمدةالتفسير المُطلِع علىعجائب كلام الله وهي قاعدةالفصاحة وواسطة عقد الفصاحة ..."[2].

ويعتبر تفسير الكشاف للإمام الزمخشري السابق الأول في إحكام هـــذا العلــم ، بشــهادة الزركشي وابن خلدون وأبي حيان وغيرهم من أعلام التفسير[3] .

وابن عادل واحد من أولئك الذين ألموا بهذا العلم إلماماً كبيراً ، مما أهلَّه لأن يكــون مفسراً لكتاب الله ، حيث تطرق للقضايا البلاغية ، وتناولها بالبحث والإهتمام عند تفسيره للآيات القرآنية ، وقد تناول ابن عادل في تفسيره الأمور البلاغية التالية :

1 ــ علم البيان .
2 ــ علم المعاني .
3 ــ علم البديع .
4 ــ قضية النظم .
5 ــ قضية إعجاز القرآن الكريم .

---

[1] الزركشي : البرهان (420/1-421) .
[2] السابق نفسه: (421/1-422) .
[3] أنظر مقدمة تفسير أبي حيان (19/1) ، والزركشي : البرهان (421/1) ، وابن خلدون : المقدمة (553) .

1 ـ علم البيان

لعلم البيان أنواعٌ كثيرة ، تعرض ابن عادل في تفسيره منها لما يلي :

أولاً : المجاز[1] والقول بوقوعه في القرآن : نحا ابن عادل منحى الجمهور القائلين بوقـــوع المجاز في القرآن[2]، بل توسع فيه حتى أدخله في الأمور العقدية ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهـدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً)**[3] تعرض للزيادة المذكورة حيث قـال : " وإسناد الزيادة للنذير مجاز لأنه سبب في ذلك،كقوله تعالى: **(فزادتهم رجساً إلى رجسهم)**[4]" [5].

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحســن إلا الذيـن ظلموا منهم)**[6]ذكر نوع الاستثناء في قوله:"إلا الذين ظلموا منهم"،ثم بين معناه ، فقال:" قوله:"إلا الذين ظلموا منهم" استثناء متصل،وفيه معنيان:أحدهما:إلا الظلمة فلا تجادلوهم البتة، بل جادلوهم بالسيف حتى يُسلِموا أو يُعطُوا الجزية،ومجاز الآية:إلا الذين ظلموكم،لأن جميعهم ظالم بالكفر"[7].

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن زلزلة الساعة شيء عظيم)**[8]ذكر معنى الزلزلة ، ثـم بين أن هذه الزلزلة المنسوبة للساعة ليست على الحقيقة ، فقال : "ونسبة التزلزل أو الزلزال إلى الساعة على سبيل المجاز "[9] .

ثانياً : التشبيه[10]: تعرض ابن عادل في تفسيره للتشبيه وأنواعه المتعددة ، حيث ذكر فـي مواضع كثيرة هذا النوع من أنواع البيان ، وهذه أمثلة على ذلك :

---

[1] عرّف المجاز بتعريفات كثيرة منها : هو : ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة . الموصلي ، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد ، ت 637 هـ : المثل السائر ، المكتبة العصريـة ـ بـيروت ـ 1995م ، تحقيـق محمد محيي الدين عبد الحميد(74/1)وسيشار إليه فيما بعد هكذا الموصلي:المثل السائر.

[2] أنكر وقوع المجاز في القرآن الكريم داود الظاهري وابن خويزمنداد من المالكية وابن القاص من الشافعية السـيوطي : الإتقان (47/2) ، وأشهر من أنكره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ومن المعـاصرين الشـيخ محمـد الأميـن الشنقيطي صاحب أضواء البيان ، وله رسالة في ذلك سماها " منع جواز المجاز في المنزل للتعبـد والإعجـاز " أنظـر الشنقيطي ، محمد الأمين بن المختار : مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة، المكتبة السلفية ـ المدينـة المنورة ـ (58) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الشنقيطي : مذكرة أصول الفقه .

[3] فاطر : 42 .

[4] التوبة : 125 .

[5] ابن عادل : اللباب (155/16) .

[6] العنكبوت : 46 .

[7] ابن عادل : اللباب (361/15) .

[8] الحج : 1 .

[9] ابن عادل : اللباب (١٤/٣) وانظر الزمخشري : الكشاف (3/ 3) وأبو حيان : البحر المحيط (480/7) .

[10] عرف التشبيه بأنه : الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى ، أنظر القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ، ت 739 هـ : التلخيص في علوم البلاغة ، مع شرح البرقوقي ، دار الكتاب العربي ـ بـيروت ـ بـدون ذكـر الطبعة (238) .وسيشار إليه فيما بعد هكذا القزويني : التلخيص .

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)**[1] بيـــن اشتقاق "العرجون" ووزنه ، ثم قال : " وهو تشبيه بديع شبه به القمر في ثلاثـــة أشـياء دقَّتِـه واستقواسه واصفراره، لأن العِذق[2]الذي عليه الشماريخ[3]إذا قَدِمَ وعَتِقَ دَقَّ وتَقَوَّسَ واصفَرَّ "[4].

وهذا التشبيه من حيث أركانه يسمى : تشبيه مجمل فقد ذكر فيه المشـــبه وهـــو القمـــر ، والمشبه به وهو العرجون ، وأداة التشبيه وهي الكاف ، وحذف وجه الشبه ، أما من حيث طرفاه فهو تشبيه محسوس بمحسوس ، لأن القمر والعرجون محسوسان .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وعندهم قاصرات الطرف عينٌ ، كأنهن بيْضٌ مكنـــون)**[5] ذكر المراد بالبيض ، المكنون، ثم ذكر التشبيه الوارد في هذه الآية فقال : " والعرب تشبه المرأة بها في لونها، وهو بياض مشوب ببعض صُفرة والعرب تحبه، قال امرؤ القيس[6]:

وبيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤها   تمتعتُ من لهوٍ بها غيْرَ مُعَجَّلِ

كَبِكْرِ مُقاناةِ البياضِ بِصُفْــرَةٍ   غَذاها نميرُ الماءِ غيرُ المُحلَّــلِ[7]

وقال بعضهم : إنما شبهت المرأة بها في أجزائها ، فإن البيضة من أي جهة أتيتها كانت في رأي العين مشبهة بالأخرى "[8].

وهذا التشبيه من حيث أركانه يسمى تشبيه مفصل فقد ذكر المشبه وهـــو الحـــور العيـــن ــ"قاصرات الطرف"ــ،والمشبه به وهو بيض النعام،وأداة التشبيه وهي الكاف،ووجه الشبه وهـو الصيانة والستر،وأما من حيث طرفاه فهو تشبيه محسوس بمحسوس،لأن البيض والحور حسيان.

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)**[9]ذكر تعريف الفـــراش ، ثم قال : " في تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى : منها الطيش الذي يلحقهم ، وانتشارهم فـــي الأرض ، وركوب بعضهم بعضاً ، والكثرة ، والضعف والذلة ، والمجيء من غـــير ذهـــاب ، والقصد إلى الداعي من كل جهة ، والتطاير إلى النار "[10].

---

[1] يس : 39 .

[2] العِذق : كل غصن له شعب ، وقنو النخلة وعنقود العنب إذا أكل ما عليه . الزيات: المعجم الوسيط (90/2 5).

[3] الشماريخ : جمع شمراخ وهو العثكال عليه بسر، والعنقود عليه عنب. الزيات : المعجم الوسيط (93/1 4).

[4] ابن عادل : اللباب (220/16) وانظر الزمخشري : الكشاف (323/3) . [5] الصافات : 48-49 .

[6] هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مربـــع ابن معاوية بن كندة،عُدَّ من طبقة الشعراء الأولى،لقب بالملك الضلّيل ، الجمحي : طبقات فحول الشعراء (1/1 5) .

[7] الحموي : خزانة الأدب : (264/2)الأصفهاني : الأغاني (86/9) التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي ، ت502 هــ : شرح القصائد العشر، دار التعاون ــ مكة المكرمة(4 2،35)وسيشار إليه فيما بعد هكذا التبريزي: شرح القصائد العشر.

(8) ابن عادل : اللباب (304/16) .

(9) القارعة : ٤ .   (10) ابن عادل : اللباب (470/20) .

وهذا التشبيه من حيث أركانه تشبيه مفصل ، فقد ذكر المشبه وهو الناس ، والمشبه به وهو الفراش ، وأداة التشبيه وهي الكاف ، ووجه الشبه وهو البث والتطاير ، أما من حيث طرفاه فهو تشبيه محسوس بمحسوس ، لأن الناس والفراش محسوسان .

ثالثاً : الاستعارة[1] : اهتم ابن عادل بهذا النوع من أنواع البيان اهتماماً كبيراً ، حيث أشار إليه في مواضع كثيرة ومتعددة في تفسيره ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(واشتعل الرأس شيباً)**(2) نقل قول الزمخشري في بيان اشتعال الشيب ، فقال : " قال الزمخشري : شبه شيب الرأس بشواظ النار في بياضه ، وانتشاره في الشعر وفشوه فيه ، وأخذه من كل مأخذ باشتعال النار ، ثم أخرجه مخرج الاستعارة ، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس ، وأخرج الشيب مميزاً ، ولم يُضِف الرأس اكتفاءً بعلم المخاطب:أنه زكريا ، فمن ثمَّ فصُحت هذه الجملة ، وشُهِد لها بالبلاغة "[3]انتهى(4) ، ثم بين نوع الاستعارة من حيث طرفاها ، فقال : "وهذا من استعارة محسوس لمحسوس ، ووجه الجمع : الانبساط والانتشار "[5] .

أما نوعها من ناحية أركانها فهي استعارة مكنية ، لأنه حذف المشبه به وهو النار وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الاشتعال .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)**(6)ذكر المقصود من التعبير بالجناح ، فقال : " والمقصود المبالغة في التواضع ، وهذه استعارة "[7]، شرح هذه الاستعارة ، فقال:"عبرعن اللين بالذل ، ثم استعارلها جناحاً ، ثم شرح هذه الاستعارة بأن أمره بخفض الجناح"(8).

ونوع هذه الاستعارة من حيث طرفاها فهي استعارة معقول وهو التواضع بمحسوس وهو الجناح ، أما نوعها من حيث أركانها فهي استعارة مكنية لأنه حذف المشبه به وهو الطير وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الجناح .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تــر أنــهم فــي كــل واد يهيمون)**[9] ذكر إعراب "يهيمون" وفصل القول في ذلك ، ثم ذكر الناحية البلاغية ، فقال:" وهذا

---

(١)ت الاستعارة بأنها : " ادعاء الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه.الجرجاني : التعريفات (٣٥/١).

(2) مريم : 4 .

[3] الزمخشري : الكشاف (502/2) .

(4) ابن عادل : اللباب (7/13) .

[5] السابق نفسه (7/13).

(6) الإسراء : 24 .

[7] ابن عادل : اللباب (259/12) .

(8) السابق نفسه (259/12) .

[9] الشعراء : 224-225.

من باب الاستعارة البليغة والتمثيل الرائع ، شبه جَوَلانهم في أفانين القول وطرائق المدح والذم والتشبيب وأنواع الشعر بِهَيْم البهائم في كل وجه وطريق "[1] .

ونوع هذه الاستعارة من حيث طرفاها استعارة محسوس وهو الشاعر بمحسوس وهو الهائم أما نوعها من حيث أركانها فهي استعارة تصريحية ، لأنه حذف المشبه به وهو الهائم .

رابعاً : الكناية[2] : ذكر الإمام الجرجاني[3] أن " الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح "[4] ، ومن هذا المنطلق فقد تعرض ابن عادل للكناية في تفسيره في كثير من المواضع ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)**[5] ذكر أصل كلمة الرفث واستعمالها في التصريح ، ثم ذكر أن استعمالها في هذه الآية هو من باب الكناية ، فقال : " فثبت أن الأصل في الرفث هو قول الفحش ، ثم جُعِل ذلك اسماً لما يُتكلم به عند النساء ، ثم جُعِل كناية عن الجماع وعن توابعه "[6] .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها)**[7] بين معنى الإحاطة والتقليب ، ثم ذكر أن ذلك من قبيل الكناية ، فقال : " وهذا كناية عن الندم ، لأن النادم يفعل ذلك "[8] .

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء)**[9] ذكر معنى الغائط أصلاً وكناية ، فقال : " هو المكان المطمئن من الأرض ، وجمعه الغيطان ، ثم عَبَّرَ عن الحدث كناية للاستحياء من ذكره ، وفرقت العرب بين الفعلين منه ، فقالت : غاط في الأرض ، أي : ذهب وأبعد إلى مكان لا يراه فيه إلا من وقف عليه ، وتغوَّط إذا أحدث "[10] .

---

(1) ابن عادل : اللباب (99/15) .

(2) عُرِّفت الكناية بأنها : " اللفظ الدال على الشيء على غير الوضع الحقيقي ، بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه " . الموصلي : المثل السائر (181/2) .

(3) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الشيخ أبو بكر الجرجاني ، إمام البلاغة بلا منازع ، له مصنفات كثيرة منها : أسرار البلاغة ، دلائل الإعجاز ، المفتاح وغيرها ، ت 471 هـ . الداودي : طبقات المفسرين (330/1) .

(4) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط1 1995م ، تحقيق د. محمد التنجي (69) وسيشار إليه فيما بعد هكذا عبد القاهر : دلائل الإعجاز .

(5) البقرة : 187 .

(6) ابن عادل : اللباب (304/3) .

(7) الكهف : 42.

(8) ابن عادل : اللباب (495/12) .

(9) النساء : 43 .

(10) ابن عادل : اللباب (399/6) .

2 ــ علم المعاني

حوى تفسير ابن عادل كثيراً من النكات البلاغية ، منها ما يتصل بعلم المعاني ،وعلم المعاني أنواعه كثيرة ، تناول ابن عادل بعضها ، منها ما يلي :

أولاً:التقديم والتأخير[1]:تعرض ابن عادل للتقديم والتأخيرفي تفسيره في مواضع كثيرةمنها:

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات)**[2] ذكر إعـراب "إبراهيـم" وما يتعلق به ، فقال : " و"إبراهيم مفعول مقدم ، وهو واجب التقديم عند جمهور النحاة ، لأنـه متى اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول وجب تقديمه ، لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبه ، هذا هو المشهور "[3] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الملـك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت)**[4] طرح سؤالاً قال فيه : " لم قُدِم هنـا ذكر الحياة على الموت في قوله "ربي الذي يحيي ويميت" وقَدم الموت على الحياة فـي آيـات كقوله : **(وكنتم أمواتاً فأحياكم)**[5]"[6] .

ثم أجاب عن هذا السؤال ، فقال : " إن الدليل إذا كان المقصود منه الدعوة إلى الله تعـالى يجب أن يكون في غاية الوضوح ، ولا شك أن عجائب الخلقة حال الحيـاة أكـثر ، واطـلاع الإنسان عليها أتم ، فلا جرم قدم ذكر الحياة هنا "[7] .

ثانياً : الحصر[8]: تعرض ابن عادل في تفسيره للحصر في مواضع متعددة ، منها :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به)**[9]ذكر الفوائد التي حواها كلام الله في هذه الآية ، منها : " أولها كلمة "إنما" للحصر ، ومعناه : أني ما أمـرت إلا بعبادة الله تعالى ، وذلك يدل على أنه لا تكليف ولا أمر ولا نهي إلا بذلك "[10] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قـالوا إنمـا نحـن مصلحون)**[11]ذكر إعراب "إنما" فقال : "إن" حرف مكفوف ب"ما" الزائدة عن العمـل ، ولذلـك تليها الجملة مطلقاً ، وهي تفيد الحصر عند بعضهم "[12] .

---

[1] ذكره القزويني في باب أحوال المسند حيث قال: "وأما تقديمه فلتخصيصه بالمسند إليه" القزويني : التلخيص (24 1).

[2] البقرة : 124 .

[3] ابن عادل : اللباب (442/2) .

[4] البقرة : 258 .

[5] البقرة : 28 .

[6] ابن عادل : اللباب (340/3) .

[7] السابق نفسه (340/3) .

[8] الحصر : هو تخصيص شيء بشيء وحصره فيه . الجرجاني : التعريفات (25 2) .

[9] الرعد : 36 .

[10] ابن عادل : اللباب (316/11) .

[11] البقرة : 11 .

[12] ابن عادل : اللباب (350-349/1) .

ثالثاً : الحذف[1]: تعرض ابن عادل في تفسيره أيضاً للحذف ، وهذه أمثلة على ذلك:

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر)**[2] عرف الخبر ثم ذكر الحذف ، فقال:" والخبر ما يُخبر به عن حال الطريق ، لأنه كان قد ضله ، ثم في الكلام حذف ، وهو أنه لما أبصر النار توجه إليها ، وقال : سآتيكم منها بخبر يُعرف به الطريق "[3] .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم)**[4]ذكر سبب حذف "الواو" في هذه الآية ، فقال:" فإن قيل لِم لم يُؤت هنا بواو العطف كما أُتي بها في سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؟[5]، فالجواب : أنه أريد هنا التفسير كما تقدم ، وفي سورة إبراهيم معناه يعذبونكم بالذبح وبغير الذبح "[6] .

رابعاً : التعريف والتنكير[7]:تعرض ابن عادل في تفسيره للتعريف والتنكير في مواضع متعددة ، منها :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة)**[8] ذكر سبب تنكير "حياة" ، فقال : " والتنكير في "حياة" تنبيه على أنه أراد حياة مخصوصة ، وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي[9] "على الحياة" ، وقيل : إن ذلك على حذف مضاف تقديره "على طول حياة" ، والظاهر أنه لا يحتاج إلى تقدير صفة ولا مضاف،بل يكون المعنى : أنهم أحرص الناس على مطلق الحياة "[10] .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون)**[11] ذكر معنى التنكير في هذه الآية ، فقال : " التنكير في "نفس" و "شيئاً" معناه : أن نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس مثلها شيئاً من الأشياء وكذلك في "شفاعة" و "عدل" "[12].

---

[1] الحذف : "هو حذف بعض لفظه لدلالة الباقي عليه " الحموي : خزانة الأدب (75/2 2) .
[2] النمل : 7 .
[3] ابن عادل : اللباب (111/15) .
[4] البقرة : 49 .
[5] قوله تعالى : (إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) إبراهيم: 6 .
[6] ابن عادل:اللباب(58/2) وانظر الأنصاري،أبو يحيى زكريا،ت910 هـ:فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن عالم الكتب ـ بيروت ـ ط1 1985 م تحقيق محمد علي الصابوني(27) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الأنصاري:فتح الرحمن.
[7] المعرفة : "ما وضع ليدل على شيء بعينه وهي المضمرات والأعلام .. " الجرجاني : التعريفات (83 2)، والنكرة : "ما وضع لشيء لا بعينه كرجل وفرس " الجرجاني : التعريفات (16 3) .
[8] البقرة : ٩٦ .
[9] انظر أبو حيان:البحر المحيط(502/1) السمين:الدر المصون (11/2).
[10] ابن عادل : اللباب (301/2) .
[11] البقرة : 48 .
[12] ابن عادل : اللباب(47/2) .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل)**[1] بيــن معنى القاعدة ، ثم ذكر السر في تعريف "القواعد" بأل التعريف ، فقال : "ولم يقل :"قواعد البيت" بالإضافة ، لما في البيان بعد الإبهام من تفخيم شأن المبين "[2] .

خامساً : التوكيد[3] : ليس المقصود بالتوكيد هنا التوكيد النحوي ، بل المقصود هو تحقيــق المعنى في النفس ، وقد تعرض ابن عادل للتوكيد في تفسيره في عدة مواضع ، منها :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم يوم القيامــــة تبعثــون)**[4] طرح سؤالاً عن التوكيد في هاتين الآيتين ، فقال : " فلِمَ أكد المُجْمَع عليه أبلـــغَ تــأكيدٍ وتــرك المختلف فيه من تلك المبالغة في التأكيد ؟[5]"[6] .

ثم أجاب عن هذا السؤال فقال : " إن البعث لما تظاهرت أدلته وتظافرت ، أُبْرِزَ في صورة المُجْمَعِ عليه المُستغني عن ذلك ، وأنهم لما لم يعملوا للموت ، ولم يهتموا بأموره ، نُزِّلُوا منزلة من يُنكِره ، فأُبرِزَ في صورة المُنكَر الذي استبعدوه كل استبعاد "[7] .

---

[1] البقرة : ١٢٧ .　　　　　　[2] ابن عادل : اللباب (478/2) .

[3] التوكيد هو : "حصول الفعل من فاعله بتوسط فعل آخر" . أنظر المناوي ، محمد عبد الــرءوف ، ت 031 اهـــ: **التوقيف على مهمات التعاريف** ، دار الفكر المعاصر و دار الفكر ــ دمشق ــ و ــ بيروت ــ ط 1 1410هــ ، تحقيق محمد رضوان الداية (217) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا المناوي : التعاريف .

[4] المؤمنون : 16 .

[5] المجمع عليه هو الموت الذي لا ينكره أحد في قوله تعالى : **(إنك ميت وإنهم لميتون)** حيث أكده بمؤكدين اثنيــن همــا "إنَّ" و"اللام" ، والمختلف فيه هو البعث الذي ينكره كثير من الناس في قوله تعالى :**(ثم إنكم يوم القيامة تبعثون)** حيث أكده بمؤكد واحد وهو "إنَّ" فقط .　　　　　　[6] ابن عادل : اللباب (184/14) .

[7] السابق نفسه (184/14).

3 ـ علم البديع

يمتاز علم البديع عن علمي البيان والمعاني بكثرة أنواعه ، أشار ابن عادل في تفسيره إلى بعضها ، منها :

أولاً : الجناس[1] : تعرض ابن عادل في تفسيره لهذا النوع في مواضع متعددة منها :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)**[2] شرع ببيان الناحية البلاغية ، فقال : " قوله :"وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعاً" يسمى في البديع تجنيس التصحيف وتجنيس الخط وهذا من أحسنه "[3] .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون)**[4] تطرق لبيان نوع البديع في هذه الآية وتعريفه ، فقال : " تفرحون وتمرحون من باب التجنيس المحرف ، وهو أن يقع الفرق بين اللفظين بحرف "[5].

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وهم ينهون عنه وينأون عنه)**[6] ذكر نوع البديع في هذه الآية وتعريفه ، فقال : " وفي قوله : "ينهون" و "ينأون" تجنيس التصريف وهو : عبارة عن انفراد كل كلمة عن الأخرى بحرف ، فـ "ينهون " انفردت بالهاء ، و"ينأون" انفردت بالهمزة ، ومثله قوله تعالى : **(وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً)**[7] و **(بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون)**[8] وقوله عليه الصلاة والسلام:"الخيل معقود في نواصيها الخير"[9] ويسميه بعضهم "تجنيس التحريف" وهو : الفرق بين كلمتين بحرف "[10] .

ثانياً : الإلتفات[11]: تعرض ابن عادل لهذا النوع في تفسيره كثيراً ، وهذه أمثلة على ذلك:

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(بل جاء بالحق وصدق المرسلين إنكم لذائقوا العذاب الأليم)**[12] ذكر أن في الآية التفاتاً ، فقال : " ثم التفت من الغيبة إلى الحضور ، فقال : " إنكم

---

[1] " الجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ واختلافهما في المعنى " القزويني : الإيضاح (54/1 3) .

[2] الكهف : ١٠٤ .   (3) ابن عادل : اللباب (572/12) .

[4] غافر : 75 .

[5] ابن عادل : اللباب (87/17) القزويني ، جلال الدين محمد ، ت739هـ:الإيضاح في علوم البلاغة،دار إحياء العلوم بيروت ـ ط 4 1998م (45 3) وسيشار إليه فيما بعد هكذا القزويني:الإيضاح . [6] الأنعام : 26 .

[7] الكهف : 104 .   (8) غافر : 75.

[9] أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، حديث رقم (693 2) (1047/3)، مسلم في كتاب الإمارة ، باب الخيل في نواصيها الخير ، حديث رقم (782 1) (1493/3).

[10] ابن عادل : اللباب (84/8) ، وانظر القزويني : الإيضاح (345) .

[11] الالتفات : "هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو عكس ذلك "الجرجاني : التعريفات (33 3) .

[12] الصافات : 37-38 .

لذائقوا العذاب"[1] ، والغيبة هي قوله : " صدق المرسلين " .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى: **(أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجةما كان لكم أن تنبتواشجرها)**[2]ذكر الالتفات في هذه الآية وبين فائدته فقال : " قوله : "فأنبتنا" هذا التفات من الغيبة إلى المتكلم لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته ، والإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الألوان والطعوم ـ مع سقيها بماءواحد ـ لا يقدرعليه إلا هو وحده ، ولذلك رشحه بقوله:"ماكان لكم أن تنبتوا شجرها ، فإن الإنسان ربما يقول : أنا الذي ألقي البذرفي الأرض وأسقيها بالماء وأسعى في تشميسها ، وفاعل السبب فاعل المسبب ، فإذن أنا المنبت للشجرة ، فلما كان هذا الاحتمال قائماً لا جرم أزال الله هذا الاحتمال فرجع من الغيبة إلى المتكلم"[3].

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم)**[4]ذكر الالتفات في هذه الآية ، فقال :" قوله : "فإن تولوا" يجوز أن يكون ماضياً ، ويكون الواو ضمير الغائبين ، ويكون في الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة ، وحسّن الالتفات هنا كونه لم يواجههم بالتولي والإعراض ، وأن يكون مضارعاً حذفت إحدى تاءيه ، والأصل "تتولوا "[5] .

ثالثاً : التورية[6] : تعرض ابن عادل في تفسيره لهذا النوع من أنواع البديع في مواضع متعددة ، لم يذكره باسم "التورية" ، وإنما ذكره باسم "المعاريض" ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى: **(ولما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتهاالعير إنكم لسارقون)**[7]طرح أسئلة قال فيها:"هل كان النداءبأمريوسف عليه السلام ، أو ماكان بأمره ؟ فإن كان بأمره فكيف يليق بالرسول الحق من عندالله أن يتهمهم وينسبهم إلى السرقة كذبًا وبهتاناً ؟ وإن لم يكن بأمره فهلاّ أظهر براءتهم عن تلك التهمة ؟"[8] ثم أجاب عليها من وجوه منها الوجه الثاني حيث قال فيه : "أراد إنكم لسارقون يوسف من أبيه ، والمعاريض لا تكون إلا كذلك"[9].

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)**[10]

---

[1] ابن عادل : اللباب (297/16) .
[2] النمل: 60 .
[3] ابن عادل : اللباب (186/15) .
[4] النور : 45 .
[5] ابن عادل : اللباب (436/14) .
[6] التورية : "هي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ، ويراد البعيد منهما" . القزويني : الإيضاح (31 3) .
[7] يوسف : 70 .
[8] ابن عادل : اللباب (161/11) .
[9] السابق نفسه(161/11) .
[10] الأنبياء : 63 .

ذكر في نفي الكذب عن إبراهيم عليه السلام قولين :

الأول : رد الخبر الذي ينسب الكذب إلى إبراهيم عليه السلام ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : " لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ، ثنتين منهما في ذات الله ، قوله : إني سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله لسارة : هذه أختي "[1]، حيث قال:" فلأن يضاف الكذب إلى رواته أولى من أن يضاف إلى الأنبياء "[2].

الثاني : الجمع بين الخبر والآية ، فقال : " ثم لو صح ذلك الخبر فهو محمول على المعاريض على ما قال عليه السلام : " إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب "[3] "[4] .

رابعاً : المقابلة[5] :تعرض ابن عادل لهذا النوع في تفسيره في مواطن متفرقة،وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)**[6] ذكر في اللام في قوله : "فلها" أوجه ، " الأول : أنها بمعنى "على" أي فعليها ، والثاني : أنها بمعنى إلى والثالث:أنها على بابها، وإنما أتى بها دون "على" للمقابلة في قوله: "لأنفسكم" فأتى ازدواجاً "[7] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون)**[8] عقد فصلاً في أنواع المقابلة ، فقال : " قوله: "والبصير" إعلم أن التقابل يجيء على ثلاثة طرق :

أحدها : أن يجاور المناسب كهذه الآية .

الثانية : أن يتأخر المتقابلان ، كقوله تعالى : **(مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع)**[9] .

والثالثة : أن يقدم مقابل الأول ويؤخر مقابل الثاني ، كقوله تعالى : **(وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور)**[10] ، وكل ذلك تفنن في البلاغة "[11].

خامساً : الطباق[12]: تعرض ابن عادل لهذا النوع كذلك في تفسيره ، حيث ذكره في مواضع متفرقة ، منها ما يلي :

---

[1] سبق تخريجه صفحة (36) . [2] ابن عادل : اللباب (534/13) .

[3] ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (130/8) وعزاه إلى الطبراني ، وقال : رواه الطبراني رجاله رجال الصحيح .

[4] ابن عادل : اللباب (534/13) .

[5] هي : "التنظير بين شيئين فأكثر وبين ما يخالف وما يوافق " الحموي : خزانة الأدب (129/1) .

[6] الإسراء : 7 . [7] ابن عادل : اللباب (214/12) .

[8] غافر : 58 . [9] هود : 24 .

[10] فاطر : 19-20. [11] ابن عادل : اللباب (74/17) .

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب)**(1) عقد فصلاً في حيازة هذه الآية على أعلى درجات البلاغة ، بين فيها الوجوه البلاغية ، منها: " أن في الآية نوعاً من البديع يسمى الطباق ، وهو مقابلة الشيء بضده ، فهو يشبه قوله تعالى : **(أضحك وأبكى)**(2)"(3) .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير)**(4) شرع في الإعراب ثم تطرق إلى الناحية البلاغية ، فقال : " قوله : "مثل الفريقين كالأعمى" يجوز أن يكون من باب تشبيه شيئين بشيئين ، فقابل العمى بالبصر ، والصمم بالسمع ، وهو من الطباق "(5) .

هذا ونقتصر على هذه الأنواع من أنواع البديع التي تعرض لها ابن عادل ونكرها ، خشيه الإطالة ، وإلا فهناك أنواعٌ أخرى تعرض لها وذكرها ، يدل ذلك كله على إحاطته بعلوم البلاغة الثلاثة ، وإلمامه بها .

---

(12) الطباق : "هو الجمع بين الشيء وضده كالسواد والبياض والليل والنهار" للقزويني : الإيضاح (317) ، الموصلي : المثل السائر (264/2) .

(3 1) البقرة : 179 .

(1) النجم : ٤٣ .

(2) ابن عادل : اللباب (230/3) .

(3) هود : ٢٤ .

(4) ابن عادل : اللباب (463/10) .

4 ـ قضية النظم

تناول العلماء قضية النظم وأولوها اهتماماً بالغاً ، وجعلوها من أوجه الإعجاز ، فقد عدها الباقلاني[1] الوجه الثالث من أوجه الإعجاز ، فقال : " والوجه الثالث : أنه بديع النظم ،عجيب التأليف،متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه "[2] .

لكن هذه القضية لم تُبحث بحثاً هاماً كما بُحثت المواضيع البلاغية الأخرى ، فقد كان العلماء في نظرتهم للبلاغة فريقين " فريق شغف باللفظ ورأى أنه هو الأمر الذي يتفاضل به الكلام ، فكان يجهد نفسه في اختيار الكلمات وتنميقها ، والفريق الآخر رأى أن الفضيلة للمعنى وأن الألفاظ هي القوالب التي توضع فيها المعاني "[3] .

ولما جاءالإمام الجرجاني أضاف إلى ذلك عنصراًثالثاً "لا بد منه هوالذي يسمى النظم "[4]، حيث عرفه بأنه"توخي معاني النحو في معاني الكلم "[5] ، وقد أولاه اهتماماً بالغاً ، حيث وضح أسسه ومعالمه في كتابه دلائل الإعجاز ، وبذلك يكون الجرجاني واضع هذه النظرية ورائدها الأول بلا منازع .

وأتى بعد ذلك الإمام الزمخشري الذي " هضم نظرية عبد القاهر في النظم ، واستثمرها استثماراً تاماً في تطبيقها على أي الذكر الحكيم ، وظهر ذلك جلياً في الكشاف"[6] ، بل زاد عليها بما جادت به قريحته المتوقدة ، وعقله النير ، وفكره الواسع ، وذكاؤه المفرط ، مما جعله رائد التفاسير وإمامها من الناحية البلاغية .

وبالنسبة لابن عادل فإنه أولى قضية "النظم" عناية خاصة ، واهتماماً كبيراً ، وجعله عنواناً لكثير من الفصول التي عقدها في تفسيره ، وهذه أمثلة على ذلك :

1 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل)**[7] عقد فصلاً في نظم هذه الآية قال فيه : " في قوله : "يا قوم" لطيفة وهي أنه أضاف القوم لنفسه ، وأضاف نفسه إليهم إضافة اختلاط وامتزاج ، فكأنه منهم وهم منه ،

---

[1] هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، كان متكلماً على مذهب أبي الحسن الأشعري ، له تصانيف كثيرة منها إعجاز القرآن ، ت 403هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (279/5) .

[2] الباقلاني : **إعجاز القرآن** ، دار الجيل ـ بيروت ـ ط 1 1991م ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي (86) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الباقلاني : إعجاز القرآن .

[3] عباس ، د. فضل حسن ، وسناء فضل : **إعجاز القرآن الكريم** ، دار الفرقان ـ عمان ـ (6 6) وسيشار إليه فيما بعد هكذا فضل عباس: إعجاز القرآن .

[4] السابق نفسه (69) .

[5] الجرجاني : دلائل الإعجاز (273) .

[6] عباس ، د. فضل : إعجاز القرآن (83) .

[7] البقرة : 54 .

فصارا كالجسد الواحد ، فهو مقيد لهم ما يريد لنفسه ، وإنما يضره ما يضرهم وينفعه ما ينفعهم كقول القائل لغيره إذا نصحه : ما أحب لك إلا ما أحب لنفسي ، وذلك إشارة إلى استمالة قلوبهم إلى قبول دعواه ، وطاعتهم له فيما أمرهم به ونهاهم عنه "[1]

2 ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(هنالك الولاية لله الحق)**[2]عقد فصلاً في نظم هذه الآية قال فيه : " إعلم أنه تعالى لما ذكر من قصة الرجلين ما ذكر ، علمنا أن النصرة والعاقبة المحمودة للمؤمن على الكافر ،وعرفنا أن الأمر هكذا يكون في كل مؤمن وكافر، فقال : "هنالك الولاية لله الحق" أي في مثل ذلك الوقت وفي مثل ذلك المقام تكون الولاية لله يوالي أولياءه ، فيعليهم على أعدائه ويفوض أمر الكفار إليهم "[3] .

3 ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون)**[4] عقد فصلاً في نظم هذه الآية قال فيه : " لقائل أن يقول :إن ذلك كان آية واحدة فَلِمَ سُمِيِّت آيات؟ فالجواب : أنها تدل على وجود الصانعِ القادرِ على المقدورات العالمِ بكل المعلومات المختارِ في الإيجاد والإبداع ، وعلى صدق موسى ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ وعلى براءة من لم يقتل ، وعلى تعيين القاتل ، فهي وإن كانت آية واحدة إلا أنها لما دلت على هذه المدلولات الكبيرة لا جرم جرت مجرى الآيات "[5] .

---

[1] ابن عادل : اللباب (79/2) .

[2] الكهف : 44 .

[3] ابن عادل : اللباب (498/12) .

[4] البقرة : 73 .

[5] ابن عادل : اللباب (182/2) .

5 ــ قضية إعجاز القرآن الكريم

عرف السيوطي المعجزة بأنها : " أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة ، وهي إما حسية أو عقلية "(١) .

شاءت إرادة الله أن يكون دين الإسلام خاتم الرسالات السماوية ، الباقي إلى قيام الساعة ، فكانت معجزته عقلية باقية خالدة ، وهي القرآن الكريم ، فكان القرآن هو المعجزة ، والمعجزة هي القرآن " حتى يتسنى لجميع الأجيال الإطلاع عليها والتأثر بها "(2)، يشير إلى هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله : " ما من الأنبياء نبي أعطي ما مثله أمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة "(3).

وكون القرآن الكريم معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخالدة أمر مفروغ منه، وقضية مسلمة عند جميع علماء المسلمين وعوامهم قديماً وحديثاً ، وكونه كذلك نزل بلسان عربي مبين أمر لا يختلف عليه اثنان .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه : إذا كان القرآن الكريم عربياً في ألفاظه ، جارياً على نمط أساليب العرب في كلامهم ومنطقهم ، ففيم كان الإعجاز ؟ وبم يعلل هذا الإعجاز ؟.

لقد تعددت أقوال العلماء في بيان إعجاز القرآن الكريم ، فمنهم من قال بنظمه وأسلوبه ، ومنهم من قال بإخباره عن الأمور الغيبية ، ومنهم من قال بإخباره عن الأمم السابقة حتى أوصلها الزركشي إلى اثني عشر وجهاً(4) .

وأمام هذا التعدد في هذه الأقوال فإن ابن عادل له قول محدد في قضية إعجاز القرآن الكريم ، قلد فيه الزمخشري(5) الذي قال : إن إعجاز القرآن الكريم يكمن في أمرين :

الأول : النظم والبلاغة .

الثاني : الإخبار عن الغيب .

الأول : النظم والبلاغة

عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله**

---

(١) السيوطي : الإتقان (148/2) .

(٢) (2) الزرقاني : مناهل العرفان (308/2) .

(3) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي حديث رقم (696 4) (1905/4)، أحمد (541/2) .

(٤) الزركشي : البرهان (226/2) .

(5) قال الزمخشري عن القرآن الكريم : "إنه معجز من جهتين : من جهة إعجاز نظمه ، ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب " .الزمخشري : الكشاف (238/2) ، وانظر الجويني ، د. مصطفى الصاوي : منهج الزمخشري في التفسير ، دار المعرف ــ مصر ــ ط 2 1968م (217) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الجويني : منهج الزمحشري في التفسير .

وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)[1] بين ابن عادل طرق إعجاز القرآن، فقال :

"إعلم أن كونه معجزاً يمكن بيانه من طريقين :

الأول : ألا يخلو من أحد وجوه ثلاثة ، إما أن يكون مساوياً لكلام الفصحاء ، أو زائداً على كلام الفصحاء بقدر لا ينقض العادة ، أو زائداً عليه بقدر ينقض العادة ، والقسمان الأولان باطلان ، فتعين الثالث "[2] .

ولم يكتف ابن عادل بهذه العبارة الموجزة ، فقد شرحها وبينها حيث قال : " وإنما قلنا : إنهما باطلان لأنه لو كان كذلك لوجب أن يأتوا بمثل سورة منه إما مجتمعين ، أو منفردين ، فإذا وقع التنازع فالشهود والحكام مزيلون للشبهة وذلك نهاية الاحتجاج ، لأنهم كانوا من معرفة اللغة والإطلاع على قوانين الفصاحة في الغاية ، وكانوا في محبة إبطال أمره في الغاية حتى بذلوا النفوس والأموال ، وارتكبوا المهالك والمحن ، وكانوا في الحمية والأنفة على حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل ؟ وكل ذلك يوجب الإتيان بما يقدح في قوله ، فلما لم يأتوا بمثلها علمنا عجزهم عنها ، فثبت أن القرآن لا يماثل أقوالهم ، وأن التفاوت بينه وبين كلامهم ليس تفاوتاً معتاداً ، فهو إذن تفاوت ناقض للعادة ، فوجب أن يكون معجزاً "[3] .

أما الطريق الثاني الذي بين فيه إعجاز القرآن الكريم فهو : " أن القرآن لا يخلو إما أن يكون بالغاً في الفصاحة إلى حد الإعجاز،أو لم يكن ، فإن كان الأول ثبت أنه معجز ، وإن كان الثاني كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة ، فعدم إتيانهم بالمعارضة مع توفر داعيهم على الإتيان بها ، أمر خارق للعادة ،فكان ذلك معجزاً، فثبت أن القرآن معجز على جميع الوجوه "[4].

وإذا كان القرآن الكريم أعجز بنظمه وأسلوبه فهل حصل التفاوت فيه ؟ وما هو موقف ابن عادل من هذا الأمر ؟ .

اختلف العلماء في ذلك ، فذهب الزمخشري وغيره إلى القول بحصول التفاوت فيه[5] وذهب الباقلاني وآخرون إلى النفي والمنع[6]

أما موقف ابن عادل من هذا الأمر ، فإنه يذهب إلى نفي التفاوت في القرآن الكريم ، حيث

---

[1] البقرة : 23 .
[2] ابن عادل : اللباب (429/1) .
[2] ابن عادل : اللباب (429/1-430) بتصرف .
(3) ابن عادل : اللباب (431/1) .
[4] ذكر الزمخشري في الكشاف حصول التفاوت في نظم القرآن وأسلوبه،فعند تفسيره لقوله تعالى : **(يصهر به ما في بطونهم و الجلود)** الحج: 20 قال:هو أبلغ من قوله:**(وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم)** محمد : 15.انظر الكشاف(9/3).
[5] ذكر الباقلاني ذلك المنع في كتابه إعجاز القرآن ، فقال : " وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما ينصرف فيه من الوجوه التي ذكرناها على حد واحد ، في حسن النظم ، وبديع التأليف والرصف ، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ... فرأيناه غير متفاوت ، بل هو على نهاية البلاغة ، وغاية البراعة " إعجاز القرآن (88-9 8) .

ذكر ذلك في موضعين:

الأول : عند تفسيره لقوله تعالى :(قلنا يا نار كوني بردا وسلاماً على إبراهيم)[1]حيث نفى وقوع التفاوت بناءً على الخلاف في إعراب "سلاماً" ، فقال : " والظاهر في "سلاماً" أنــه نسـق على "برداً" فيكون خبراً عن "كوني" ، وجوز بعضهم أن ينتصب على المصدر المقصــود بــه التحية في العرف، وقد رُد هذا بأنه لو قصد ذلك لكان الرفع أولى ، نحو قول إبراهيم:(سلامٌ) [2] وهذا غير لازم ، لأنه لا يجوز أن يأتي القرآن على الفصيح والأفصح ، ويدل على ذلك أنه جاء مقصوداً ، والمقصود به التحية "[3] .

الثاني : عند تفسير لقوله تعالى : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بســورة من مثله)[4] قال : " واعلم أنه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تدل على أنه بلغ في الفصاحــة النهاية التي لا غاية لها "[5] ثم ذكر هذه الوجوه بالتفصيل ، حيث قال في الوجه الرابع : " إن كل من وصَف شيئا بشعر ، فإذا كرره لم يكن كلامه الثاني في وصف ذلك الشيء بمنزلــة كلامــه الأول ، وأما القرآن ففيه تكرار كثير ، وهو في غاية الفصاحة ، ولم يظهر التفاوت أصلاً "[6] ، وقال في الوجه الخامس : " إنهم قالوا : شعر امرئ القيس يحسن عند الطرب ، وذكــر النســاء وصف الخيل ، وشعر النابغة عند الخوف ، وشعر الأعشى عند الطلب ، ووصـــف الخمــر ، وزهير عند الرغبة والرجاء ، وبالجمالة فكل شاعر يحسن كلامه في فن ، ويضعف كلامه فــي غيره ، والقرآن جاء فصيحاً في كل الفنون "[7] .

الثاني : الإخبار عن الغيب .

يرى ابن عادل كغيره من العلماء أن الإخبار عن الغيب هو وجه من وجوه الإعجاز، فعنــد تفسيره لقوله تعالى : (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون)[8] ذكــر هذا الوجه ، فقال : " إن السورة[9] التي في أوائلها التنزيل والكتاب والقرآن ، في أوائلها ذِكرُ ما هو معجزة فقدمت عليها الحروف على ما تقدم في سورة العنكبوت[10]، وهذه في أوائلها ذِكرُ مــا هو معجزة ، وهو الإخبار بالغيب فقدمت الحروف التي لا يُعلم معناها لينتبه السامع فيقبل بقلبــه على الاستماع لمَّا ترد عليه المعجزة ويفزع للاستماع "[10] .

---

[1] الأنبياء : 69 .
[2] من قوله تعالى:(إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون)الذريات: 5 2.
[2] ابن عادل : اللباب (540/13) .
(3) البقرة : 23 .
[4] ابن عادل : اللباب (430/1) .
(5) السابق نفسه (430/1).
[6] السابق نفسه (430/1) .
[7] الروم :1-3 .
(8) المقصود بها هنا السورة التي بُدأت بالحروف المقطعة .
[9] راجع ابن عادل : اللباب (305/15-307) .
(10) ابن عادل : اللباب (382/15) .

المبحث الثاني

الإتجاه الفقهي والأصولي في تفسير ابن عادل

احتوى القرآن الكريم كافة التشريعات التي فيها صلاح البشرية ، وسعادة الخلق، والتي تقف أمامها التشريعات الوضعية وقفة الحائر الذي يأخذه هول الموقف،فيندهش لما يرى من عدالة التشريع ، ودقة الإحكام .

ومما يلفت الإنتباه ويثيره أن الآيات التي تناولت الأحكام لا تتجاوز الخمسمائة آية ، والتي عالجت مشاكل البشرية ، ووضعت لها الحلول الصحيحة ، والعلاج الشافي ، على مدى الأيام والأزمان .

وأيّاً ما كان الأمر فإن آيات القرآن الكريم لا تخلو من الهداية نحو الإيمان، والعظة والاعتبار مما حاق بالمكذبين،والإرشاد نحو الخير والفلاح في الدنيا والآخرة،مهما اختلفت الموضوعات التي تعالجها.

لقد كان علم الفقه وأصوله[1] علماً بارزاً من بين العلوم الإسلامية ، فقد تناوله الفقهاء في كتب الفقه والأصول ، والمحدثون في كتب الحديث وشروحها ، والمفسرون في تفاسيرهم ، دافعهم إلى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين "[2].

وابن عادل واحد من أولئك المفسرين الذين تناولوا علم الفقه وأصوله في تفاسيرهم ، فقد تناوله باهتمام وعناية تامتين ، فلا تكاد تمر آية تعرضت للأحكام إلا وأولاها عناية بالشرح والتوضيح ، وبيان الأحكام المستنبطة منها ، ساعده في ذلك كونه فقيهاً من فقهاء الحنابلة .

هذا وسيكون الكلام في هذا المبحث في مطلبين

المطلب الأول : الاتجاه الفقهي .

المطلب الثاني : الإتجاه الأصولي .

---

[1] الفقه لغة : الفهم وهو من فَقُهَ من باب ظَرُفَ ، أي صار فقيهاً . الرازي : مختار الصحاح (52 2) وفَقَهَ من أفعال السجايا ، فإذ قيل : فلان فقيه أي صار الفقه من سجيته ، وأما الفقه في الاصطلاح فقد ذكر له العلماء تعريفات كثيرة منها : تعريف الجويني : هو معرفة الأحكام التي طريقها الإجتهاد، الجويني ، عبد الملك بن عبد الله ، ت78 4هـ : الورقات ، بدون ذكر الطبعة (7) وسيشار إله فيما بعد هكذا الجويني : الورقات ، تعريف الأمدي : هو العلم الحاصل بجملة من الأحكام الشرعية والاستدلال ، الأمدي علي بن محمد ، ت31 6هـ : الإحكام ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط 1 1404هـ تحقيق السيد الجميلي (22/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الأمدي : الإحكام ، تعريف محمد أبو زهرة : هو العلم بالأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، أبو زهرة ، محمد : أصول الفقه دار الفكر العربي ــ القاهرة (6) وسيشار إليه فيما بعد هكذا أبو زهرة : أصول الفقه ، أما أصول الفقه فقد عرفه العلماء بتعريفات كثيرة منها ، تعريف الآمدي : هي أدلة الفقه وجهات دلالاتها على الأحكام وكيفية حال المستفيد بها ، الآمدي : الأحكام (1/ 23) ، تعريف محمد أبو زهرة : هو إدراك القواعد التي بها يتوصل إلى استنباط الأحكام الشرعية ، أبو زهرة : أصول الفقه (7) .

[2] أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين ، رقم (1 7) (39/1) ، أحمد (101/4).

كل من كان وطنه من مكةعلى أقل من مسافةالقصرفهو مـــن حـــاضري المســـجدالحرام[1] ، وقـــال عكرمة:من كان دون الميقات[2] ، وهو قول أصحاب الرأي[3] ، وقال طاوس:الحرم كله[4]،وهو قـــول الشافعي،وأحمد[5] "[6]،وهنا كذلك لم يرجح قولاً على آخر مكتفياً بنقل الأقوال وسردها فقط .

2 ــ يذكر قول فريقين في المسألة الفقهية ، مع حجة ودليل ما ذهب إليه كل فريق ، وهذا كثـــير في تفسيره ، لكنه لا يرجح أحد القولين على الآخر وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا تَنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشـــركة ولو أعجبتكم)**[7] عقد فصلاً في بيان جواز نكاح الكتابيات ، ذكر فيه قول المانعين والمجيزين ، مـــع ذكر ما احتج به كل منهما ، فقال : " الأكثرون من الأمة قالوا : يجوز للرجل أن يـــتزوج بالكتابيـــة ، وقال ابن عمر ومحمد ابن الحنفية والهادي ــ من أئمة الزيدية ــ : إن ذلك حرام "[8] .

وقد ذكر أدلة الجمهور ، فقال : " واستدل الجمهور بقوله تعالى : **(والمحصنات من الذين أوتـــوا الكتاب)**[9]، وتزوج عثمان بن عفان نائلة بنت فرافصة ، وكانت نصرانية فأسلمت تحته ، وتزوج طلحة بن عبيد الله يهودية[10] ، وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : " نـــتزوج نساء أهل الكتاب ، ولا يتزوجون نساءنا "[11] ، وروى عبد الرحمن بن عوف أنه عليه الصلاة والسلام قال في المجوس : " سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ، ولا آكلي ذبائحهم "[12] ولـــو لـــم يكن نكاح نسائهم جائزاً لكان هذا الاستثناء عبثاً "[13] .

ثم ذكر أدلة المانعين ، فقال : " واحتج القائلون بعدم الجواز بوجوه :

أحدها : أن لفظ "المشرك" يتناول الكتابية على ما بيناه[14] .

وثانيها:أن ابن عمر لما سئل عن هذه المسألة تلا آية التحريم وآية التحليل،ووجه الاســـتدلال : أن الأصل في الإبضاع الحرمة، فلما تعارض دليل الحل ودليل الحرمة تساقطا ، فوجب بقاء حكم الأصل.

وثالثها : حكى ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباس تحريم أصناف النساء إلاّ المؤمنات

- الحموي : معجم البلدان (453/3) .

[1] النووي : روضة الطالبين (49/3) . (2) البغوي : معالم التنزيل (171/1) .

[3] السرخسي : المبسوط (469/4) . (4) البغوي : معالم التنزيل (171/1) .

[5] ابن قدامة : المغني (345/3) . (6) ابن عادل : اللباب (388/3) .

[7] البقرة : 221 . (8) ابن عادل : اللباب (54/4) .

[9] المائدة : 5 . (10) البغوي : معالم التنزيل (195/1) .

[11] أخرجه الطبري بسنده عن جابر بن عبد الله مرفوعاً،وقال : فهذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه، فالقول به (78/2 3).

[12] أخرجه مالك في الموطأ (278/1) باب جزية أهل الكتاب والمجوس ، ورواه الطبراني عن السائب بن يزيد كما فـــي مجمـــع الزوائد (13/6) بلفظ سنوا بالمجوس سنة أهل الكتاب ، وقال الهيثمي : فيه من لم أعرفه .

[13] ابن عادل : اللباب (55/3) . [14] أنظر ابن عادل : اللباب (51/3) .

واحتج بقوله: **(فقد حبط عمله)**[1] "(2) ،وإن كان كذلك فالكتابية كالمرتدة في أنه لا يجوز العقد عليها.

ورابعها:أن طلحة نكح يهودية،وحذيفة نصرانية ، فغضب عمر عليهما غضباً شـــديداً ، فقـــالا : نُطَلِّق يا أمير المؤمنين ، فلا تغضب ، فقال:إن من أحل طلاقهن فقد أحل نكاحهن، ولكـــن أنتزعـــهن منكما [3]"(4) ،وهنا مع أنه ذكر أدلة كل فريق لم يكن لابن عادل دورفي التعقيب أو التعليق أوالترجيح.

ب ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وأتموا الحج والعمرة لله)**(5) عقد فصلاً في اختلاف الفقهاء فـــي وجوب العمرة ، قال فيه : " ولختلفوا في وجوب العمرة ، فذهب أكثر العلماء إلى وجوبها ، وهو قـــول عمر وعلي وابن عمر ورواه عكرمة عن ابن عباس ، قال : والله إن العمرة قرينة الحج في كتـــاب الله تعالى "وأتموا الحج والعمرة لله" وبه قال طاوس ومجاهد والحسن وقتادة و سعيد بن جبير ، وإليه ذهب الثوري وأحمد والشافعي في أصح قوليه ، وذهب قوم إلى أنها سنة، وهو قول جابر ، وبه قال الشعبي وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة(6) "[7].

بعد أن ذكر أقوال كل فريق، ذكر دليل كل منهما،فقال:"حجة القول الأول أدلة منها :

الأول : قوله تعالى : "وأتموا الحج والعمرة لله" والإتمام يراد به فعل الشيء كاملاً تاماً ، بدليـــــل قوله سبحانه وتعالى : **(وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن)**(8) أي فعلهن على التمام والكمال.

الثاني:قوله تعالى:**(يوم الحج الأكبر)**[9] يدل على وجود حج أصغر، وهو العمـــرة بالإتفـــاق وإذا ثبت أن العمرة حج فتكون واجبة لقوله تعالى:**(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً)**(10).

الدليل الثالث : ما ورد في الصحيح أن جبريل ـــ عليه السلام ـــ سأل النبـــي ـــ عليـــه الصـــلاة والسلام ـــ عن الإسلام ، فقال : " أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمـــد اً رســـول الله ، وأن تقيـــم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج وتعتمر "(11) .

أما حجة أصحاب القول الثاني : فقد ذكر أحاديث كثيرة منها :

1 ـــ قصة الأعرابي حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أركان الإسلام فعلمـــه الصـــلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، فقال الأعرابي : هل عليَّ غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطَّوع ، فقال : والله

---

[1] المائدة : 5 . (2) الطبري : جامع البيان (377/2) .

[3] أخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس:جامع البيان (377/2) وقال عنه:" قول لا معنى له لخلاف ما الأمة مجتمعة على تحليلـــه بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم "جامع البيان (78/2 3) . (4) ابن عادل:اللباب (56-55/4) بتصرف ولختصار .

[5] البقرة: 196 . (6) البغوي : معالم التنزيل (166/1) .

[7] ابن عادل : اللباب (359/3) . (8) البقرة : 24 1 .

[9] التوبة : 3 . (0 10) آل عمران : 97 .

[11] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان بدون لفظة وتعتمر رقـم (8) (37-36/1)، وأبـــو داود في كتاب السنة باب القدر رقم (4695)(50-48/5)، والترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء في وصف جبريل للنبي صلـــــى الله عليه وسلم الإسلام والإيمان والإحسان رقم(2610)(6/5)، وقال أبو عيسى:هذا حديث حسن صحيح .

لا أزيد على هذا ولا أنقص ، فقال عليه الصلاة والسلام :"أفلح إن صدق "[1] .

2 ــ قال عليه الصلاة والسلام: " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت "[2].

3 ــ قال عليه الصلاة والسلام : " صلوا خمسكم ، وزكوا أموالكم ، وحجوا بيتكم ، تدخلوا جنة ربكم[3] "[4] . وهنا كذلك لم يرجح أحد القولين على الآخر مكتفياً بسرد الأقوال مع أدلتها .

ج ــ **عند تفسيره لقوله تعالى: (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة)**[5] عقد فصلاً في شروط حرمة الرضاع ، ذكر في الشرط الثاني أقوال الفقهاء في عدد الرضعات المحرمة على قولين ، مع دليل كل قول ، فقال : " الشرط الثاني : أن توجد خمس رضعات متفرقات ، يروى ذلك عن عائشة ، وبه قال عبد الله بن الزبير ، وإليه ذهب الشافعي[6] وأحمد[7] ، قالت عائشة : أنزل في القرآن عشر رضعات يحرمن فنسخ من ذلك خمس، وصار إلى خمس رضعات معلومات يحرمن ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك[8] ، وقال عليه الصلاة والسلام : " لا تُحَرِّمُ المصة من الرضاع ولا المصتان [9] "[10] .

هذا القول الأول ، أما القول الثاني الذي يرى أن الرضاع قليله أو كثيره على حد سواء ، فقد دلل عليه بما روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ، فقال : " وذهب ابن عباس وابن عمر إلى أن قليله وكثيره مُحَرِّم[11]، وبه قال سعيد بن المسيب ، وإليه ذهب سفيان الثوري ، ومالك[12] ، والإوزاعي ، وعبد الله بن المبارك ، وأصحاب الرأي[13] "[14]. وهنا لم يرجح قولاً على آخر ، مما يدل على أنه كان ناقلاً للأقوال الفقهية في أغلب المواطن ومعظمها .

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب وجوب الصوم رقم (1729) (669/2)، مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام رقم (11) (40/1) .

[2] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب الإيمان وقول الرسول صلى الله عليه بني الإسلام على خمس رقم (8) (12/1)، مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام رقم (6 1) (45/1). (3) أخرجه أحمد : (262/5) .

[4] ابن عادل : اللباب (362/3) .

[5] النساء : 23 .

[6] النووي : روضة الطالبين (3/9) .

[7] ابن قدامة : المغني (137/8) .

[8] أخرجه مسلم في كتاب الرضاع باب التحريم بخمس رضعات رقم (1452) (1075/2) ، والترمذي في كتاب الرضاع باب ما جاء لا تحرم المصة ولا المصتان رقم (1150) (455/2) وقال الترمذي حديث عائشة حسن صحيح ، والنسائي في كتاب النكاح باب القدر الذي يُحَرِّم من الرضاعة رقم (3307) (100/6).

[9] أخرجه مسلم في كتاب الرضاع باب في المصة والمصتان رقم (1450) (1073/3)، والنسائي في كتاب النكاح باب القدر الذي يُحَرِّم من الرضاعة رقم (3309) (101/6)، وابن ماجه في كتاب النكاح باب لا تُحَرِّم المصة والمصتان رقم (1940) (724/1).

(10) ابن عادل : اللباب (291/6) .

[11] أخرجه الدار قطني (171/4)عن علي وابن مسعود.

(12) مالك : المدونة الكبرى (405/5) .

[13] السرخسي : المبسوط (134/5) .

(14) ابن عادل : اللباب (291/6) .

3 ــ يقتصر أحياناً في المسألة على ذكر مذهبي الشافعية والحنفية ، مع ذكر ما استدل به أصحاب كل مذهب ، وهذا كثيراً في تفسيره ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم)**[1] ذكر الخلاف بين الشافعية والحنفية في الخلوة هل يجب المهر كله أو نصفه ؟ فقال : "اختلف أهل العلم في الخلوة ، فقال الشافعي : إنها تقرر نصف المهر "[2] "[3]، لأن المشهور عند الشافعية أن الطلاق قبل المسيس يوجب المهر حتى ولو كان هناك خلوة ، وذكر حجة الشافعي : " بأن الطلاق قبل المسيس يوجب سقوط نصف المهر ، لأن قوله تعالى : "فنصف ما فرضتم" ليس كلاماً تاماً ، بل لا بد من إضمار شيء ليتم الكلام ، فإما أن يضمر " فنصف ما فرضتم ساقط " أو يضمر "فنصف ما فرضتم ثابت" والإضمار الأول هو المقصود "[4] .

أما رأي الحنفية فعكس رأي الشافعية تماماً ، وذلك بأنها تستحق المهر كله بالخلوة ، فقال : قال أبو حنيفة : " الخلوة الصحيحة : أن يخلو بها وليس هناك مانع حسي ولا شرعي ، فالحسي كالرَّتَق[5] والقرن[6] والمرض ، والشرعي كالحيض والنفاس ، وصوم الحائض ، وصلاة الفرض ، والإحرام المطلق فرضاً كان أو نفلاً [7]"[8].

أما حجة أبو حنيفة التي أتى بها ليدلل على صحة قوله ورأيه فهي " قوله تعالى : **(وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً**...إلى قوله **وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض)**[9] فنهى تعالى عن أخذ المهر ،ولم يفرق بين الطلاق وعدم الطلاق ، إلا إذا اتفقنا على تخصيص الطلاق قبل الخلوة ، فمن ادعى التخصيص ــ هاهنا ــ فعليه البيان ، وأيضاً فإنه تعالى نهى عن أخذ المهر وعلل بعلة الإفضاء وهي الخلوة ، لأن الإفضاء مشتق من الفضاء ، وهو المكان الخلي ، فعلمنا أن الخلوة تقرر المهر[10] "[11] ، وهنا لم يرجح أحد القولين أو يبين رأيه الفقهي إزاء هذه المسألة .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية إلى مسلمة أهله إلا أن يصدقوا)**[12]،عقد فصلاً في"الخلاف في وجوب الكفارة في قتل العمد" ذكر فيه الخلاف بين مذهبي الحنفية والشافعية في ذلك ، ودليل كل مذهب ، فبدأ

---

[1] البقرة : 237 .
[2] الشافعي : الأم (31/7) .
[3] ابن عادل : اللباب (216/4) .
[4] الشافعي: الأم (216/4) ،وعبارة الأم تقارب هذه بالمعنى.
[5] الرَّتَق : ما يمنع من دخول الذكر في الفرج من غدة غليظة أولحم أوعظم ، الكفوي : الكليات (80 4).
[6] القَرَن : غدة غليظة أو لحمة مرتفعة أو عظم يمنع سلوك الذكر في الفرج ، الكفوي : الكليات (29 7).
[7] السرخسي : المبسوط (150/5) .
[8] ابن عادل : اللباب (216/4) .
[9] النساء : 20-21 .
[10] الكاساني : بدائع الصنائع (92/2 2) .
[11] ابن عادل : اللباب (217/4) .
[12] النساء : 92 .

بمذهب الحنفية فقال:"واختلفوا في قتل العمد : فقال أبو حنيفة : لا يوجب الكفارة[1] ،لهذه الآية،فقال : "ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة" شرط لوجوب الكفارة كونه خطأً ، وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط "(2) .

ثم ذكر مذهب الشافعية ، فقال :" وقال الشافعي :تجب الكفارة[3]، لما روى واثلة بن الأسقع، قال: أتينا النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا أوجب النار بالقتل ، فقال : " أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار "[2]ولأن الكفارة في قتل الصيد في الحرم والإحرام يستوي فيه العامد والخاطئ إلا في الإثم ، فكذا في قتل المؤمن"[4]. وهنا كذلك لم يرجح أحد القولين أو يبين رأيه الفقهي.

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله)**(5)ذكر الخلاف بين الشافعية والحنفية في بيان من هو الفقير والمسكين،مع ذكر استدلال كل مذهب لماتبناه،فقال:"وقال الشافعي:الفقير هو من لا مال له ولا حرفه تقع منه موقعاً زَمِناً كان أو غير زَمِن،والمسكين من له حرفة تغنيه سائلاً كان أو غير سائل [6]"(7).

وأما استدلال الشافعية لمذهبهم هو"قوله تعالى: **(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر)**[8]أثبت لهم ملكاً،وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ من الفقر،وقال:"كاد الفقر أن يكون كفراً "[9] وكان يقول:اللهم أحيني مسكيناًو أمتني مسكيناً"[10]فكيف يتعوذ من الفقر ويسأل دونه،وهذا تناقض؟"(11).

ثم ذكر قول الحنفية ، فقال : " وقال أصحاب الرأي (12): الفقير من له المسكن والخادم ، والمسكين من لا ملك له "[13]"(14) ، أي أن الفقير أحسن حالاً من المسكين ، وقد استدلوا بأن " كل محتاج إلى شيء فهو فقير إليه و إن كان غنياً عن غيره ، قال الله تعالى: **(يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله)**[15]والمسكين المحتاج إلى كل شيء ، ألا ترى أن الله حض على طعامه(16) وجعل الكفارة

---

[1] السرخسي : المبسوط (85-84/27) .
[2] ابن عادل :اللباب (562/6) .
[3] النووي : روضة الطالبين (562/6).
[4] أخرجه أبو داود في كتاب العتق باب في ثواب العتق رقم (964 3) (177-176/4)، وأحمد (390/3) .
[5] ابن عادل : اللباب (562/6) .
(6) التوبة : 60 .
[7] الشافعي : الأم (81/2)
(8) ابن عادل : اللباب (124/10) .
[9] الكهف : 79 .
[10] أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (805/2) من طريق يزيد الرقاشي ، وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزيد الرقاشي لا يعول على ما يروي .
[11] أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء أن فقراء المهاجرين .. حديث رقم (353 2) (577/4) وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب وابن ماجه في كتاب الفتن باب ما جاء في مجالسة الفقراء رقم (4126) (1381/2) .
(11) ابن عادل : اللباب (124/10) .
[12] "أصحاب الرأي" هذه العبارة تعني في تفسير ابن عادل السادة الحنفية .
[13] السرخسي : المبسوط (8/3) .
(14) ابن عادل : اللباب (124/10) .
[15] فاطر : 15 .
(16) من قوله تعالى : (أو مسكيناً ذا متربة) البلد : 16.

له[1]، ولا فاقة أشد من الحاجة إلى سد الجوعة(2) ، وهنا لم يرجح أحد القولين على الآخر . .

4 ـ يقتصر في بعض الأحيان على ذكر قولِ إمام واحد في المسألة الفقهية ، وقد يضيف إلى ذلك رأيه وقوله ، ذاكراً ما يؤيد ما ذهب إليه ، وهذه أمثله على ذلك :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)**[3] عقد فصلاً في حكم الدلك في الوضوء ، قال فيه : " الدلك غير واجب ، لأنه لم يُذكر في الآية ، وقال عليه الصلاة والسلام : " أما أنا فأحثي على رأسي ثلاث حثيات فأنا قد طهرت "(4)،ولم يذكر الدلك "(5) ، ثم ذكر قول الإمام مالك فقط ، فقال : " وقال مالك : هو واجب "[6](7) .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن بأنفسهن بالمعروف)**[8] عقد فصلاً في جواز النكاح بغير ولي ولم يذكر فيه إلا قول الحنفية ، فقد قال: " تمسك أبو حنيفة في جواز النكاح بغير ولي بقوله تعالى : "فلا جناح عليكم فيما فعلن بأنفسهن بالمعروف" ، قالوا : وإضافة الفعل إلى الفاعل محمول على المباشرة ، لأن هذا هو الحقيقة في اللفظ "[9](10) .

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)**[11] عقد فصلاً في مذهب الشافعي في السحر: السحر يُخَيِّل ، ويُمَرِّض ،ويقتل ،وأوجب القصاص على من يقتل به ، فهو من عمل الشيطان ، يتلقاه الساحر منه بتعليمه إياه ، فإذا تلقاه منه استعمله في غيره "(12)[13].

5 ـ يرجح في المسألة الفقهية ما يراه راجحاً ، بناءً على المُرَجِّح الذي يغلب على ظنه أنه هو الأقوى في هذه المسألة ، ويشير إلى ذلك بقوله : ولنا ..، وهذه كلمة يقولها صاحب المغني،ولعل ابن عادل أخذها عنه ، لكونه حنبلي المذهب ، هذه أمثلة على ذلك:

---

[1] الكفارات التي جُعِل فيها الإطعام للمسكين كثيرة منها كفارة اليمين ، قال تعالى : " فإطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم " المائدة : 89 .

(2) ابن عادل : اللباب (124/10) .

[3] المائدة : 6 .

(4) أخرجه البخاري في كتاب الطهارة باب من أفاض على رأسه ثلاثا رقم (51 2) بلفظ " أماأنا فأفيض على رأسي ثلاثاً وأشار بيديه كلتيهما (101/1)، مسلم في كتاب الطهارة باب من أفاض على رأسه ثلاثاً رقم (27 3) بلفظ "وأما أنا فأفيض على رأسي ثلاث أكف (258/1).

(5) ابن عادل : اللباب (234/6) .

[6] المالكي ، أبو الحسن : كفاية الطالب ، دار الفكر ـ بيروت ـ 1412هـ ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي (238/1) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا المالكي : كفاية الطالب .

(7) ابن عادل : اللباب (243/6) .

[8] البقرة : 234 .

[9] السرخسي : المبسوط (10/5) .

(10) ابن عادل : اللباب (197/4) .

[11] البقرة : 102 .

[12] أنظر الشافعي : الأم (256/1) .

(13) ابن عادل : اللباب (331/2) .

أ ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه)**[1] عقد فصلاً ذكر فيه الخلاف في جواز الوضوء بماء البحر ، فقال: "يجوز الوضوء بماء البحر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : " لا يجوز بل يتيمم "[2]"[3] .

وهنا يرجح ابن عادل جواز الوضوء بماء البحر ، فيقول : "ولنا : أن التيمم شرطه عدم الماء[4] ومن وجد ماء البحر[5] فإنه واجد للماء "[6] .

ب ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإن كنتم جنباً فاطهروا)**[7] ، عقد فصلاً في حصول الجنابة ، ذكر فيه سببان لحصولها ، وذكر الخلاف في السبب الثاني ، فقال : " ولحصول الجنابة سببان :

الأول : نزول المني ، قال عليه الصلاة والسلام : " إنما الماء من الماء "[8].

والثاني : في التقاء الختانين ، وقال زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري : لا يجب الغسل إلاعند نزول الماء"[9] .

وأما الخلاف في السبب الثاني فيرجح ابن عادل أن التقاء الختانان يوجب الغسل ، فيقول : " لنا قوله ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ : إذا التقى الختانان وجب الغسل ، وإن لم يُنْزِل "[10] "[11] .

ج ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم)**[12] عقد فصلاً ذكر فيه الخلاف في مدة الإيلاء ، قال فيه : " ومدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد لأنها ضربت لمعنى يرجع إلى الطبع ، وهو قلة الصبر عن الزوج ، فيستوي فيه الحر والعبد ، كمدة الدفيئة ومدة الرضاع ، وعند مالك وأبي حنيفة : ينتصف بالرق ، إلا عند أبي حنيفة : ينتصف برق المرأة[13] ، وعند مالك : برق الرجل[14] ، كقولهما في الطلاق[15] "[16].

---

(1) المائدة : 6 .

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الحج باب ركوب البحر لحج أو عمرة رقم (448 8)(334/4) وقال: هكذا روي مرفوعاً

(3) ابن عادل : اللباب (236/7) .

(4) لقوله تعالى : (فلم تجدوا ماءً) المائدة : 6 .

(5) ماء البحر طاهر بلا خلاف لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب الوضوء بماء البحر رقم (83) (52/1-53) والنسائي في كتاب الطهارة باب ماء البحر رقم (59) (50/1) وابن ماجه في كتاب الطهارة باب الوضوء بماء البحر رقم (86 3) (136/1) والترمذي في كتاب الطهارة باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور رقم (69) (101/) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(6) ابن عادل : اللباب (236/7) .

(7) المائدة : 9 .

(8) أخرجه مسلم في كتاب الحيض باب إنما الماء من الماء رقم(343)(269/1).

(9) ابن عادل : اللباب (233/7)

(10) أخرجه البخاري في كتاب الطهارة باب إذا التقى الختانان رقم (87 2) (110/1) .

(11) ابن عادل : اللباب (232/7) .

(12) البقرة : 226 .

(13) السرخسي : المبسوط (33/7) .

(14) ابن عبد البر: الكافي (279) .

أما ابن عادل فيرجح القول بأن الآية تشمل الجميع ، فيقول:"ولنا : ظاهر قوله تعـالى : " للذيـن يؤلون من نسائهم" فتتناول الكل من غير تخصيص ، والتخصيص خلاف الظاهر ، والمعنى المتقـدم يمنع التخصيص"(1).

---

(15) قال السرخسي : " طلاق الأمة ثنتان وعدتها حيضتان تحت حر كانت أو عبد " المبسوط (9/6 3)، وذكر ابن عبد الـبر أن " طلاق العبدُ الحرةَ تطليقتان " التمهيد (2 41/3) .

(6 1) ابن عادل : اللباب (1 01/4) .

(1) ابن عادل : اللباب (101/4-102) .

المطلب الثاني

الاتجاه الأصولي

أولى ابن عادل أصول الفقه اهتماماً كبيراً ، حيث تعرض لموضوعاته المتعددة ، في مواطن كثيرة من تفسيره ، وكان منهجه على النحو التالي :

1 ـ تعرض للأصول الأربعة المتفق عليها عند كثير من علماء الأصول ، وبين حجيتها في الاستدلال على صحة الأحكام الشرعية ،وهذه الأصول الأربعة هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

أ ـ الكتاب والسنة : تعرض لبيان حجيتهما معاً في مواطن متعددة ، منها :

1 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة)**[1] قال : " قوله : "ويعلمهم الكتاب" أي : القرآن ، يعلمهم ما فيه من الدلائل الأحكام ، والحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم "[2] .

2 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)**[3] قال: "أمر الله بطاعة الكتاب والسنة "[4] والطاعة هي جعلهما مصدراً للأحكام .

ب ـ الإجماع[5] : تعرض لبيان حجيته في مواطن متعددة في تفسيره ، منها :

1 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)**[6]عقد فصلاً فيما يتعلق بالإجماع ، قال فيه : " دل قوله ـ تعالى ـ : "وأولي الأمر منكم " على أن الإجماع حجة "[7] .

2 ـ عند تفسيره لقوله تعالى:**(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)**[8] عقد فصلاً في أن إجماع الأمة حجة ، قال فيه: " وإذا ثبت أن هذه الأمة لا تحكم إلا بالحق ، كان إجماعهم حجة "[9] .

---

[1] البقرة : 129 . (2) ابن عادل:اللباب(493/2) الشافعي: الرسالة(32).

[3] النساء : ٥٩ . (4) ابن عادل : اللباب (445/6) .

[5] الإجماع في اللغة هو العزم والاتفاق. الرازي:مختار الصحاح (62) وفي الاصطلاح: هو اتفاق المجتهدين من هذه الأمة في عصر من العصور على أمر " ابن بدران،عبد القادر ت 246 1هـ : المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط 2 1401هـ تحقيق د.عبد الله بن عبد المحسن التركي (78 2) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن بدران: المدخل .

[6] النساء : 59 .

(7) ابن عادل : اللباب (450/6) .

[8] آل عمران : 110 .

(9) ابن عادل : اللباب (476/5) .

وذهب إلى أن الذين ينعقد بهم الإجماع هم أهل الحل والعقد ، فقال : " إذا ثبت أن الإجماع حجة ، فاعلم أن المعتبر لإجماعهم هم الذين يمكنهم استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة ، وهم المسمون بأهل الحل والعقد ، فهم الذين يُمتَثَلُ أمرهم ونهيهم بخلاف المتكلم والمقرئ والمحدِّث ، والعوام الذين لا يمكنهم الاستنباط "[1].

ج ــ القياس[2] : أولى ابن عادل موضوع القياس عناية فائقة ، حيث تعرض لبيان حجيته في مواضع كثيرة ومتعددة في تفسيره ، وهذه أمثلة على ذلك :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى:**(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)**[3]عقد فصلاً في دلالة الآيةعلى حجية القياس ، قال فيه : " دلت هذه الآية على أن القياس حجة لأن قوله : "فإن تنازعتم في شيء " حكمه غير مذكور في الكتاب والسنة والإجماع ، فيجب رده إلى الأحكام المنصوصة المشابهة له ، وذلك هو القياس [4].

2 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فاعتبروا يا أولي الأبصار)**[5] قال : " واستدل الأصوليون بهذه الآية على وجوب العمل بالقياس "[6] .

3 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)**[7]عقد فصلاً في دلالة هذه الآية على حجية القياس ، قال فيه : " دلت هذه الآية على أن القياس حجة في الشرع "[8] .

ولم يكتف ابن عادل ببيان حجية القياس،بل رد على نفاته ومنكريه في مواطن كثيرة منها:

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون)**[9]عقد فصلاً في الرد على نفاة القياس ومنكريه ، قال فيه : " تمسك نفاة القياس بهذه الآية ، لأن الله ــ تبارك وتعالى ــ بالغ في ذم الكفار في كثير من آيات القرآن العظيم بكونهم متبعين الظن ، والشيء الذي جعله الله ــ تبارك وتعالى ــ موجباً للذم لابد وأن يكون في أقصى مراتب الذم ، والعمل بالقياس يوجب اتباع الظن ، فوجب كونه مذموماً محرماً "[10] ، وقد رد

---

(1) ابن عادل : اللباب (447/6) .

(2) القياس في اللغة التقدير قاس الشيء بالشيء قدّره على مثاله . الرازي:مختار الصحاح (2 75) وفي الإصطلاح : هو رد الفرع إلى الأصل بعلة تجمعهما في الحكم. الجويني:الورقات (2 6) . (3) النساء : 59 .

(4) ابن عادل : اللباب (444/6-445) . (5) الحشر : 2 .

(6) ابن عادل : اللباب (568/19) .

(7) النساء : 83 . (8) ابن عادل : اللباب (526/6) .

(9) الأنعام : 117.

(10) ابن عادل : اللباب (397/8) .

عليهم : " إن الظن عبارة عن الاعتقاد الراجح إذا لم يسند إلى أمارة وهو مثل اعتقاد الكفار ، أما إذا كان الاعتقاد الراجح يستند إلى إمارة فهذا الاعتقاد لا يسمى ظناً "[11] .

2 ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ما لهم به من علم إلا اتباع الظن)**[1] عقد فصلاً في دفع شبه منكري القياس ، قال فيه : " احتج نفاة القياس بهذه الآية ، وقالوا : العمل بالقياس من اتباع الظن،وهو مذموم،لأن الله ـــ تعالى ـــ ذكر اتباع الظن في معرض الذم هنا،وذم الكفار في سورة الأنعام بقوله : **(إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون)**[2] ، وقال : **(إن الظن لا يغني من الحق شيئاً)**[3] فدل على أن اتباع الظن مذموم ، والجواب : لا يسلم أن العمل بالقياس من اتباع الظن ، فإن الدليل القاطع [4] لمَّا دل على العمل بالقياس ، كان الحكم المستفاد من القياس معلوماً لا مظنوناً "[5] .

2 ـــ حصر الأدلة الشرعية في أربعة وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وما سواها باطل[6] فعند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الله والرسول)**[7] عقد فصلاً في حصر الأدلة في أربعة ، قال فيه : " دلت هذه الآية على أن ما سوى هذه الأصول الأربعة ،[8]أعني الكتاب والسنة والإجماع والقياس باطل،لأنه ـــ تعالى ـــ جعل الوقائع في قسمين :

أحدهما:منصوص عليه بالطاعةبقوله ـــ تعالى ـــ:"**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمرمنكم**".

والثاني:غيرمنصوص عليه وأمرفيه بالاجتهادبقوله ـــ تعالى ـــ:"**فإن تنازعتم في شيءفردوه إلى الله والرسول**"ولم يزدعلى ذلك،فدل علىأنه ليس للمكلف أن يتمسك بسوىهذه الأربعة،فالقول بالإستحسان الذي تقول به الحنفية[9]،والقول بالاستصحاب الذي تقول به المالكية[10]قول باطل لهذه الآية "[11] .

---

[11] ابن عادل : اللباب (437-432/5) .

[1] النساء : 157 .

[2] الأنعام : 116 . (3) يونس : 36 .

[4] الدليل القاطع الذي دل على العمل بالقياس هو القرآن الكريم . (5) ابن عادل : اللباب (115/7) .

[6] هذه الأدلة الأربعة متفق عليها عند أغلب الأصوليين،وهناك أدلةمختلف عليها مثل المصالح المرسلةوعمل أهل المدينة وسد الذرائع والإستصحاب والإستحسان وغيرها،والعجب من ابن عادل كيف يقول ببطلان غيرهذه الأدلةالأربعةوهوحنبلي المذهب،علماً بأن الحنابلةيقولون بالمصالح المرسلةوغيرها من الأدلة.أنظرآل ابن تيمية:المسودة،دار المدني ـــ القاهرة ـــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد(401)وسيشارإليه فيمابعدهكذاآل تيمية:المسودة . (7) النساء : 59 .

[8] ابن عادل : اللباب (449-448/6) .

[9] انظر السرخسي ، محمد بن أحمد أبي سهل ، ت 90 4هـ : أصول السرخسي ، دار المعرفة ـــ بيروت ـــ 1372هـ تحقيق أبي الوفا الأفغاني (200/2) وسيشار إليه فيما بعد هكذا السرخسي : أصول السرخسي.

[10] انظر الشوكاني ، محمد بن علي ـــ ت 1250هـ : إرشاد الفحول ، دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ (52 3) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الشوكاني : إرشاد الفحول . (11) ابن عادل : اللباب (449-448/6) .

3 ــ تعرض لخبر الواحد وحجيته[12] فرأى أن خبر الواحد إذا صح حجة في العمل ، فعند تفسيره لقوله تعالى : **(فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)**[1] قال : " أما العمل بقول امرأة فإن الخبر يعمل فيه بقول الواحد حراً كان أو عبداً ، ذكراً كان أو أنثى ، وهي ما كانت تعمل إلا مخبرة "[2] .

أما بالنسبة لحجية خبر الواحدفي الأصول والعقائدءفإنه يشير إلىقول الجمهور بأنه حجة، فعند تفسيره لقوله تعالى : **(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)**[3] عقد فصلاً في الاحتجاج بقبول خبر الواحدءقال فيه:" من الناس من يحتج بهذه الآيات على قبول خبر الواحد ، لأن إظهار الأحكام واجب ، ولو لم يجب العمل ، لم يكن إظهارها واجباًءوتمام التقرير فيه قوله تعالى في آخر الآية:**(إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا)**[4] فحكم بوقوع البيان بوقوع خبرهم "[5] .

ويؤكد في موضع آخر ما يراه من هذا الأمر ، فعند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)** "[6] عقد فصلاً في حجية خبر الواحد ، فقال : دلت الآية على أن خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا تقبل "[7] .

4 ــ تعرض لكثير من المباحث والمواضيع الأصولية ، التي بنى عليها كثيراً من الأحكام الشرعية ، منها :

أ ــ الأمر يفيد الوجوب : اختلف الأصوليون في الأمر فذهب علماء الظاهرية إلى أنه يفيد الوجوب مطلقا ، وذهب الجمهور إلى أنه يفيد الوجوب ما لم تصرفه قرينة، وذهب آخرون إلى أنه يفيد الطلب ، أما ابن عادل فيرى أن الأمر يفيد الوجوب ، وقد أشار إلى ذلك في مواضع متعددة ، منها :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً)** [8] عقد فصلاً في أن الأمر للوجوبءودلل على ذلك بآيات قرآنية ، فقال : " دلت الآية على أن الأمر مقيد بالوجوب ، لأن تارك المأمور عاصٍ لقوله :**(أفعصيت أمري)**[9]و**(لا يعصون الله ما أمرهم)**[10] و **(ولا أعصي لك أمرا)**[11]والعاصي مستحق للعقاب لقوله:"**ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجهنم**"[12].

---

[12] حجية العمل بخبر الواحد في الأفعال حجة عند الجميع بلا خلاف ، أما حجيته في العقائد والأصول فمحل خلاف بين الأصوليين والمتكلمين من جهة وأهل الحديث من جهة أخرى .

[1] القصص : 25 .

[2] ابن عادل : اللباب (240/15) .

[3] البقرة : 259 .

[4] البقرة : 160 .

[5] ابن عادل : اللباب (106/3) .

[6] الحجرات : 6 .

[7] ابن عادل : اللباب : (531/7) .

[8] الجن : 23 .

[9] طه : 93 .

[10] التحريم : 6 .

[11] الكهف : 69 .

[12] ابن عادل : اللباب (440/19).

2 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)**[13] عقد فصلاً في دلالة الآية على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه:"دلت الآية على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم،لأن الأمر يفيد الوجوب"[1].

ب ــ التكليف بما لا يطاق : من المباحث الأصولية التي كثر الجدل فيها في كتب الأصول مبحث التكليف بما لا يطاق هل هو جائز أم لا ؟وهل وقع في الشرع أم لم يقع ؟.

نفى المعتزلة وقوعه في الشريعة عقلاً ،وذهب الأشاعرة وأكثر الأصوليين إلى جواز التكليف عقلاً بما لا يطاق[2] ، وذهب ابن عادل إلى وقوع ذلك في الشريعة ، وذلك بحكم أنه أشعري ، وقد أشار إلى ذلك في مواطن متعددة في تفسيره ، منها :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به)**[3]عقد فصلاً في جواز التكليف بما لا يطاق ، قال فيه : " استدلوا بهذه الآية على جواز التكليف بما لا يطاق ، قالوا : إذ لو لم يكن جائزاً لما حسُن طلب دفعه بالدعاء من الله تعالى "[4] .

2 ــ عند تفسيره لسورة المسد عقد فصلاً كذلك في جواز التكليف بما لا يطاق ، قال فيه : " احتج أهل السنة على جواز تكليف ما لا يطاق ، بأنه تعالى كلف أبا لهب بالإيمان، مع تصديق الله تعالى في كل ما أخبر عنه ، ومما أخبر عنه أنه لا يؤمن ، وأنه من أصحاب النار ، فصار مكلفاً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن،وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين"[5] ، وهذا تكليف بما لا يطاق .

ج ــ الأمر يقتضي التكرار:اختلف العلماء في هذه المسألة، فذهب أكثر الفقهاء والمتكلمين إلى أن الأمر لا يقتضي التكرار، وذهب بعض الشافعية إلى أن الأمر يقتضي التكرار[6] ، وأما ابن عادل فقد أشار إليه في مواضع قليلة منهاعند تفسيره لقوله تعالى:**(يا أيهاالذين آمنوا أطيعواالله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)**[7] عقد فصلاً في:الأمر يفيد التكرار،قال فيه:" ظاهر الأمر يفيد التكرار لوجوه :

الأول : قوله : "أطيعوا الله" يصح منه الاستثناء أي وقت كان ، وحكم الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل ، فوجب أن يكون قوله : "أطيعوا الله" متناولاً لجميع الأوقات ، وذلك يفيد التكرار .

الثاني : لو لم يفد ذلك لصارت الآية مجملة ، لأن الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة ، فإذا حملناه على العموم كانت مُبَيَّنة ، وهو أولى من الإجمال، أقصى ما في الباب أنه يدخل التخصيص ، والتخصيص خير من الإجمال .

---

(13) الأحزاب : 56 .

(1) ابن عادل : اللباب (186/15) .

(2) انظر الآمدي : الإحكام (169/1-170) .

(3) البقرة : 286 .

(4) ابن عادل : اللباب (540/4-541) .

(5) ابن عادل : اللباب (558/20) .

(6) انظر الشنقيطي : مذكرة أصول الفقه (١٩٤) .

(7) آل عمران : 97 .

الثالث : أنه أضاف الطاعة إلى لفظ "الله" ، وهذا يقتضي أن منشأ وجوب الطاعة هو العبودية والربوبية ،وذلك يقتضي دوام وجوب الطاعة على المكلفين إلى يوم القيامة "[8].

د ـ تخصيص العام:عرف البيضاوي العام بأنه"لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد"[1]، وتخصيص العام مسألة مهمة في علم الأصول أفردها الأصوليون بالبحث والدراسة ، وذلك لتعلق أحكام شرعية كثيرة به .

وقد تناول ابن عادل هذا الموضوع في تفسيره ، فعند تفسيره لقوله تعالى : **(ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير)**[2]عقد فصلاً في تخصيص العام، قال فيه : " تخصيص العام جائز في الجملة ، وأيضاً تخصيص العام بدليل العقل "[3] .

هـ ـ عام يراد به الخصوص:العام وإن كان يتناول كل ما استغرقه اللفظ،إلا أنه أحياناً يتناول بعض ما استغرقه اللفظ ، وأول من أشار إلى هذا النوع الإمام الشافعي في رسالته ، ومثل له بأمثلة من الكتاب[4] ، وقد تعرض ابن عادل أيضاً لهذا النوع في تفسيره في مواطن متعددة منها :

1 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)**[5] ذكر أن المراد بالناس في هذه الآية بعضهم ، فقال : " والمراد ب"الناس" نعيم بن مسعود ، فهو من العام الذي أريد به الخاص "[6] .

2 ـ عند تفسيره لقوله تعالى :**(واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)**[7]عقد فصلاً في المرادفي عموم هذه الآية،فقال:"أجمع العلماء على أن قوله : "واعلموا أنما غنمتم من شيء" ليس على عمومه،وأنه مخصوص باتفاقهم على أن سلب المقتول لقاتله إذا نادى به الإمام ، وكذلك الأسارى هو فيهم مخير ، وكذلك الأراضي المغنومة "[8] .

---

[8] ابن عادل : اللباب (450/6) بتصرف .

[1] البيضاوي،عبد الله بن عمر ت 685هـ : **منهاج الوصول في معرفة الأصول ومعه الإبتهاج بتخريج أحاديث المنهاج لعبد الله الغماري** ، عالم الكتب ـ بيروت ـ 1985م ط1 ، (76) وسيشار إليه فيما بعد هكذا البيضاوي : المنهاج .

[2] البقرة : ٢٠ .

[3] ابن عادل : اللباب (404/1-405) .

[4] أنظر الشافعي : الرسالة (58)

[5] آل عمران : 173 .

[6] ابن عادل : اللباب (58/6) .

[7] الأنفال : 41 .

[8] ابن عادل : اللباب (521/9) .

المبحث الثالث

تعرضه لمباحث علوم القرآن

علوم القرآن مركب إضافي يشمل كل "علم يخدم القرآن ، أو يستند إليه "[1] أو يتعلق به مثل أسباب النزول ، وعلم القراءات ، وعلم الناسخ والمنسوخ ، وعلم إعراب القرآن ، ومعرفة المكي والمدني ، وغيرها من العلوم المتعددة التي أوصلها الزركشي في كتابه البرهان إلى سبعة وأربعين نوعاً[2] ، وأوصلها السيوطي في كتابه الإتقان إلى ثمانين نوعاً[3] .

ومما يثير الإنتباه أن تفسير ابن عادل المسمى " اللباب في علوم الكتاب " يوهم القارئ لعنوانه أول مرة أنه كتاب يبحث في علوم القرآن مثل كتاب " البرهان في علوم القرآن " ، وكتاب " الإتقان في علوم القرآن " ، لكن الحقيقة غير ذلك ، فهو كتاب تفسير لكتاب الله تبارك وتعالى ، تعرض فيه صاحبه لبعض علوم القرآن .

ولم يتعرض الإمام ابن عادل لكل علوم القرآن ، بل تعرض لبعضها، وكان تعرضه بإسهاب في بعضها، وبالاختصار والتلميح في بعضها الآخر،وسأتناول في هذا المبحث العلوم التي تعرض لها ابن عادل في تفسيره بإسهاب حسب ما توصلت إليه من مطالعتي وقراءتي له ، وهي :

1 ـ مناسبات الآيات والسور .

2 ـ النسخ في القرآن الكريم .

3 ـ الوقف والإبتداء .

4 ـ أسباب النزول .

5 ـ المكي والمدني .

6 ـ المشكل

---

[1] الزرقاني ، محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط 2 1417هـ ـ تحقيق فواز أحمد زمرلي (1/ 23) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الزرقاني : مناهل العرفان .

[2] انظر الزركشي : مقدمة البرهان (1/102-104) .

[3] انظر السيوطي : مقدمة الإتقان (1/8– 9) .

1 ـ مناسبات الآيات والسور

قبل البدء في الكلام عن هذا العلم الذي تعرض له ابن عادل ، لا بد من تعريف المناسبة وبيان معناها ، فالمناسبة في اللغة : هي المشاكلة والمقاربة ، ويقال : فلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله ، ، وأصله من النسب وهي القرابة ، وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه : أي قريبه ، وبينهما مناسبة : أي مشاكلة[1] .

أما في الاصطلاح فقد ذكر السيوطي كلاماً حوله ، فقال : " ..ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنىً رابط بينها عام أو خاص أو حسي أو عقلي أو خيالي أو غير ذلك من العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول ..."[2]

وعلم مناسبة الآيات والسور له مؤيدوه،الذين أثبتوه،وتعرضوا له في كتبهم،ومعارضوه الذين نفوا وجوده في القرآن الكريم ، وله من تحفظ عليه، والذين أثبتوه وأيدوه كثيرون،منهم الإمام أبو بكر النيسابوري[3]الذي وصف بكثرة العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول إذا قُرِأت عليه الآية : " لم جُعِلت هذه الآية إلى جنب هذه؟وما الحكمة من جعل السورة إلى جنب هذه السورة ؟[4] .

ومن الذي أيدوه أيضاً الإمام أبو بكر بن العربي المالكي ، والإمام فخر الدين الرازي، فقد قال عن هذا العلم : " أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط "[5] ، وقد تابعه الإمام أبو حيان في البحر المحيط .

أما المعارضون له فقلة،وعلى رأسهم الأمام الشوكاني[6] ، فقد شن حملة شعواء على من يقول بالمناسبة بين الآيات والسور ، وأنكر فائدته بالكلية ، وقال في ذلك كلاماً مطولاً عند تفسيره لقوله تعالى (**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين**)[7] نعى فيه على القائلين بذلك ، فمن جملة ما قاله : " إعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف ، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته ، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود

---

[1] أنظر ابن منظور : لسان العرب (7 56/1) ، الرازي : مختار الصحاح (321) ، للزركشي : البرهان (131/1) .

[2] السيوطي : الإتقان (139/2) .

[3] هو الإمام أبو بكر بن محمد بن زياد ، النيسابوري ، الفقيه الشافعي ، له رحلة في طلب العلم ، قرأ على المزني ، ثم سكن بغداد ، وصار إماماً للشافعية بالعراق ، ت 24 3 هـ . ابن العماد : شذرات الذهب (3 02/2).

[4] الزركشي:البرهان(132/1)،السيوطي:الإتقان(138/2).

(5) الزركشي:البرهان (132/1) السيوطي : الإتقان (139/2).

[6] هو الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني،ولد سنة173 1 هـ،كان زيدياً،ثم خلع ربقة التقليد فنحا منحى السلف ، برع في الفقه والتفسير والأصول والحديث، له مصنفات كثيرة منها " فتح القدير " في التفسير و"إرشاد الفحول " في الأصول و " نيل الأوطار " في الحديث وغيرها ، ت 250 1 هـ . كحالة : معجم المؤلفين (541/3) .

[7] البقرة : 40 .

عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه ، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف ، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الرب سبحانه ...إلى أن قال : فأي معنىً لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ما أنزل الله متأخراً وتأخر ما أنزل الله متقدماً ؟"[1].

وأما المتحفظون فقد وقفوا موقفاً وسطاً بين الطرفين ، وعلى رأسهم الإمام عز الدين بن عبد السلام فقال : " المناسبة علم حسن ، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف "[2] .

وقد حظي هذا النوع من علوم القرآن باهتمام العلماء على مر العصور ، حيث أُلفت فيه مؤلفات عديدة ، منها على سبيل المثال :

1 ــ نظم الدرر في تناسب الآي والسور، لبرهان الدين البقاعي[3] المتوفى سنة 885هـ .

2 ــ أسرار ترتيب القرآن لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هـ .

أما موقف الإمام ابن عادل من هذا الأمر فجلي واضح من أنه يقول بعلم المناسبات، ويأخذ به ، فقد تعرض له كثيراً في تفسيره ، حيث ربط بين الآيات ، وبين السور بناءً على هذا العلم .

والكلام عن المناسبات في هذا الموضوع على نوعين :

الأول : في مناسبات الآيات القرآنية بعضها مع بعضها الآخر .

الثاني : في مناسبات السور القرآنية بعضها مع بعضها الآخر .

أما في مناسبات الآيات القرآنية بعضها مع بعضها الآخر فقد ذكر ابن عادل في تفسيره كثيراً من هذه المناسبات ، منها :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون)**[4] ربط بينها وبين الآية التي سبقتها،وهي قوله تعالى: **(قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم)**[5] فقال : " واعلم أنه لما بين أن أهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا ، بين أن هذا الحكم عام في الكل ، وأنه لا يحصل لأحد فضيلة إلا إذا آمن بالله واليوم

---

(1) الشوكاني : فتح القدير (1/72-73) . (2) الزركشي:البرهان(1/132-133)،السيوطي:الإتقان(2/138).

(2) هو إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي،أصله من البقاع في سورية ، سكن دمشق ، ورحل إلى بيت المقدس ، ثم استقر بالقاهرة،من شيوخه ابن حجر العسقلاني،ومن تلاميذه السيوطي،ت 85 8 هـ،البدر الطالع(1/19-22)،الأعلام (1/56) .

(4) المائدة : 59 . (5) المائدة : 68 .

الآخر ، وعمل صالحاً "(١) .

2 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعـاً وينشئ السحـــاب الثقال)**(2) ربط بينها وبين الآية التي سبقتها،وهي قوله تعالى:**(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)**(3) فقال:"لما خوف العباد بإنزال ما لا مرد له ، أتبعه بذكر هذه الآيات المشتملة على قدرة الله ــ تعالى ــ وحكمته، وهي تشبه النعم والإحسان من بعض الوجوه ، وتشبه العذاب والقهر من بعض الوجوه"(4).

3 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبـــل وأُتــوا بــه متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)**(5) شرع في بيان مناسبة هذه الآيـــة بمـــا قبلها من الآيات ، وهي قوله تعالى : **(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكـم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به مـــن الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)**(6) الدالة على وحدانية الله تعالى ، وقولـــه تعالى : **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم مـــن دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجـــارة أعدت للكافرين)**(7) الدالة على نبوة سيدنا محمد صلى الله وسلم ، فقال : "إعلم أنه ــ تعـــالى ــ لما تكلم في التوحيد والنبوة ــ تكلم بعدهما في المعاد،وبين عقاب الكافر،وثواب المطيع ، ومـــن عادة الله ــ تعالى ــ أنه إذا ذكر الوعيد ، أن يعقبه بذكر الوعد "(8) .

4 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)**....إلى قوله : **(كذلك يحيـــي الله الموتـــى ويريكم آياته لعلكم تعقلون)**(9) ذكر مناسبة هذه الآيات المتضمنة قصة أمر موسى عليه الســـلام لقومه أن يذبحوا بقرة ، وما جرى من تشدد قومه في كثرة السؤال ، بما قبلها من الآيات التـــي ذكرت نعم الله عليهم ، فقال : " في مناسبة هذه القصة لما قبلها ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه ــ تعالى ــ لما عدد النعم المتقدمة على بني إسرائيل كإنزال المن والســـلوى ، ورفع الطور،وغير ذلك،ذكر بعد هذه النعم التي بين فيهاالبريء من غيره،وذلك من أفضل النعم.

---

(1) ابن عادل : اللباب (450/7) .

(2) الرعد : 12 .

(3) الرعد : 11 .

(4) ابن عادل : اللباب (272/11) .

(5) البقرة : 25 .

(6) البقرة : 21-22 .

(7) البقرة : 23-24 .

(8) ابن عادل : اللباب(445/1) .

(9) البقرة :67-73.

الثاني: أنه ــ تعالى ــ لما حكى عنهم التشددات والتعنت كقولهم:(**أرنا الله جهرة**)[1] وقولهم: (**لن نصبر على طعام واحد**)[2] وغير ذلك من التعنت،ذكر بعد تعنتاً آخر وهو تنعتهم في صفة البقرة "

الثالث : ذكرها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه أخبر بهذه القصة من غير تعلم وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب "[3] .

وأما في مناسبات السور القرآنية بعضها مع بعضها الآخر فقد ذكر ابن عادل في تفسيره كثيراً من هذه المناسبات منها :

1 ــ عند شروعه في تفسيرسورةالذاريات ربط أولها بالسورة التي سبقتها وهي سورة ق ، بين في هذا الربط وجه المناسبة ، فقال : " قوله :(**والذاريات ذرواً**)[4] أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها، لأنه ــ تعالى ــ لما بين الحشر بدلائله ، وقال: (**ذلك حشر علينا يسير**)[5]وقال : (**وما أنت عليهم بجبار**)[6] تجبرهم على الإيمان ، إشارة إلى إصرارهم على الكفر بعد إقامة البرهان ، وتلاوة القرآن عليهم ، لم يبق إلا اليمين فقال : " **والذاريات ذرواً ...إنما توعدون لصادق** " وقال في آخرها: (**فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون**)[7] "[8] .

2 ــ عند شروعه في تفسير سورة الطور عقد فصلاً في مناسبتها لما قبلها ، قال فيه: " مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الإفتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما ، وأول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها ، لأن في آخرها قوله تعالى : (**فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون**)[9] وفي أول هذه السورة (**فويل يومئذ للمكذبين**)[10] وفي آخر تلك السورة قوله : (**فإن للذين ظلموا ذنوباً**)[11] وذلك إشارة إلى العذاب ، وقال هاهنا : (**إن عذاب ربك لواقع**)[12]"[13] .

3 ــ عند شروعه في تفسير سورة الرحمن عقد فصلاً في بيان مناسبتها لما قبلها وهي سورة القمر ، فقال : " افتتح السورة التي قبلها بذكر معجزة تدل على القهر والغلبة والجبروت ، وهو انشقاق القمر ، فمن قدر عليه قدر على قطع الجبال وإهلاك الأمم ، وافتتح هذه السورة

---

[1] البقرة : 55 .
[2] البقرة : 61 .
[3] ابن عادل : اللباب (153/2) .
[4] الذاريات : 1 .
[5] ق : 44 .
[6] ق : 45 .
[7] الذاريات : 60 .
[8] ابن عادل : اللباب (56/18) .
[9] الذاريات : 60 .
[10] الطور : 11 .
[11] الذاريات : 59 .
[12] الطور : 8 .
[13] ابن عادل : اللباب (112/18) .

بذكر معجزة تدل على الرحمة ، وهي القرآن ، وأيضاً فأولها مناسب لآخر ما قبلها ، لأن آخر تلك أنه (**مليك مقتدر**)[1] وأول هذه أنه رحمن "[2] .

وأخيراً فإن الإمام ابن عادل اهتم بهذا النوع من علوم القرآن اهتماماً كبيراً ، سواءً كان في مناسبة الآيات أو السور ، لكن اهتمامه في مناسبة الآيات كان أكثر .

---

(1) القمر : 55 .

(2) ابن عادل : اللباب (291/18) .

2 ـ النسخ في القرآن

يعتبر هذا النوع من الأنواع الهامة في علوم القرآن الكريم ، فقد بحث فيه العلماء القدامى ، واعتنوا به عناية فائقة ، وجعلوا معرفته من الأهمية بمكان ، خاصة لمن يقبل على كتاب الله تبارك وتعالى ، ويتعلم أحكامه ، ويتعاطى تفسيره ، وقرروا أنه لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا إذا ألم بهذا النوع إلماماً كبيراً ، فقد روي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لقاصٍ : " أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال: هلكت وأهلكت "[1] .

والنسخ في القرآن الكريم من المواضيع التي يرجع فيها إلى النقل والرواية ، وليس من الأمور العقلية التي تقوم على الرأي والإجتهاد والنظر والإستنباط ، ولا يكون إلا في الأمر والنهي ، أما ما عدا ذلك مثل الوعد والوعيد ، والقصص ، فلا دخل للنسخ فيه .

لقد بالغ كثير من المفسرين والمؤلفين في هذا العلم في عدد الآيات المنسوخة ، وأدخلوا فيه ما ليس منه ، بل هو من قبيل التخصيص أو التقييد أو نحو ذلك[2] بينما يرى المحققون من أهل العلم في هذا الفن بأن الآيات التي يصح أن يقال عنها بأنها منسوخة لا تتجاوز العشرين آية[3] .

وقد حظي هذا النوع من علوم القرآن الكريم بكثرة التآليف ، منها :

1 ـ الناسخ والمنسوخ لأبي منصور البغدادي[4] .

2 ـ الناسخ والمنسوخ للواحدي .

3 ـ الناسخ والمنسوخ لابن البارزي .[5]

٤ ـ الناسخ والمنسوخ لإبن حجر العسقلاني . وغيرها .

هذا وقد أنكر وقوع النسخ في القرآن الكريم قديماً بعض العلماء ، فمن القدامى أبومسلم الأصفهاني[6] وآراؤه مبثوثة في تفسير الرازي ، ومن المحدثين الشيخ عبد المتعال الجبري(7) .

---

[1] الزركشي : البرهان (158/2) ، السيوطي : الإتقان (27/2) .

[2] انظر على سبيل المثال ابن حزم،علي بن أحمد بن سعيد ، ت 56 4 هـ : الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 1406 هـ ، ت د.عبد الغفار سليمان البنداري(٨)وسيشار إليه فيما بعد هكذا : ابن حزم:الناسخ والمنسوخ،والشاطبي،إبراهيم بن موسى أبو إسحاق، ت790 هـ:الموافقات ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ شرح وتحقيق الشيخ عبد الله دراز (81/3) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الشاطبي : الموافقات .

[3] السيوطي : الإتقان (30/2)،والبغدادي،عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، ت29 4 هـ: الناسخ والمنسوخ،دار العدوي ـ عمان ـ ط 1 1407 هـ،ت د. حلمي كامل أسعد عبد الهادي(6 6)وسيشار إليه فيما بعد هكذا البغدادي:الناسخ والمنسوخ.

[4] هو الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن عبد الله البغدادي ، فقيه ، مفسر، أصولي ، نحوي ، له مصنفات عديدة منها "التفسير" و" الفَرقَ بين الفِرَق" و" الناسخ والمنسوخ" وغيرها، ت 429 هـ . الداودي : الطبقات (327/1-330) .

[5] هو هبة الله عبد الرحيم بن إبراهيم الشافعي ، برع في التفسير والفقه والحديث،له مصنفات عديدة منها "روضات الجنان في تفسير القرآن" و"ناسخ القرآن ومنسوخه" وغيرها ،ت٧٣٨هـ.الداودي : طبقات المفسرين(327/1-330).

وموقف ابن عادل من النسخ بين وواضح ، فقد اهتم به اهتماماً كبيراً ، وأولاه عناية فائقة ، يتضح ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)**[1]، حيث شرع بتعريف النسخ في اللغة والاصطلاح ، فقال : " والنسخ في اللغة هو الإزالة من غير بدل يعقبه، يقال : نسخت الريح الأثر، والشمس الظل"[2] ثم عقد فصلاً في بيان معنى النسخ في الاصطلاح ، فقال : " النسخ عبارة عن طريق شرعي يدل على إزالة الحكم الذي كان ثابتاً بطريق شرعي "[3] .

ولم يكتف ابن عادل بتعريف النسخ فقط،بل ذكرحجج منكري النسخ حيث عقد فصلا مستقلا(4)، ورد عليها في فصل آخر ، حيث فند فيه حجج وأقوال نفاة النسخ وعلى رأسهم أبو مسلم[5] .

ومع قول ابن عادل بوقوع النسخ في القرآن ، إلا أنه يرى أن الاستدلال بهذه الآية على وقوع النسخ في القرآن غير قوي ، فقال : " هذه الآية لا تدل على حصول النسخ ، بل على أنه متى حصل النسخ وجب أن يأتي بما هو خير منه ، فالأقوى أن يعول في الإثبات على قوله تعالى : **(وإذا بدلنا آية مكان آية)**(6)، وقوله : **(يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)**[7] .

وذهب ابن عادل إلى أن أنواع النسخ ثلاثة ، كما هو عند كثير من أهل العلم في هذا الفن، فقد عقد فصلاً ذكر فيه هذه الأنواع ، فقال : " تارة ينسخ الحكم ، وتارة التلاوة ، وتارة بنسخهما معاً "(8)،ثم مثل لكل نوع منها،فقال:"فأما نسخ الحكم دون التلاوة فكهذه الآيات(9) ، وأما نسخ التلاوة دون الحكم،فكما يروى عن عمر – رضي الله عنه – قال : كنا نقرأ : " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم "(10) ، وأما نسخ الحكم والتلاوة معاً،فكما

---

[6] هو الإمام محمد بن بحر الأصفهاني،المفسر المعتزلي،صنف في التفسير على مذهب المعتزلة،ت سنة 3 32هـ،الداودي : طبقات المفسرين (106/2) . (7) له كتاب في ذلك اسمه"النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه" .

[1] البقرة : 106 .

[2] ابن عادل : اللباب (366/2)وانظرابن منظور:لسان العرب(61/3)،والرازي:مختار الصحاح(321)مادة نسخ.

[3] ابن عادل : اللباب (371/2) ، والرازي : المحصول (428/3) .

(4) انظر ابن عادل: اللباب (372/2-375) .

[5] انظر ابن عادل : اللباب (375/2-377) . (6) النحل : 101 .

[7] الرعد : 39 .

(8) ابن عادل : اللباب (377/2) .

(9) أي الآيات التي ذكرها في الرد على منكري وقوع النسخ في القرآن ، والتي منها قوله تعالى : (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) الأنفال : ، حيث نسخت بقوله تعالى : (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) الأنفال : 66 . انظر ابن عادل : اللباب (377/2) .

(10) أخرجه ابن ماجه في كتاب الحدود باب الرجم رقم (2553) (853/2) ،وذكره الهيثمي:مجمع الزوائد(6/ 6) وقال : في الصحيح طرف منه، ورواه البزار وفيه أبو معشر نجيح ضعيف لا يحتج بحديثه

روت عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت:" أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات ، فنسخن بخمس معلومات"[1]،فالعشر مرفوع التلاوة والحكم،والخمس مرفوع التلاوة لا الحكم "[2].

وذهب ابن عادل إلى جواز النسخ بالأثقل،وبالأخف ، وبالمماثلة ، فقال : "إن الذي على وقوعه ــ أي الأثقل ــ أن الله ــ سبحانه ــ نسخ في حق الزناة الحبس في البيوت[3] إلى الجلد والرجم[4] ،ونسخ صوم عاشوراء بصوم رمضان ، وأما نسخه للأخف ، فكنسخ العدة من حول[5] إلى أربعة أشهر وعشرة[6]،وأما نسخ الشيء إلى المثل فتحويل القبلة[7]"[8] .

والنوع الذي ينصرف إليه الذهن عندالقول بالنسخ في القرآن هو نسخ الحكم،وذلك لأنه أكثر الأنواع حصولاً في القرآن ، وهو الذي تعددت الأقوال حوله ، ووُجِّهت الأنظار نحوه ، واختلفت الآراء فيه،وكثرت المؤلفات فيه على مر العصور، وأدرجه المفسرون في تفاسيرهم ومؤلفاتهم ، وتعرضوا له عند كل آية ورد ما يدل على وقوعه فيها ، وابن عادل واحد من أولئك المفسرين الذين أدرجوا هذا النوع في تفاسيرهم ، وتعرضوا له عند كل آية ورد القول بالنسخ فيها .

وإذا أمعنا النظر في تفسير ابن عادل نجد أن تعرضه للنسخ كان على النحو التالي :

1 ــ رد في تفسيره بعض دعاوى النسخ التي قيلت في بعض الآيات،وهذه أمثلة على ذلك:

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(يسألونك ماذا ينفقون قل ماأنفقتم من خيرفللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم)**[9] عقد فصلاً في خلاف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا ؟ذكر فيه الخلاف من أنهامنسوخة بآية المواريث،أو بالزكاة، لكنه لم يرتض هذين القولين،وذهب إلى أن الآية غير منسوخة ، وذلك لعدةوجوه ذكرها،منها أنه " يحتمل أن يريد بالإنفاق على الوالدين والأقربين مايكون باعثاً على صلة الرحم ، وفيما يصرفه لليتامى والمساكين مايخلص للصدقة،فظاهر الآية محتمل لكل هذه الوجوه من غيرنسخ "[10].

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الرضاع ، باب التحريم بخمس رضعات رقم (1452) (1075/2).

[2] ابن عادل : اللباب (377/2-380) .

[3] يدل على ذلك قوله تعالى : **(فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً)** النساء : 5 1.

[4] يدل على ذلك قول ابن عباس : " نسخها آية الرجم " البغدادي : الناسخ والمنسوخ (244) .

[5] يدل على ذلك قوله تعالى: **(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاًوصيةلأزواجهم متاعاًإلىالحول غيرإخراج)** البقرة::0 4.

[6] يدل على ذلك قوله تعالى: **(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً)** البقرة: 34 2.

[7] يدل على ذلك قوله تعالى: **(فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)** البقرة : 144 .

[8] ابن عادل : اللباب (380/2) .

[9] البقرة : 215 .

[10] ابن عادل : اللباب (523/3) ، وذهب إلى القول بعدم النسخ ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (1/34 2) ، وفي كتابه نواسخ القرآن أيضاً (7 9) .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا)**[1] قال: " قال بعضهم:هـذه الآية منسوخة بآية المائدة "[2]وذكر قول الرازي من أن"آية المائدة ناسخة لبعض مدلولات هذه الآية"[3] ، لكن ابن عادل لم يرتض هذا القول فقال : " والجواب أن هذا نهي عن قربان الصلاة حال السكر ، وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه ، إلا على سبيل الظن الضعيف ، ومثل هذا لا يكون نسخاً "[4] .

ج ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وأعرض عن الجاهلين)**[5]رد القول بأن هذه الآية منسوخة بآية السيف[6] فقال : " وأما قوله : " وأعرض عن الجاهلين " فالمقصود منه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يصبر على سوء أخلاقهم ، وأن لا يقابل أقوالهم الركيكة وأفعالهم الخسيسة بأمثالها ، وليس فيها دلالة على المنع من القتال ، لأنه لا يمتنع أن يؤمر عليه الصلاة والسلام بالإعراض عن الجاهلين مع الأمر بقتال المشركين ، فإنه لا تناقض بأن يقول الشارع : لا تقابل سفاهتهم بمثلها ولكن قاتلهم ، وإذا أمكن الجمع بين الأمرين فلا حاجة إلى التزام النسخ "[7] .

2 ـ جزم ابن عادل بنسخ بعض الآيات في بعض المواضع ،وهذه أمثلة على ذلك:

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)**[8] عقد فصلاً في نسخ التوجه إلى بيت المقدس ، ذكر فيه قولان : الأول : " المشهور أن التوجه إلى " بيت المقدس" إنما صار منسوخاً بالأمر بالتوجه إلى الكعبة "[9] أي بقوله تعالى: "فول وجهك شطر المسجد الحرام " ، والثاني : أن التوجه إلى بيت المقدس صار منسوخاً بقوله تعالى : " ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله " ثم إن ذلك صار منسوخاً بقوله : " فول وجهك شطر المسجد

---

(1) النساء : 9 .

(2) ابن عادل : اللباب (395/6) وهي قوله تعالى:**(يا أيها الذين إنما الخمروالميسروالأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)** المائدة:90 وإلى هذا ذهب ابن الجوزي في نواسخ القرآن(130) ، والكرمي في الناسخ والمنسوخ (97) .

(3) ابن عادل : اللباب (396/6) .　　(4) ابن عادل : اللباب (396/6) .

(5) الأعراف : 199 .

(6) ذهب إلى ذلك المقريء : الناسخ والمنسوخ (91) ، والكرمي : الناسخ والمنسوخ (110) ، وابن حزم : الناسخ والمنسوخ (38) ، وابن البارزي : الناسخ والمنسوخ (4 3) .

(7)ابن عادل : اللباب (432/9) ، وذهب ابن الجوزي إلى أن هذه الآية محكمة فقال : " والصحيح أنها محكمة " انظر ابن الجوزي : نواسخ القرآن (163).　　(8) البقرة : 144.

(9)ابن عادل : اللباب (33/3) .

الحرام "[1] ، وقد ذكر ابن عادل أن هذا القول يؤيد القول الأول ، فقال : " وهذا الترتيب يقتضي صحة المذهب الذي قلناه بأن التوجه إلى بيت المقدس صار منسوخاً بقوله : " فول وجهك شطر المسجد الحرام "[2] ، فالخلاف شكلي ، والكل متفق على أن الناسخ للتوجه إلى بيت المقدس هو قوله تعالى : " فول وجهك شطر المسجد الحرام " .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)**[3] عقد فصلاً في المراد بالأيام المعدودات ، ذكر فيه اختلاف العلماء في تحديد هذه الأيام على قولين ، الأول : أنها غير رمضان ، قاله معاذ وقتادة وعطاء ورواه عنه ابن عباس ، ثم ذكر خلافاً بين القائلين به ما هي هذه الأيام ؟ وهل كان صومها تطوعاً أم فرضاً ؟ ثم ذكر أنهم اتفقوا على نسخها ، فقال: " واتفقوا على أنه منسوخ برمضان "[4] ، وذكر أدلة هؤلاء التي احتجوا بها ، وهي :

أحدها : قوله صلى الله عليه وسلم : " إن صوم رمضان نسخ كل صوم "[5] فدل هذا على أن الصوم قبل رمضان كان صوماً واجباً .

ثانيها : أنه تعالى ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الآية ، ثم ذكر حكمهما أيضاً في الآية التي بعدها الدالة على صوم رمضان ، فلو كان هذا الصوم هو رمضان ، لكان ذلك تكراراً من غير فائدة ، وهذا لا يجوز .

ثالثها : قوله تعالى هنا:" وعلى الذين يطيقونه فدية " يدل على أن هذا واجب على التخيير ، إن شاء صام ، وإن شاء أعطى الفدية ، وأما صوم رمضان فواجب على التعيين ، فوجب أن يكون صوم هذه الأيام غير صوم رمضان"[6] .

أما القول الثاني : أن المراد بهذه الأيام المعدودات هو صوم رمضان ، وهو اختيار المحققين وبه قال ابن عباس والحسن ، لأنه " قال في أول الآية الكريمة : " كتب عليكم الصيام " وهذا محتمل ليوم ويومين ، وأيام ، ثم بينه بقوله : " أياماً معدودات " فزال بعض الاحتمال ، ثم بينه بقوله : " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن " فعلى هذا الترتيب يمكن أن نجعل الأيام المعدودات بعينها صوم رمضان ، وإذا أمكن ذلك فلا وجه لحمله على غيره وإثبات النسخ "[7].

وقال في آخر الفصل : " وعلى كلا القولين فلا من تطرق النسخ إلى الأيام ،أما على

---

[1] ابن عادل : اللباب (34/3) .
[2] المصدر السابق (34/3) .
[3] البقرة : 184 .
[4] ابن عادل : اللباب (255/3) .
[5] البيهقي : السنن الكبرى (262/9) وفي إسناده المسيب بن شريك وهو متروك الحديث ، وذكره الهيثمي : مجمع الزوائد (187/3) وقال : رواه الطبراني وفيه حشرج بن عبد الله لم أجد من ترجم له ، ابن عبد البر:التمهيد (18/10 1) .
[6] ابن عادل : اللباب (255/3-256) بتصرف .
[7] ابن عادل : اللباب (256/3) .

القول الأول فظاهر،وأما على الثاني : فلأن الآية تقتضي أن يكون صوم رمضان واجباً مخيراً ، والآية الكريمة التي بعدها تدل على التضييق ، فكانت ناسخة أولى "[1].

3 ــ تردد ابن عادل في القول بالنسخ في بعض الآيات ، ولم يرجح فيها القول بالنسخ أو نفيه ، ومثال ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة)**[2]ذكر إنكار أبي مسلم النسخ في هذه الآية ، وقال أيضاً : "والمشهور عند الجمهور أنه منسوخ بقوله : "ءأشفقتم " ، وقيل : منسوخ بوجوب الزكاة "[3]فهنا لم يرجح قولاً على آخر بل اكتفى بذكر الأقوال فقط .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)**[4]عقد فصلاً ذكر فيه أقوال العلماء حول النسخ في هذه الآية،قال فيه : " قال الحسن وقتادة : هذه الآية نُسِخَت بقوله تعالى: **(فاقتلوا المشركين)**[5]وقوله: **(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله)**[6]،وقال غيرهما : ليست منسوخة ، لكنها تتضمن الأمر بالصلح إذا كان الصلاح فيه، فإذا رأى مصالحتهم ، فلا يجوز أن يهادنهم سنة كاملة ، وإن كانت القوة للمشركين جاز مهادنتهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه هادن أهل مكة عسر سنين[7] ثم إنهم نقضوا العهد قبل كمال المدة "[8]،ولم يرجح هنا قولاً على آخر،وإنما اكتفى بذكر الأقوال فقط .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)**[9] قال : " قال الربيع بن أنس : هذه أول آية نزلت في القتال ، وكان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقاتل من قاتله ، ويكف عن قتال من لم يقاتله إلى أن نزل قوله تعالى : **(فاقتلوا المشركين كافة)**[10]قاتلوا،أو لم يقاتلوا[11] فصارت الآية منسوخة بها "[12] وقال أيضاً : " وقال ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد : هذه الآية محكمة غير منسوخة ، أمر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقتال المقاتلين"[13]، فذكر هنا القولين ، القول بالنسخ ، والقول بالإحكام ، ولم يرجح أحدهما على الآخر .

---

(1) ابن عادل : اللباب (256/3) .
(2) المجادلة : 12 .
(3) ابن عادل : (550/18) .
(4) الأنفال : 61 .
(5) التوبة : ٥ .
(6) التوبة : 29 .
(7) أخرجه أحمد : (325/4) .
(8) ابن عادل : اللباب (558/9) .
(9) البقرة : 190 .
(10) التوبة : 9 .
(11) الطبري : جامع البيان (189/2) .
(12) ابن عادل : اللباب (340/3) .
(13) ابن عادل : اللباب (340/3) .

3 ـ الوقف والإبتداء

يعتبرهذا النوع من أنواع علوم القرآن المهمة ، فبه يُعرف ما ينبغي ، أو يستحسن أن يوقف عليه من الآيات القرآنية ، وجملها فيوقف عليه ، وبه يعرف كذلك معرفة ما لا ينبغي أو يقبح الوقوف عليه .

وقد بين الإمام الزركشي أهمية هذا العلم وفوائده ، فقال عنه : " وهو فن جميل ، وبه يعرف كيف أداء القرآن ، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة ، واستنباطات غزيرة ، وبه تتبين معاني الآيات ، ويُؤمن الإحتراز عن الوقوع في المشكلات "[1] ، وقال عنه الإمام النكزاوي[2]: " باب الوقف عظيم القدر ، جليل الخطر ، لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل "[3] .

ولأهمية هذا العلم ومكانته ، كتب فيه المصنفون مؤلفات كثيرة ومتعددة ، عظيمة الفائدة ، منها على سبيل المثال :

1 ـ القطع والاستئناف للزجاج المتوفى سنة 311 هـ .

2 ـ إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لابن الأنباري المتوفى سنة 328 هـ.

3 ـ الإهتداء في الوقف والإبتداء للداني المتوفى سنة 444 هـ .

كان الأوائل يراعون رءوس الآيات فيقفون عندها،لأنها في القرآن كالفِقَر في النثر والقوافي في الشعر ، ويؤكد هذا ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول:الحمد لله رب العالمين،ثم يقف الرحمن الرحيم ، ثم يقف"[4].

وقد عد كثير من أهل العلم أن الوقف على رءوس الآيات سنة ، وقالوا : " الأفضل الوقوف على رءوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها ، واتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أولى ، وإن لم يتم الكلام كان الوقف اضطرارياً "(5) .

وقد تعرض ابن عادل لهذا النوع من علوم القرآن الكريم ، وتطرق إليه في مواضع كثيرة ومتعددة في تفسيره ، بين فيها الوقف والإبتداء،وما يتعلق بهما ، وهذه أمثلة من هذه المواضع :

---

[1] الزركشي : البرهان (491/1) .

[2] هو عبد الله بن محمد بن عبد الله النكزاوي ، مقرئ أهل الإسكندرية، له كتاب " الإقتضاء في معرفة الوقف والإبتداء " توفي سنة 683 هـ . الذهبي : معرفة القراء الكبار : (682/2) .

[3] السيوطي : الإتقان (110/1) .

[4] أخرجه الترمذي كتاب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب في فاتحة الكتاب رقم (927 2)(185/5) وقال الترمذي : حديث غريب .

(5) ابن الجزري : النشر (226/1) .

1 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون)**[1] قال : " قوله : " ما كان لهم الخيرة " فيه وجوه :

أحدها : أن ما نافية ، فالوقف على "يختار "[2] .

الثاني : ما مصدرية أي يختار اختيارهم، والمصدر واقع موقع المفعول ، أي مختارهم[3] .

الثالث : أن يكون بمعنى "الذي" والعائد محذوف أي ما كان لهم الخيرة فيـــه[4] كقولـــه : **(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)**[5] أي منه "[6] .

2 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسـبح لـه فيها بالغدو والآصال)**[7] قال : " واعلم أن قوله : " في بيوت " يقتضي محذوفاً فيها وذكروا فيها ستة أوجه :

أحدها : أن قوله : " في بيوت " صفة ل " مشكاة " أي كمشكاة في بيوت ، أي في بيت مـن بيوت الله .

الثاني : أنه صفة ل " مصباح " وهذا اختيار أكثر المحققين .

الثالث : أنه صفة ل " زجاجة " .

الرابع : أنه يتعلق ب " يوقد " أي يوقد في بيوت ، والبيوت هي المساجد ، قال سعيد بـــن جبير عن ابن عباس قال : إن المساجد بيوت الله في الأرض ، وهي تضيء لأهل السماء كمـــا تضيء النجوم لأهل الأرض[8] ، وعلى هذه الأقوال الأربعة لا يوقف علــــى " عليم "[9] .

الخامس : أنه متعلق بمحذوف كقوله : **(في تسع آيات)**[10] أي سبحوه في بيوت .

---

[1] القصص: 68 .

[2] هذا ما رجحه مكي بن أبي طالب فقال: " لأن كونها نافية يوجب عموم نفي جميع الأشياء في الخير والشر ، أنها حدثت بقدر الله واختياره، وليس لمخلوق فيها اختيار غير اكتسابه بقدر من الله له " مكي: مشـــكل إعـــراب القـــرآن(47/2 5) والوقف على " يختار " تام أنظر الزجاج : معاني القرآن وإعرابه (151/4-152) ، و الأشموني : أحمد بن عبـــد الكريـــم الشافعي : منار الهدى في بيان الوقف والإبتداء ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القـــاهرة ـ ١٩٣٤م (392) ، وسيشار إليه فيما بعد هكذا الأشموني : منار الهدى .

[3] أنظر أبو البقاء : التبيان (1024/2) .

(4) الطبري : جامع البيان (100/20) .

[5] الشورى : 43 .

(6) ابن عادل : اللباب (282/15) .

[7] النور : 36 .

(8) البغوي : معالم التنزيل (347/3) .

[9] الأشموني : منار الهدى (268) ، وانظر أبو حيان : البحر المحيط (47/8) .

[10] من قوله تعالى:(وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه)النمل : 2 1.

السادس : أنه متعلق ب " يسبح " أي : يسبح رجال في بيوت ، و " فيها " تكرير للتوكيد كقوله : (**ففي الجنة خالدين فيها**)[1]، وعلى هذين القولين فيوقف على " عليم "[2] .

3 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم**)[3]

قال : " قوله : " ولا يحزنك قولهم " وهاهنا تم الكلام ، واعلم أن الله لما حكى عن الكفار شبهاتهم المتقدمة ، وأجاب عنها عدلوا إلى طريق آخر ، وهو أنهم هددوه ، وخوفوه بأنهم أصحاب أموال وأتباع ، فيُسعى إلى قهرك ، وفي إبطال أمرك ، فأجاب ــ تعالى ــ عن هذا الطريق بقوله : "ولا يحزنك قولهم "[4] ، وهنا صرح ابن عادل بأن الكلام تم من ناحية اللفظ والمعنى ، وأنه غير مرتبط بما بعده ، وأن ما بعده كلام مستأنف، فقال : " ثم ابتدأ فقال : " إن العزة لله " العامة على كسر " إن " استئنافاً ، وهو مشعر بالعلية "[5] .

ولأجل أن يصان التعبير ويحفظ ، ويستقيم المعنى ، فإنه يرى أن يكون الوقف على قوله تعالى : " قولهم " فقال : " والوقف على قوله : " قولهم " ينبغي أن يُعتمد ، ويُقصد ، ثم يُبتدأ بقوله : " إن العزة " ، وإن كان من المستحيل أن يتوهم أحد أن هذا من مقولهم ، إلا من لا يُعتبر فهمه "[6] .

---

[1] من قوله تعالى : (وأما الذين سُعِدوا ففي الجنة خالدين فيها) هود : 108 .

[2] الأشموني : منار الهدى (67 2) ، وانظر أبو حيان : البحر المحيط (47/8) .

[3] يونس : 65 .

[4] ابن عادل : اللباب (368/10).

[5] المصدر السابق (369/10) .

(6) المصدر السابق (369/10) .

4 ـ أسباب النزول

يراد بسبب النزول : ما نزلت الآية الواحدة أو الآيات متحدثة عنه ، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه ، مثل أن تقع حادثة ، أو يوجه سؤال للنبي صلى الله عليه وسلم فتنزل الآية أو الآيات فيما يتصل بتلك الحادثة ، أو بجواب ذلك السؤال ، فيقال بعد ذلك في هذه الآية أو الآيات سبب نزولها كذا ...[1] .

ومعرفة سبب النزول أمرضروري لمن يقبل على كتاب الله تبارك وتعالى،دراسة وتفسيراً ، وبدونه لن يصل الدارس أو المفسر إلى معرفة دقائق تفسير كثير من الآيات التي لهاسبب نزول.

وقد بين أهميةهذا النوع من علوم القرآن كثيرمن أهل العلم،فقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: " ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية،فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"(2)،وقد بالغ بعضهم في بيان أهميته فقال:"لايمكن معرفة تفسير الآية،دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[3].

هذا ولأسباب النزول فوائد كثيرة زيادة على كونها تعين وتساعد على فهم الآية أو الآيات التي لها سبب نزول،وقد بين السيوطي هذه الفوائدفقال:"..بل له فوائد،منها:معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم،ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب،ومنها أن اللفظ قد يكون عاماًويقوم الدليل على تخصيصه..ومنها الوقوف على المعنى وإزالةالإشكال"[4] .

ومعرفة أسباب النزول أمر يتعلق بالنقل والرواية والسماع ،ولا دخل للرأي والإجتهاد فيه ، قال الواحدي : " ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على الأسباب ، وبحثوا عن علمها وجدّوا في الطلب "(5) .

وقد ألف في أسباب النزول كثيرون ، غير أن الذي طبع منها كتابان هما :

1 ـ أسباب النزول للواحدي .

2 ـ لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي .

وقد عني ابن عادل ـ كما عني غيره من المفسرين ـ بأسباب النزول ، واهتّم به اهتماماً كبيراً ، فلا يمر على آية ولها سبب نزول إلا ويتعرض لذكره ، وإذا كان لها أكثر من سبب

---

[1] أنظر الزرقاني : مناهل العرفان (89/1) .

(2) ابن تيمية : مقدمة التفسير (16) .

[3] نسب السيوطي هذه العبارة في الإتقان (38/1) للواحدي ، ولكن عبارة الواحدي في كتابه " أسباب النزول " هكذا : " إذ هي ـ يقصد أسباب النزول ـ أوفى ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية ، وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها ، وبيان نزولها " الواحدي : أسباب النزول (4) .

[4] السيوطي : الإتقان (38/1) .

(5) الواحدي : أسباب النزول (4) .

ذكرها ، فمن الآيات التي ذكر لها سبب واحد :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً فاعتزلوا النســاء في المحيض)**[1]ذكرسبباً واحداً لنزولها فقال:"عن أنس بن مالك أن اليهود والمجوس كانوايبالغون في التباعدعن المرأةحال حيضها،وأن أهل الجاهليةكانوا يقولون مثل قول اليهودوالمجوس،وكانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فراش ولم يساكنوها في بيت كفعـل اليهود والمجوس،فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك،فأنزل الله هذه الآية [2]"[3] .

2 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق)**[4] ذكر سبب نزول هذه الآيــــة فقال : " وقال عكرمة والسدي ومحمد بن إسحق : ذهب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكـر الصديق إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام ، وإلى إقام الصلاة ، وإيتــاء الزكــاة ، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً ، فدخل أبو بكر ــ ذات يوم ــ بيت مدراسهم ، فوجد كثيراً من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له : فنحاص بن عازوراء، وكان من علمائهم، ومعه حبر آخر ، يقال له : أشيع ، فقال أبو بكر لفنحاص: اتق الله وأسلم ، فوالله أنك لتعلم أن محمداً رسـول الله ، قد جاءكم بالحق من عند الله ، تجدونه مكتوباً في التوراة ، فأمن وصدّق ، وأقرض الله قرضـــاً حسناً يدخلك الجنة ، ويضاعف لك الثواب ، ويضاعف لك الثواب ، فقال فنحاص : يا أبا بكر ، تزعم أن ربنا يستقرض من أموالنا ، وما يستقرض إلا الفقير من الغني ، فإن كان ما تقول حقــاً فإن الله ــ إذن ــ فقير ونحن أغنياء ، وأنه ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنياً ما أعطانـا الربا ــ يعني في قوله : **(فيضاعفه له أضعافاً كثيرة)**[5] ــ فغضب أبو بكر ، وضــرب وجــه فنحاص ضربة شديدة ، وقال : ، والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا لضربت عنقك ، فذهـب فنحاص إلى رسول الله صلى الله علي وسلم فقال : يا محمد ، أنظر ما صنع بي صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ما حملك على صنعت ؟ قال : يا رســول الله : إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، زعم أن الله فقير وهم أغنياء ، فغضبت لله ، وضربت وجهه ، فجحد ذلك فنحاص ، فأنزل الله ــ عز وجل هذه الآية رداً على فنحاص وتصديقاً لأبي بكر [6]"[7] .

---

[1] البقرة : 222 .

[2] أخرجه مسلم في كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها رقم (02 3)(246/1)أبو داود في كتاب الطهارة باب مؤاكلة الحائض ومجامعتها رقم(258)(129/1-130). [3] ابن عادل : اللباب (66/4) الواحدي : أسباب النزول (40).

[4] آل عمران : 181 . (5) البقرة : 245 .

[6] ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن المنذر وأبي حاتم . السيوطي : الدر المنثور (96/2 3) .

[7] ابن عادل : اللباب (88/6-89) الواحدي : أسباب النزول (76) السيوطي : لباب النقول (61-62) .

3 ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً)**[1] ذكر سبب نزولها، فقال : " قوله : " ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده " نزلت في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنكحن عائشة "[2][3] .

ومن الآيات التي ذكر في نزولها أكثر من سبب :

1 ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد)**[4] عقد فصلاً في سبب نزولها ، فقال : " في سبب نزولها أكثر من وجه :

الأول : قال ابن إسحاق ـــ ورواه سعيد بن جبير ، وعكرمة عن ابن عباس ـــ لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً ببدر ، ورجع إلى المدينة ، جمع اليهود في سوق بني قينقاع ، وقال : يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش يوم بدر ، فأسلِموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم ، فقد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم ، فقالوا : يا محمد ، لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً ـــ لا علم لهم بالحرب ـــ فأصبت منهم فرصة ، وإنا ـــ والله ـــ لو قتلناك لعرفت أنا نحن الناس ، فأنزل الله " قل للذين كفروا "[5] .

الثاني : قال الكلبي عن ابن عباس ـــ أيضاً ـــ لما شاهدوا هزيمة المشركين في بدر ـــ قالوا : والله هذا لهو النبي الأمي الذي بشرنا به موسى ، وفي التوراة نعته ، وأنه لا يُرد عليه رأيه ، وأرادوا اتباعه ، ثم قال بعضهم لبعض : لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة له أخرى ، فلما كان يوم أحد ، ونُكِب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ، وقالوا : ليس هو ذلك ، فغلب عليهم الشقاء فلم يُسلموا ، وقد كان بينهم وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة ، فنقضوا ذلك العهد ، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً ، إلى مكة يستنفرهم ، فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله هذه الآية "[6][7] .

2 ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(الله لا إله إلا هو الحي القيوم)**[8] عقد فصلاً في بيان سبب نزول هذه الآية فقال : " في سبب نزول هذه الآية قولان :

---

[1] الأحزاب : 53 .

[2] أخرجه البيهقي : السنن الكبرى (3/96-97) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وعبد الرزاق . السيوطي : الدر المنثور : (6/463) .

[3] ابن عادل : اللباب (15/583) ، وانظر الواحدي : أسباب النزول (206) والسيوطي : لباب النقول (179) .

[4] آل عمران : 12 .

[5] أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والفيء والإمارة باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة رقم (3 001) (3/267) .

[6] ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى عبد الرزاق . السيوطي : الدر المنثور (2/63 5) .

[7] ابن عادل : اللباب (5/56) ، وانظر الواحدي : أسباب النزول (53-54) ، والسيوطي : لباب النقول (51) .

[8] آل عمران : 2.

الأول :أنها نزلت في اليهود ، وقد ذكرناه في تفسير قوله تعالى : **(ألم~ ذلك الكتاب)**[1]"[2].
الثاني : أنها من أولها إلى آية المباهلة في نصارى نجران[3]"[4] .

3 ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلـــون)**[5]
ذكر ثلاثة أسباب في نزولها :

الأول : " قال ابن عباس : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى بنـــي العنـبر، وأمَّر عليهم عيينة بن حصن الفزاري ، فلما علموا هربوا وتركوا عيالهم ، فسباهم عيينة ، وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري ، فقدموا وقـت الظهيرة ، ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً في أهله ، فلما رأتهم الذراري أجهشـــوا إلى آبائهم يبكون ، وكان لكل امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم حجـــرة ، فعجلـــوا أن يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،فجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا،حتى أيقظوه من نومه فخرج إليهم ، فقالوا: يا محمد فادنا عيالنا ، فنزل جبريل عليه السلام فقال : إن الله يـأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلاً،فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:أترضون أن يكون بينـــي وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم ؟ فقالوا:نعم، فقال سبرة : أنا لا أحكم وعمِّـــي شـــاهد ، وهو الأعور بن شامة، فرضوا به، فقال الأعور:أرى أن تفادي نصفهم ،وأعتق نصفهم ، فـأنزل الله:" **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثره لا يعقلون** "وصفهم بالجهل وقلة العلم[6]"[7] .

الثاني : " قال قتادة: نزلت في من أعراب بني تميم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنادوا على الباب: أُخرج إلينا يا محمد،فإن مدحنا زين،وذمنا شين ، فخرج النبي صلى الله عليـه وسلم وهو يقول:إنما ذلك الله الذي مدحه زين وذمه شين ، فقالوا : نحن ناس من بني تميم جئنـا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:ما بالشعر بعثت ، ولا

---

[1] البقرة : 1 .

[2] ذكر ابن عادل عند تفسيره لهذه الآية سبباً ضعيفاً ، بل موضوعاً نقله عن ابن كثير ، وملخصه ما حصل من أمر أبـي ياسر وأخيه حيي بن أخطب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عندما سألاه عن ألم ، وأنهما حسب أجل هذه الأمة إلـى غير ذلك ، ومع ذكر ابن كثير لهذه القصة فإنه صرح بأن مدار هذا الحديث عن محمد بن السائب الكلبي وهـــو ممـن لا يحتج به. انظر ابن عادل : اللباب (1/59 2) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (1/39) .

[3] واقعة المباهلة التي طرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل نجران لما قدموا المدينة،فرفضوا ذلك لأنهم أيقنوا بالهلاك إن حصلت ، وحديث المباهلة أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب قصـــة أهـل نجـران رقـم (119 4) (4/1592) وانظر السيوطي:لباب النقول (51) الواحدي:أسباب النزول(53). (4) ابن عادل : اللباب (5/ 10)

[5] الحجرات : 4 .

[6] هذا السبب ذكر البخاري مقطع منه في كتاب المغازي باب وفد بني تميم رقم (107 4) (4/1587) .

(7) ابن عادل : اللباب (17/528) ، وانظر البغوي : معالم التنزيل (4/211) .

بالفخر أمرت ، ولكن هاتوا ، فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس ــ وكان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ــ قم فأجبه ، فأجابه ، وقام شاعرهم فذكر أبياتاً،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : أجبه ، فأجابه،فقام الأقرع بن حابس فقال:إن محمداً المؤتى له،تكلم خطيبنا،فكان خطيبهم أحسن قولاً ، وتكلم شاعرنا ، فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولاً ، ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يضرك ما كان من قبل هذا،ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم،وقد تخلف في ركابهم عمرو بن الأهتم لحداثة سنه،فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاهم،فأزرى به بعضهم وارتفعت الأصوات،وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل فيهم : **(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ...)** الآيات الأربع إلى قوله : **(غفور رحيم)**"[1] (2).

الثالث : قال زيد بن أرقم[3] جاء ناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى هذا لرجل ، فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس به ، وإن يكن ملكاً نعيش في جناحه ، فجاءوا فجعلوا ينادون من وراء الحجرات : يا محمد يا محمد ، فأنزل الله : " إن الذين ينادونك " الأية "[4](5) .

هذا ومع ذكر ابن عادل أكثر من سبب للآية الواحدة ، إلا أنه لا يرجح أحدها على الآخر ، فكان يكتفي بذكر الأسباب فقط ، ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : **(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)**(6) ذكر في نزولها أكثر من سبب :

الأول : قال : " روى عطاء قال : استشهد سعد بن الربيع النقيب،وترك ابنتين وامرأة أخاً ، فأخذ الأخ المال كله ، فأتت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد ، وإن سعداً قُتل ، وإن عمهما أخذ مالهما ، فقال عليه السلام : " ارجعي فلعل الله سيقضي فيه ، ثم إنها عادت إليه بعد مدة وبكت ، فأنزل الله هذه الآية ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمهما وقال له : " أعط ابنتي سعد الثلثان ،وأمهما الثمن وما بقي لك"[7]

---

[1] أخرجه أحمد (488/3) ، وأخرج الترمذي مقطع منه في كتاب التفسير رقم (267 3) وقال : هذا حديث غريب ، وانظر الواحدي : أسباب النزول (219-22 2) . (2) ابن عادل : (529-528/17) .

[3] هو زيد بن أرقم بن زيد الأنصاري الخزرجي،الصحابي الجليل،غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة ، ت سنة66هـ . ابن حجر : تهذيب التهذيب (6 58/1) .

[4] ذكره الهيثمي : مجمع الزوائد (108/7) وقال : رواه الطبراني وفيه داود بن راشد وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين وبقية رجاله رجال الصحيح . وانظر الواحدي : أسباب النزول (19 2) والسيوطي : لباب النقول (195-196) .

(5) ابن عادل : اللباب (529/17) . (6) النساء : 11 .

[7] أخرجه أحمد (352/3) ابن ماجه في كتاب الفرائض باب الحث على تعليم الفرائض رقم (2719)(908/2) أبو داود =

فهذا أول ميراث قسم في الإسلام[1] .

الثاني : " وقال مقاتل والكلبي : نزلت في أم كُجَّة امرأة أوس بن ثابت وبناته "[1](2) .

الثالث : : " روى جابر قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض لا أعقل ، فصب عليَّ من وضوئه ، فقلت يا رسول الله : لمن الميراث ؟ وإنما يرثني كلالة ، فنزلت الآية[3] "(4) ، فهنا لم يرجح رواية على أخرى .

ومما يؤخذ على ابن عادل أنه كان يورد أسباب النزول الواهية، بل أورد ما عده أهل العلم من الموضوعات ، والتي كان في غنى عنها ، وهذه أمثلة على ذلك :

1 ـ عند تفسيره لقوله تعالى: **(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)**(5) ذكر في نزولها أكثر من سبب ، منها : " قال ابن عباس ـ : والسدي قوله تعالى : **(والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)** أراد به علي بن أبي طالب مر به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه (6) "(7) .

2 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الشاكرين)**(8) ذكر أن " المشهور في سبب نزول هذه الآية : ما روى أبو أمامة قال : جاء ثعلبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ويحك يا ثعلبة ، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه " ثم أتاه بعد ذلك ، فقال : " أما لك في رسول الله أسوة حسنة ؟ والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً أو فضة لسارت " ثم ذكر الحديث بطوله[9]"(10) .

= كتاب الفرائض باب ما جاء في ميراث الصلب رقم (1892)(213/3) الترمذي في كتاب الفرائض باب ما جاء في ميراث البنات رقم(2092)(414/4) قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

[1] ابن عادل : اللباب (207/6) .

[2] ذكره السيوطي : الدر المنثور (439/2) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر ، وانظر السيوطي: لباب النقول (65).

(3) ابن عادل : اللباب (207/6) .

[4] أخرجه البخاري (82/1) كتاب الوضوء، باب صبِّ النبي صلى الله عليه وسلم وضوءه على المغمى عليه رقم(191) ، مسلم (1235/3) كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلالة رقم (1616) ، وانظر : الواحدي : أسباب النزول (83) .

(5) ابن عادل : اللباب (207/6) . (6) المائدة : 55 .

[7] قال ابن تيمية عن هذا الحديث:" إنه موضوع باتفاق العلماء " انظر ابن تيمية : مقدمة التفسير (36) وقال ابن كثير عن روايات هذا الحديث:"وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها"انظر ابن كثير:تفسير القرآن (72/2) .

[8] ابن عادل : اللباب (397/7) . (9) التوبة : 75 .

[10] ذكره الحافظ العراقي في " تخريج الإحياء " أن سنده ضعيف انظر الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (135/3) وسيشار إليه فيما بعد هكذا " الغزالي : إحياء علوم الدين " ، وقال عنه ابن حجر :إسناده ضعيف جداً ، وانظر ابن حجر : الكافي الشاف (132) . (11) ابن عادل : اللباب (149/10-150) .

5 ـ المكي والمدني

استمر نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين عاماً، منه ما أنزل عليه بمكة ، ومنه ما أنزل عليه بالمدينة ، وقد ذكر أهل العلم تعريفات كثيرة للمكي والمدني ، أدقها ما عرفه الزركشي : " أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة ، والمدني ما كان بعد الهجرة ، وإن كان بمكة "[1] .

ومعرفة السور أو الآيات بأنها مكية أو مدنية أمر يرجع إلى المنقول عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فهم الذين شاهدوا نزوله على رسول الله صلى الله عليهم ، في حله وترحاله ، وكانت الآيات كثيراً ما تنزل بسببهم ، أو بسبب أحدهم ، ولم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه حدد المكي أ والمدني .

كانت أهم الموضوعات التي تناولتها السور المكية إثبات العقائد،والرد على المشركين، وفي قصص الأنبياءوالمرسلين،وأخبار ومصيرالأمم والأقوام الغابرةالتي أعرضت عن نهج الله تبارك وتعالى ، أما السور المدنية فإنها تناولت الأحكام الشرعية التي تعالج مشاكل المجتمع الإسلامي ، وتضمنت الرد على اليهود والنصارى،وذكر المنافقين،والحث على الجهاد والقتال في سبيل الله .

إن أهم ما يميز الآيات والسور المكية عن السور والآيات المدنية عدة أمور ، منها :

1 ـ النداء ب " يا أيها الذين آمنوا " أينما يقع ، وحيثما ورد يدل على المدني ، والنداء ب " يا أيها الناس " أغلبه يقع في المكي[2] .

2 ـ كلمة " كلا " لاترد إلا في الآيات والسور المكية .

3 ـ كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فهو مكي ، وكل ما كان من الفرائض فإنما نزل بمكة[3] .

وهذا النوع من علوم القرآن له أهميته وفوائد الكثيرة ، والتي منها " معرفة الناسخ والمنسوخ "[4] الذي لا غنى عنه لمن يقدم على تفسير كتاب الله تبارك وتعالى .

لقد اهتم الإمام ابن عادل بهذا النوع من علوم القرآن في تفسيره اهتماماً كبيراً ، يدل عليه ما يلي :

---

[1] الزركشي : البرهان (274/1) ، وانظر السيوطي : الإتقان (11/1-12) .

[2] مثل قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة : 1 2،سورة البقرة مدنية.

[3] السيوطي : الإتقان (23/1) .

(4) الزركشي:البرهان(273/1) وانظر السيوطي:الإتقان(22/1) .

1 ــ قبل البدء بتفسير السورة يبين هل هي مكية [1] أو مدنية [2]؟ أو إذا كان معظمها مكي وبعضها مدني[3] .

2 ــ كان يعرض أقوال العلماء في تحديد مكية السورة أو مدنيتها ، ثم يرجح ما ثبت له بالدليل في ذلك التحديد ، ومثال ذلك عند تفسيره لسورة الرحمن ذكر ثلاثة أقوال في ذلك فقال :

أ ــ " مكية كلها في قول الحسن ، وعروة بن الزبير[4] وعكرمة وعطاء وجابر[5] .

ب ــ وقال ابن عباس : إلا آية منها[6]، وهي قوله تعالى : **(يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن)**[7].

ج ــ وقال ابن مسعود ومقاتل : هي مدنية كلها[8] "[9]

ويرى ابن عادل أن أصح هذه الأقوال هو القول الأول ، فيقول: " والأول أصح ، لما روى عروة بن الزبير ، قال :" أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود[10] ، وذلك أن الصحابة قالوا : ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط ، فمن رجل يسمعهموه؟ ، فقال ابن مسعود : أنا ، فقالوا : نخشى عليك ، وإنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه فأبى ، ثم قام عند المقام ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، الرحمن علم القرآن ، ثم تمادى بها

---

[1] مثال ذلك : ما بينه قبل البدء بتفسير سورة الأنعام ، فقد قال : " نزلت ب " مكة " المشرفة جملةً ليلاً ، معها سبعون ألف ملك ، قد سدوا الخافقين لهم ، وهللو بالتسبيح ، والتحميد،والتمجيد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم " " سبحان ربي العظيم وبحمده الكريم " وخرَّ ساجداً "،ابن عادل : اللباب(8/ 3)،ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبد الله بن عرس عن أحمدبن محمدبن أبي بكرالسالمي ولم أعرفهما،وبقيةرجاله ثقات (0/7 2).

[2] مثال ذلك:ما بينه قبل البدء بتفسير سورة الحشر، فقد قال: " مدنية في قول الجميع " ، ابن عادل : اللباب (562/18).

[3] مثال ذلك : ما بينه قبل البد بتفسير سورة الحج ، فقد قال : " مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة ، وهي قولهُ : " هذان خصمان " إلى قوله : " وهدوا إلى صراط الحميد " ، ابن عادل : اللباب (14/ 3) .

[4] هو عروة بن الزبير بن العوام ، روى عن أبيه وأخيه عبد الله ،و أمه أسماء بنت أبي بكر ، وخالته أم المؤمنين عائشة ، وعلي بن أبي طالب وغيرهم ، وعنه الزهري وأبو الزناد وعطاء بن أبي رباح ، وعراك بن مالك وغيرهم ، ت 99سنة هـ . تهذيب التهذيب (3/92-95) .

[5] هو جابر بن عبد الله بن حرام الخزرجي ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي وعمر بن الخطاب وعلي وعمار بن ياسر وغيره ، وعنه سعيد بن المسيب ومحمود بن لبيد وعمرو بن دينار وغيرهم ، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ، ت سنة ٧٧ هـ . تهذيب التهذيب (1/281-82 2) .

[6] أنظر السيوطي : الدر المنثور (7//689) ، والماوردي : النكت والعيون : (5/422) .

[7] الرحمن : 29 .

[8] أنظر السيوطي : الدر المنثور : (7/689) ، والماوردي : النكت والعيون : (5/422) .

[9] ابن عادل : اللباب (18/290) .

[10] انظر الهيثمي : مجمع الزوائد (5/271) بلفظ : أول من أفشى القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني ، وإسناده منقطع .

رافعاً صوته ، وقريش في أنديتها ، فتأملوا ، وقالوا : ما يقول ابن أم عبد ؟ قالوا : هو يقول:الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه ، ثم ضربوه حتى أثروا في وجهه "(1) .

3 ـ ضعف ابن عادل بسبب المكي والمدني بعض أسباب النزول ، فعند تفسيره لقوله تعالى : **(كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب)**(2) ذكر أن هذه " الآية مدنية نزلت في صلح في الحديبية وذلك أن سهيل بن عمرو والمشركين لما جاءوا واتفقوا على أن يكتبوا الصلح ، فقال رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لعلي : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قالوا : لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة ـ يعنون مسيلمة الكذاب ـ لكتب كما كنت تكتب : باسمك اللهم(3)فهذا معنى قوله: " وهم يكفرون بالرحمن "(4) .

لكن ابن عادل ضعَّف هذا السبب ، وردَّه ، وبيَّن أن الآية مكية ، فقال : " والمعروف أن الآية مكية ، وسبب نزولها : أن أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في الحجر يا ألله يا رحمن ، فرجع إلى المشركين ، وقال إن محمداً يدعو إلهين : يدعو الله ويدعو إلها آخر يسمى الرحمن،ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة،فنزلت هذه الآية ، ونزل قوله تعالى : **(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى)**(5)"(6) "(7) .

وتضعيف ابن عادل لهذا السبب ليس صحيحاً لأن السبب الذي رجحه ضعيف ، فقد رُوي مرسلاً عن سعيد بن جبير(8) ، والمرسل لا تقوم به حجة عند غالبية أهل العلم .

4 ـ خصص ابن عادل العام بسبب المكي والمدني ، فعند تفسيره لقوله تعالى : **(قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهلَّ لغير الله به)**(9) ذكر أن المحرم في مكة من الطعام كان ما ذكرته الآية الكريمة ، فقال :" هذه الآية مكية ،ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت محرم غير هذه الأشياء ، ثم نزلت سورة المائدة في " المدينة " وزيد في المحرمات ، كالمنخنقة والموقوذة والمتردية

---

(1) ابن عادل : اللباب (290/18) ، وانظر ابن هشام :السيرة النبوية : (302/1-303) .

(2) الرعد : 30 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب الشروط باب الشروط في الجهادرقم (2581) (975/2)مسلم في كتاب الجهاد باب لا يقتل قرشي صبراًرقم(1784) (1411/3) الواحدي:أسباب النزول(157). (4) ابن عادل : اللباب (304/11) .

(5) الإسراء : 110 .

(6) أبو داود : المراسيل ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط 1 1408هـ تحقيق شعيب الأرناؤوط (89) وسيشار إليه فيما بعد هكذا أبو داود : المراسيل . وانظر أسباب النزول:الواحدي(70 1) السيوطي : الدر المنثور(29/1) وعزاه إلى مراسيل أبي داود عن سعيد بن جبير .

(7) ابن عادل : اللباب (304/11)

(8) أبو داود : المراسيل (89) .

(9) الأنعام : 145.

والنطيحة[1]، والخمر[2] ، وغير ذلك ، وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أكل كل ذي ناب من السباع ، ومخلب من الطير[3] "[4] .

5 ـــ ذهب ابن عادل إلى نسخ بعض الآيات بناءً على المكي والمدني ، فعند تفسيره لقوله تعالى : **(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)**[5] ذكر أن سبب نزول هذه الآية والآيتين اللتين تليها هو " أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة وقد مثلوا به ، قال: " والله لأُمَثِّلَنَّ بسبعين منهم مكانك " فنزل جبريل ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ بخواتيم النحل ، فكفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسك عما أراد[6] ، وعلى هذا قالوا : سورة النحل مكية إلا هذه الثلاث[7] ، ثم ذكر أن هذه الآية منسوخة بآية السيف ، فقال : " إن هذا كان قبل الأمر بالسيف والجهاد ، حين كان المسلمون لا يبدأون بالقتال ، ولا يقاتلون إلا من قاتلهم ، ويدل عليه تعالى : **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم)**[8] ، وفي هذه الآية أُمروا أن يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ، ولا يزيدوا ، فلما أعز الله الإسلام وأهله ، نزلت سورة براءة ، وأمروا بالجهاد ، ونُسخت هذه الآية ،قاله ابن عباس والضحاك "[9] . ٥٩٤٤٨٥

6 ـــ رد ابن عادل أقوال بعض العلماء في تحديد المكي والمدني ، وذلك لمخالفة هؤلاء ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعند تفسيره سورة الفاتحة ذكر قول مجاهد في تحديد هذه السورة ، فقال : " وقال مجاهد : " فاتحة الكتاب أنزلت بالمدينة "[10] ، وقد رد ابن عادل قول مجاهد بما صح عن رسول الله صلى الله عليه ، فقال : " وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها أول ما نزل من القرآن ، وأنها السبع المثاني ، ولا يمكن القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب "[11] .

---

(1) وذلك من قوله تعالى:(عليكم الميتة والدم ولحم الخنزيروماأهل لغيرالله به والمنخنقةوالموقوذةوالمتردية)المائدة: 3

(2) وذلك من قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) المائدة : 9 0 .

(3) أخرجه مسلم في كتاب الصيد ، باب تحريم كل ذي ناب رقم (934 1) (1534/3)

(4) ابن عادل : اللباب (484/8) .

(5) النحل : 126 .

(6) سبق تخريجه .

(7) ابن عادل : اللباب : (١٨٨/١٢) .

(8) البقرة : 190 .

(9) ابن عادل : اللباب (188/12) .

(10) ابن عادل : اللباب (160/1) .

(11) المرجع السابق (160/1) .

6 ــ المشكل

المشكل : " ما يوهم التعارض بين الآيات "[1] ، وكثيراً ما يقع للمبتدئ في تلاوة كتاب الله تبارك وتعالى ما يوهم الاختلاف والتعارض بين آياته الكريمات ، والحقيقة غير ذلك ، والتعارض إنما يكون في ذهن القارئ ، لذلك احتاج الأمر لإزالة هذا الإشكال الحاصل لدى كثير من الناس .

وأول من انبرى لإزالة هذا الإشكال ترجمان القرآن ابن عباس ، فقد جاء إليه رجل فقال له :" إني أجد أشياء تختلف عليَّ ، قال تعالى : **(فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)**[2] ، **(وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)**[3] ، **(ولا يكتمون الله حديثا)**[4] ، **(والله ربنا ما كنا مشركين)**[5] فقد كتموا في هذه الآية ، وقال تعالى : **(أم السماء بناها ــ إلى قوله ــ دحاها)**[6] فذكر خلق السماوات قبل خلق الأرض ، ثم قال : **(أئنكم لتكفرون بالذي خلق السماوات والأرض في يومين ــ إلى قوله ــ طائعين)**[7] فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء ، وقال تعالى : **(وكان الله غفوراً رحيماً)**[8] **(عزيزاً حكيماً)**[9] **(سميعاً بصيراً)**[10] فكان ثم مضى ، فقال ــ أي ابن عباس ــ : **(فلا أنساب بينهم)**[11] في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض إلا ما شاء الله فلا أنساب بينهم ثم ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الآخرة **(وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)**[12] وأما قوله : **(ما كنا مشركين)**[13] ــ **(ولا يكتمون الله)**[14] فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون : تعالوا نقول لم نكن مشركين ، فخُتِمَ على أفواههم فتنطق أيديهم ، فعند ذلك عُرِفَ أن الله لا يُكْتَمُ حديثاً ، وعنده **(يود الذين كفروا)**[15] الآية ، وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض ، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى : **(دحاها)**[16] وقوله : **(خلق الأرض في يومين)**[17] فجُعِلَت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخُلِقَت السماوات في

---

[1] السيوطي : الإتقان (35/2) .

[2] المؤمنون : 101 .

[3] الصافات : 27 .

[4] النساء : 42 .

[5] الأنعام : 23 .

[6] النازعات : 27-30.

[7] فصلت : 9-11 .

[8] النساء : 96 .

[9] الفتح : 7 .

[10] النساء : 134 .

[11] المؤمنون : 101 .

[12] الصافات : 27 .

[13] الأنعام : 23 .

[14] النساء : 42 .

[15] النساء : 42 .

[16] النازعات : 30 .

[17] فصلت : ٩ .

يومين ، (وكان الله غفوراً)[1] سمّى نفسه ذلك ، وذلك قوله ، أي لم يزل كذلك ، فإن الله لم يُـرِد شيئاً إلاّ أصاب به الذي أراد ، فلا يختلف عليك القرآن ، فإن كلاً من عند الله "[2] ، فقـد أزال ابن عباس هذا الإشكال الذي حصل عند هذا الرجل .

وقد انبرى السلف الصالح ومن جاء بعدهم لإزالة الإشكال ــ الحاصل في أذهان النـاس ــ حيث أولوه عناية خاصة ، وألفوا في ذلك المؤلفات منها :

1 ــ الرد على الملحدين في متشابه القرآن لقطرب[3] .

2 ــ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة[4]

والمشكل في القرآن على ثلاثة أنواع :

الأول : مشكل الإعراب .

الثاني : مشكل الصفات .

الثالث : مشكل المعاني .

لقد تعرض ابن عادل لهذه الأنواع الثلاثة في تفسيره ، أما الأول فقد ذكرناه فـي "الاتجـاه اللغوي والنحوي والبلاغي" [5]وأما الثاني فقد ذكرناه في "منهجه في التفسير العقدي"(6) ، وأمـا الثالث فهو الذي نحن بصدده ، حيث تعرض له في مواضع كثيرة في تفسيره منها :

١ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً** ...إلى قوله تعالى **وسلام عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يبعث حياً)**[7] ذكـر أن قصـة يحيى في سورتي مريم وآل عمران ، جاءت بأسلوب يختلف عن الآخر ، وقد جمع بين المعاني في الآيات ، فأزال الإشكال الحاصل من اختلاف الأسلوب ، على النحو التالي :

أ ــ بالنسبة لعدم بيان الوقت في سورة مريم ، وبيانه فـي سـورة آل عمـران(8) ، أزال الإشكال بقوله : إن الله تعالى بيَّن في هذه السورة ــ مريم ــ أنه دعا ربه ، وبيَّنه في آل عمران بقوله : **(كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً)**[9] إلى أن قال : **(هنالك دعا زكريـا**

---

[1] النساء : 96 .

[2] أخرجه بطوله البخاري في كتاب التفسير ، باب تفسير حم السجدة رقم (537 4) (1815/4-1816) .

[3] هو محمد بن المستنير أبو محمد النحوي اللغوي البصري ، تتلمذ على سيبويه ، له مصنفات منها معاني القرآن، الـرد على الملحدين في متشابه القرآن ، ت 06 2 هـ . الأدنروي : طبقات المفسرين (8 2) .

[4] هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،النحوي اللغوي ، كان رأساً في اللغة والعربية له مصنفات كثيرة منـها إعراب القرآن ، معاني القرآن ، مشكل القرآن وغيرها، ت276 هـ. الداودي:طبقات المفسرين(245/2).

[5] أنظر صفحة (130) .　　(6) أنظر صفحة (107) .

[7] مريم : 7-15 .　　(8) قوله تعالى : (هنالك دعا زكريا ربه) آل عمران: 8 3 .

[9] آل عمران : 3 7 .

ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء)[1] والمعنى أن زكريـــا ـــ عليــه السلام ـــ لما رأى خرق العادة في حق مريم ، طمع في حق نفسه فدعا ربه "[2]

ب ـــ بالنسبة لذكر نفسه أولاً في سورة مريم ثم عقر امرأته ثانياً ، وتقديم عقر امرأته أولاً ثم نفسه ثانياً في سورة آل عمران[3]،أزال الإشكال بقوله : " أن الواو لا تقتضي الترتيب "(4) .

ت ـــ بالنسبة لذكر الليالي في سورة مريم ، وذكر الأيام في سورة آل عمـــــران[5] ، أزال الإشكال بقوله : " إنه دلت الآيتان على المراد ثلاثة أيام بلياليهن "(6) .

٢ ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين)[7]عقد فصلاً في إشكال وصف العصا بأوصاف متعددة ، قال فيه:"إنه وصفها هنا بكونها ثعباناًوهو العظيم الهائل الخلق وفي موضع آخر يقول :(كأنها جان)(8) ، والجان من الحيات الخفيف الضئيـــل الخلـــق فكيـــف الجمع بين هاتين الصفتين ؟"[9] .

أجاب على هذا السؤال ، وأزال هذا الإشكال بما نقله عن الزمخشري ، فقال : " وقد أجــاب الزمخشري في غير هذا المكان[10]بجوابين :

أحدهما:أنه يجمع بين الشيئين:أي كبر الجثة كالثعبان، وبين الحركة وسرعة المشي كالجان.

والثاني:أنها في ابتداء أمرها تكون كالجان،ثم يتعاظم ويتزايد خلقها إلى أن تصير ثعباناً"[11].

3 ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : (إذ قال موسى لقومه إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون)[12]ذكر أن في هذه الآية إشكالاً فقـــال : " قـــال هاهنـــا : "سآتيكم منها بخبر" ، وفي موضع آخر :(لعلي آتيكم منها بخبر)(13) وهمـــا كالمتدافعيـــن ، لأن أحدهما ترجٍ والآخر تيقن "[14] .

وقد أزال هذا الإشكال بقوله: " قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه :سأفعل كذا ، وسيكون كـذا مع تجويز الخيبة "(15) .

---

[1] آل عمران : 38 .

[2] ابن عادل : اللباب (30/13) .

[3] قوله تعالى:(وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر)آل عمران:0 4 . (4) ابن عدل: اللباب (13/30) .

[5] قوله تعالى:(ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً)آل عمران:٤١. (6) ابن عادل : اللباب (13/30) .

[7] الأعراف : 10 . (8) النمل : 10 .

[9] ابن عادل : اللباب (250/9) .

[10] كان الجواب عند تفسيره لقوله تعالى : (فألقاها فإذا هي حية تسعى) طه : 0 2 .

[11] ابن عادل : اللباب (250/9) ، الكشاف (534/2) ، وانظر العمري : تيجان البيان (173) .

[12] النمل : 7 . (13) القصص : 9 2 .

[14] ابن عادل : اللباب (111/15) . (15) السابق نفسه(111/15) وانظر الزمخشري:الكشاف(137/3) .

الباب الرابع

مكانة ابن عادل في التفسير وأثره في المفسرين

ويشتمل على فصلين

الفصل الأول : مكانة ابن عادل في التفسير

الفصل الثاني : القيمة العلمية لتفسير ابن عادل

الفصل الأول

مكانة أبي حفص في التفسير

المبحث الأول

مناقشة ابن عادل لكبار المفسرين

لم يكن الإمام ابن عادل مجرد ناقل لأقوال الذين سبقوه ، أو شارحاً لها ، بل مفسراً متمكناً من العلوم التي أهلته لأن يكون أهلاً لتفسير كتاب الله تبارك وتعالى ، معتداً بنفسه ، واثقا منها ، له آراؤه الخاصة به ، واجتهاداته التي لا يقلد فيها أحداً .

ناقش الإمام ابن عادل في تفسيره كثيراً من المفسرين في مواضيع متعددة، وقضايا كثيرة ، فبعد أن يورد قول المفسر كان يتعقبه ، ويعلق عليه، دون أن يعنف عليه ، أو يطعن في شخصه وهذا نهج السلف الصالح في احترام العلم وأهله ، إلا المبتدعة فقد بينوا زيفهم وضلالهم .

ولو تتبعنا مناقشات ابن عادل للمفسرين في تفسيره لطال البحث ، وتوسعت مباحثه ، وتشعبت مسائله ، لكننا سنقتصر على مناقشته لكبار المفسرين الذين أكثر من ذكر أقوالهم، وتعرض لها توضيحاً ، وبين الموضع الذي يستحق المناقشة .

1 ـ مناقشته للإمام الزمخشري :

يعد تفسير الكشاف للزمخشري من التفسير بالرأي المذموم ، لكنه إمام في البيان والبلاغة واللغة ، فكل مفسر يقدم على تفسير كتاب الله تعالى لا بد وأن يرجع إليه في هذه المواضيع ، وابن عادل من جملة المفسرين الذين رجعوا إلى تفسير الكشاف ، لكنه مع رجوعه إليه لم يسلم له في كل شيء ، فناقشه في مواضع عديدة ، بين فيها مجانبة صاحبه للحق والصواب .

هذا وقد تنوعت مناقشات ابن عادل للزمخشري، فشملت مواضيع متنوعة وقضايا متعددة ، ومجالات كثيرة ، هذه نماذج منها :

1 ـ في مجال العقيدة :

يعد الزمخشري من أئمة المعتزلة الكبار،فقد كان يتباهى بأنه معتزلي، وهو في تناوله لكثير من القضايا العقدية يؤول النص القرآني ليوافق مذهبه الباطل،مخالفاً بذلك ما عليه أهل السنة والجماعة،ومخالفاً أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم،ومن الأمثلة على ذلك ما يلي : أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : (**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**)[1] بين بطلان تخريجه لقوله تعالى " ناظرة " بمعنى منتظرة ، وتقديره : وجوه منتظرة نعمة ربها ، وهو فرار من إثبات النظر إلى الله تعالى على معتقدهم ، ثم عنف على الإمام الزمخشري لقوله بذلك فقال : " وتمحل

---

[1] القيامة : 22-23 .

الزمخشري لمذهب المعتزلة بطريق آخر من جهة الصناعة ، فقال ـ بعد أن جعل التقديم في"إلى ربها "مؤذنا بالاختصاص ـ:والذي يصح معه أن يكون من قول الناس:أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي،يريد معنى التوقع والرجاء"[1]،وقد ردعليه ابن عادل فقال:"وجمهور أهل السنة تمسك بهذه الآية لإثبات أن المؤمنين يرون الله ـ سبحانه وتعالى يوم القيامة"[2]،ودلل على ذلك بما ورد في السنة،فقال:"خرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال:كنا عند رسول الله صلى عليه وسلم فنظر إلى القمر،فقال:صلى الله عليه وسلم:إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته،فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا،ثم قرأ (**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**)(3)"[4] .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون)**[5] بين أن معنى الجعل هنا هو التصيير ، خلافاً لما تقول به المعتزلة من الجعل هو الدعوة ، فقال : " قوله " وجعلناهم " أي صيرناهم ، وقال الزمخشري : دعوناهم(6) ، كأنه فر من نسبة ذلك إلى الله تعالى ، أعني : التصيير، لأنه لا يوافق مذهبه "[7] .

2 ـ في مجال الإعراب :

مع كون الزمخشري إماماً في النحو ، فإن أبا حفص ناقشه في مواضع كثيرة منها :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً)**(8) ذكر في إعراب " يومئذ " وجهين ، فقال : " قوله: "يومئذ" منصوب ب " يتبعون "[9] ، وقيل : بدل من " يوم القيامة " قاله الزمخشري(10) .

إلا أن ابن عادل لم يرض بما قاله الزمخشري ، ولم يوافقه عليه ، فقال: " وفيه نظر "[11] ، وعلل عدم رضاه وعدم موافقته له " للفصل الكثير[12] ، وأيضاً يبقى " يتبعون " غير مرتبط بما قبله وبه يفوت المعنى ، والتقدير : يوم إذ نسفت الجبال "(13) .

---

[1] الزمخشري : الكشاف (192/4) ، ابن عادل : اللباب (563/19) .

[2] ابن عادل : اللباب (565/19) .

(3) ق: 39 .

[4] ابن عادل : اللباب (567/19) ، والحديث تقدم تخريجه صفحة (122) .

[5] القصص : 41 .

(6) الزمخشري : الكشاف (180/3) .

[7] ابن عادل : اللباب : (261/15) .

(8) طه : 108 .

[9] أي العامل فيه " يتبعون " .

(10) الزمخشري : الكشاف : (553/2) .

[11] ابن عادل : اللباب (390/13) .

[12] طال الفصل الكثير بين البدل"يومئذ"والمبدل منه "يوم القيامة"،" فيومئذ"في الآية(100)و"يوم القيامة"في الآية (108).

(13) ابن عادل : اللباب : (390/13) .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم كثيراً**)[1] ذكر في إعراب " إلا أن يقولوا " وجهين : "أحدهما : أنه منصوب على الاستثناء المنقطع[2] والثاني : أنه في محل جر بدلاً من " حق "[3] والوجه الثاني قال به الزمخشري[4] ، لكن الإمام ابن عادل لم يرض بما ذهب إليه الزمخشري ، بل ناقشه فيه فقال ، " وأما إذا كان بدلاً من " حق " كما نص عليه الزمحشري فهو في غاية الفساد، لأنه لا يلزم منه أن يكون البدل يلي غيراً فيصير التركيب : بغير إلا أن يقولوا ، وهذا لا يصح "[5] .

3 ــ في مجال البلاغة :

على الرغم من أن تفسير الكشاف من كتب التفسير بالرأي المذموم ، إلا أنه من أهم كتب التفسير التي عنيت بالبلاغة والنظم ، وكل من جاء بعد الزمخشري يقر له بالسبق والبراعة والإبداع في ذلك ، والإمام ابن عادل من الذين يقرون له بذلك ، ولكنه مع هذا الإقرار فقد استدرك عليه هفوة عظيمة ، مما جعله يعنف عليه ، ويصف قوله بالبشاعة ، فعند تفسيره لقوله تعالى: (**ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق**)[6] بين المقسم عليه بعدة وجوه ، ثم قال بعد ذلك:" وللزمخشري هنا عبارة بشعة جداً ، قال : فإن قلت: قوله: " ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق" كلام ظاهر متناف[7] غير منتظم،فما وجه انتظامه ؟ "[8] .

ومع كون الزمخشري إماماً في النظم والبلاغة ، فقد كانت هذه هفوة عظيمة منه رحمه الله تعالى ، وربما كان يقصد غير ذلك .

4 ــ في مجال توجيه القراءات :

كان الإمام الزمخشري يأتي بالقراءات الشاذة ليعزز بها مذهبه،سواء أكان في الإعتزاليات ، أو في الأمور النحوية واللغوية والبلاغية ، وتتبعه ابن عادل في مواضع كثيرة منها عند تفسيره لقوله تعالى : (**قد أفلح المؤمنون**)[9] ذكر قراءة طلحة[10] فقال :" وقرأ طلحة أيضاً : " أفلحُ "

---

[1] الحج : 40 . [2] انظر ابن عطية:المحرر الوجيز(124/4)أبو حيان:البحر المحيط(515/7).

[3] ابن عادل : اللباب (101/14) . (4) الزمخشري : الكشاف (16/3) .

[4] ابن عادل : اللباب (102/14) . (6) ص : 1-2 .

[7] الصواب : متنافر كما ورد في الكشاف (358/3) ، ولعله كان خطأ إملائياً حصل أثناء الطباعة .

[8] ابن عادل:اللباب(365/16) الزمخشري:الكشاف(358/3-359). (9) المؤمنون : 1 .

[10] هو طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد ، أبو القاسم البغدادي ، المقرئ ، قرأ على ابن مجاهد واستملى عليه ، وعلى نصر بن قاسم الفرائضي،وعليه أبو العلاء محمد بن علي الواسطي وغيره ، ت123 هـ.الذهبي،محمد بن أحمد بن عثمان ، ت 748هـ:معرفة القراء الكبار،مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط ١ 1404هـ،تحقيق بشار عواد ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس ، (345/1)، وسيشار إليه فيما بعد هكذا الذهبي : معرفة القراء الكبار .

بفتح الهمزة واللام وضم الحاء" [1] ، ثم خرجها " على أن الأصل أفلحوا المؤمنون بإلحاق علامة جمع قبل الفاعل كلغة: أكلوني البراغيث[2] "، ثم ذكر ما قاله الزمخشري في هذه القراءة فقال: " قال الزمخشري : وعنه ــ أي طلحة ــ " أفلحُ " بضمة بغير واو اجتزاءً بها عنها كقوله:

فَلَوْ أنَّ الأطباءَ كانُ حولي [3]

لكن الإمام ابن عادل ناقش الزمخشري فيما ذهب إليه فقال:"وفيه نظر من حيث إن الواو لا تثبت في مثل هذا درجاً لئلا يلتقي ساكنان ، فالحذف هنا لا بد منه، فكيف يقول : اجتزاءً بها عنها وأما تنظيره بالبيت فليس بمطابق،لأن حذفها من الآية ضروري ومن البيت ضرورة"[4] .

5 ــ في مجال القصص :

ذكر القصص في القرآن له أهداف ، منها العبرة والإتعاظ ، وقد أورد كثير من المفسرين القصص الإسرائيلي في تفاسيرهم ، فعند تفسيره لقوله تعالى : **(قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة)**[5]تعرض لقصة نبي الله هود مع قومه " قوم عاد " ، فقال : " واعلم أن ألفاظ هذه القصة ــ أي قصة قوم عاد ــ موافقة للألفاظ المذكورة في قصة نوح ــ عليه السلام ــ إلا في أشياء"[6] منها الشيء الثالث قال فيه:"قال في قصة نوح **(قال الملأ من قومه)**[7] وقيل في هود:" قال الملأ الذين كفروا " فوصف الملأ بالكفر ، ولم يوصفوا في قصة نوح،والفرق أنه كان في أشراف قوم هود من آمن به،منهم مرثد بن سعد، أسلم وكان يكتم إيمانه، بخلاف قوم نوح ، لأنه لم يؤمن منهم أحد،قاله الزمخشري وغيره"[8].

ناقش ابن عادل الزمخشري وغيره في إيرادهم هذه القصةالتي تذكرأنه لم يؤمن أحدمن قوم نوح عليه السلام،لأنهاتخالف صريح القرآن،فقال:"وفيه نظر ــ أي قول الزمخشري وغيره ــ لقوله تعالى:**(لن يؤمن من قومك إلامن قدآمن)**[9]،وقال:**(وما آمن معه إلا قليل)**"[10]" [11]،فالآيات ذكرت أنه آمن أناس من قوم نوح عليه السلام،بخلاف القصةالتي أوردهاالزمخشري وغيره .

2 ــ مناقشته لإبن عطية :

كانت مناقشة ابن عادل لإبن عطية تقتصر على الأمور النحوية المتعلقة بالقراءات في

---

[1] ابن عادل:اللباب(165/14)،وانظر ابن خالويه:مختصر في شواذ القرآن(99)،ابن عطية:المحرر الوجيز (36/4) .

[2] ابن عادل : اللباب (١٦٥/١٤) .

[3] الزمخشري:الكشاف25/3) الشاهد هنا أن "كانُ" أصلها " كانوا ".

[4] ابن عادل : اللباب (165/14) .

(5) الأعراف : 66 .

[6] ابن عادل : اللباب (185/9)

[7] الأعراف : 60 .

[6] ابن عادل : اللباب (186/9) وانظر البيضاوي : أنوار التنزيل (32/3) الزمخشري: الكشاف (87/2) .

[7] هود : 36 .

(8) هود : 40 .

[9] ابن عادل : اللباب (186/9) .

بعض الأحيان ، ولم يناقشه في غير ذلك ، وذلك لأن ابن عطية لم يجنح عن معتقد أهل السنة والجماعة كما جنح الزمخشري .

وقد ناقش ابن عادل ابن عطية في مواطن كثيرة ، منها :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون)**[1] ذكر أن "بل" تستعمل للإضراب[2] فقال : "قوله : "بل تأتيهم" إضراب انتقال"[3] ، ثم ذكر قول ابن عطية فقال : وقال ابن عطية : "بل" استدراكٌ مقدرٌ قبله نفيٌ تقديره :إن الآيات لا تأتي على حسب اقتراحهم "[4] لكنه لم يرتض بقول ابن عطية ، فناقشه فيه فقال:"وفيه نظر ، لأنه يصير التقدير : لا تأتيهم الآيات على حسب اقتراحهم بل تأتيهم بغتة ، فيكون الظاهر أن الآيات تأتي بغتة، وليس ذلك مرادا قطعاً ،وإن أراد أن يكون التقدير:بل تأتيهم الساعة أو النهار فليس مطابقاً لقاعدة الإعراب "[5].

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إني آمنت بربكم فاسمعون)**[6] ذكر مخالفة ابن عطية للمتواتر من القراءات ، فقال عند تفسير " فاسمعون " : " وقد وقع لابن عطية وهم فاحش في ذلك فقال : وقرأ الجمهور بفتح النون "[7] ، وهذه القراءة لم يذكرها أصحاب كتب القراءات المتواترة في كتبهم[8] ، وهذا ما يدل على صحة قول ابن عادل في مناقشته لابن عطية .

3 ـ مناقشته لأبي حيان :

إن أهم ما يميز تفسير أبي حيان عن غيره من التفاسير هو اهتمامه بالناحية النحوية ، فهي أبرز شيء فيه ، حتى أصبح أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير ، هذا وإن كان ابن عادل رجع إليه في تفسيره واعتمد عليه ، إلا أنه كان يناقشه في كثير من المواضع ، وكانت مناقشته كلها في الناحية النحوية ، منها عند تفسيره لقوله تعالى : **(ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه)**[9] بين إعراب " تترا " ووزنها ، ثم ذكر الخلاف في كونها مصدراً أو اسم جمع فقال : "واختلفوا فيها هل هي مصدر كدعوى و " ذكرى "[10]، أو اسم جمع

---

[1] الأنبياء : 40 .

[2] وهذا ما ذهب إليه ابن هشام ، أنظر مغني اللبيب (151) .

(3) ابن عادل : اللباب (504/13) .

[4] ابن عطية:المحرر الوجيز(83/4)ابن عادل:اللباب(504/13). (5) المرجع نفسه .

[6] يس : 25 .

[7] ابن عطية : المحرر الوجيز (450/4) ، ابن عادل : اللباب (196/16) .

[8] انظر على سبيل المثال ابن الجزري:النشر (353/2) ، الواسطي:الكنز (223) حيث لم تذكر هذه الكتب هذه القراءة .

[9] المؤمنون : 44 .

(10) من قوله تعالى: (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) ص : 46 .

كـ" أسرى "(1) و"شتى"(2) ؟ كذا قاله أبو حيان "(3) ، لكن ابن عادل لم يوافق أبا حيان فيما ذهب إليه، فقال: "وفيه نظر إذ المشهور أن " أسرى " و " شتى " جمعا تكسير لا اسم جمع"(4).

4 ـ مناقشته للرازي :

إن أهم ما يميز تفسير الإمام الرازي عن غيره من التفاسير هو اهتمامه الكبير بمذهب الأشاعرة في الأمور العقدية،ولهذا رجع ابن عادل إليه واعتمد عليه اعتماداًكبيراً في هذا الجانب فكان ينقل عنه فصولاً بأكملها ، ولم يناقشه فيها، بل ناقشه في بعض الجوانب ، منها الجانب النحوي،وذلك بحكم اهتمامه بالأمور النحوية،وناقشه في هذا الجانب في مواضع قليلة جداً،منها :

أ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم)**(5)قال:"قوله:"ومن يكرههن فإن الله بعد إكراههن غفور رحيم " أي غفور رحيم للمُكرَهات،والوزر على المُكرِه ، وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال :" لهن الله "(6)،ثم ذكر قول الرازي في ذلك فقال:" وقال ابن الخطيب : فيه وجهان:أحدهما : غفور لهن ، لأن الإكراه يزيل الإثم والعقوبة عن المُكرَه فيما فعل ، والثاني:"فإن الله غفور رحيم " بالمُكرِه بشرط التوبة وهذا ضعيف لأنه يحتاج إلى الإضمار ، والأول لا يحتاج إليه"(7).

لكن الإمام ابن عادل لم يوافق الرازي فيما ذهب إليه ، فقال : " وفي هذا نظر ، لأنه لا بد من ضمير يعود على اسم الشرط عند الجمهور كما تقدم تحقيقه في سورة البقرة"(8)(9) .

ب ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين)** (10) قال : وقوله : " ويكلم الناس " الواو للعطف على قوله : " وجيهاً " ، والتقدير : وجيهاً ومكلماً ، قال ابن الخطيب : وهذا عندي ضعيف ، لأن عطف الجملة الفعلية على الجملة الإسمية غير جائز

---

(1) من قوله تعالى : (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى) الأنفال : 70 .

(2) من قوله تعالى : (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) الحشر : 14 .

(3) البحر المحيط (564/7)ابن عادل : اللباب(219/14) . (4) ابن عادل : اللباب (219/14) .

(5) النور : 33 . (6) ابن عادل : اللباب (377/14) .

(7) ابن عادل : اللباب (377/14-378) ، الرازي : مفاتح الغيب (232/23).

(8) ابن عادل : اللباب (378/14) .

(9) عند قوله تعالى : (من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) البقرة : 97 ، حيث ذكر ما ملخصه أن " من " شرطية في محل رفع الإبتداء ، وكان خبره على ما هو الصحيح ، ثم نفى أن يكون " فإنه نزله " جواباً للشرط لأن فعل التنزيل متحقق المضي ، والجزاء لا يكون إلا مستقبلاً ، ولأنه لابد في جملة الجزاء من ضمير يعود على اسم الشرط فلا يجوز : من يقم فزيد منطلق ، ولا ضمير في " فإنه نزله " يعود على " من " ، فلا يكون جواباً للشرط . ابن عادل : اللباب (309/2) . (10) آل :عمران 46 .

إلا لضرورة أو لفائدة ، والأولى أن يقال : تقدير الآية : إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، الوجيه في الدنيا والآخرة ،المعدود من المقربين، وهذا المجموع جملة واحدة ، ثم قال : " ويكلم الناس " ، فقوله :" ويكلم الناس " عطف على قوله : " إن الله يبشرك "[1] .

لكن الإمام ابن عادل لم ير صحة ما ذهب إليه الرازي ـــ ابن الخطيب ـــ فقال : " وأجيب بأن هذا خطأ ، لأنه إن أراد العطف على جملة " إن الله يبشرك " فهي جملة إسمية ، فقد عطف الفعلية على الإسمية،فوقع فيما فر منه، وإن أراد العطف على "يبشرك " فهو خطأ ،لأن المعطوف على الخبر خبر ـــ و" يبشرك " خبر ـــ فيصير التقدير:ن الله يكلم الناس في المهد والصواب ما قالوه : من كونه حالاً ،وأن الجملة الحالية إذا كانت فعلاً فهي مقدرة بالإسم ، فجاز العطف "[2] .

5 ـــ مناقشته للواحدي :

للواحدي ثلاثة تفاسير،الأول الوسيط وهو تفسير بالمأثور،والثاني الوجيز وهو تفسير بالرأي والثالث البسيط وهو تفسير يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي[3]،وكان رجوع ابن عادل يقتصر غالباً على الوسيط ، وناقش ابن عادل الإمام الواحدي في مواضع متعددة منها:

أ ـــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه)**(4)عقد فصلاً في تفسير الهم ، بين فيه معنى الهم في اللغة ، ثم ذكر روايات إسرائيلية كثيرة في بيان معنى الهم تتنافى مع عصمة يوسف الصديق عليه السلام ، وذكر من جملة ذلك ما قاله الواحدي فقال : " وذكر ابن الخطيب عن الواحدي أنه قال في البسيط[5] : "قال المفسرون : كان هم يوسف أيضاً بالمرأة هما صحيحاً ، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة ، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه"(6).

لكن ابن عادل رد كلام الواحدي ، ولم يرض به ، لأنه ينافي عصمة الأنبياء فقال :" ثم إن الواحدي طوّل في كلمات عارية عن الفائدة في هذا الباب، ولم يذكر فيما احتج به حديثاً صحيحاً يعول عليه في هذه المقالة "[7]، ثم ذكر الأدلة على براءة يوسف عليه السلام مما نسب إليه .

---

(1) ابن عادل : اللباب (230/5) الرازي : مفاتح الغيب (222/23-233) .

(2) ابن عادل : (230/5) .

(2) الداودي : طبقات المفسرين (387/1-388) . (3) يوسف : 24 .

(4) لقد عزا الإمام ابن عادل النقل عن الواحدي إلى ابن الخطيب ـــ الرازي ـــ وهذا يدل على أمانةابن عادل العلمية، وهذا التفسيرما زال مخطوطاً حتى الآن فيماأعلم ينتظر من يحققه. (5) ابن عادل:اللباب(62/11)الرازي:مفاتح الغيب(6/8 5).

(6) ابن عادل : اللباب (62/11) .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(ثلة من الأولين وثلة من الآخرين)**[1]ذكر تفسير الواحــدي لهاتين الآيتين ، فقال : " وقال الواحدي : أصحاب الجنة نصفان ، نصف من الأمم الماضيــة ، ونصف من هذه الأمة "[2] .

وقد رد ابن عادل هذا التفسير لأنه يعارض ويخالف الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "ويرد هذا ما روى ابن ماجه في "سننه"والترمذي في"جامعه" عن بريــدة ابن المحصب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أهل الجنة عشرون ومائة صنــف ، ثمانون منــــها من هذه الأمة ، وأربعـــون من سائر الأمم " [3] ، قال الترمذي : هذا حديث حسن "[4] .

ج ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الـــذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون)**[5] ذكر في إعراب " ولأحل " أوجـــه ، منها الأول ، قال فيه : " أنه معطوف على معنى "مصدقاً " ، إذ المعنى : جئتكم لأصدق ما بيــن يديّ ولأحل لكم ، ومثله من الكلام : جئته معتذراً إليه ولأجتلب رضـــاه ــ أي جئــت لأعتــذر ولأجتلب ــ كذا قال الواحدي[6] ، ولم يرتض ابن عادل هذا الوجه ، فقال : " وفيه نظـــر ، لأن المعطوف عليه حال ، وهذا تعليل "[7].

هؤلاء هم المفسرون الكبار الذين ناقشهم ابن عادل في تفسيره ، وإلا فهناك مفسرون غــير مشهورين ناقشهم ابن عادل ، فاقتصرنا على كبار المفسرين فقط .

---

[1] الواقعة : 39-40 .

[2] ابن عادل : اللباب (404/18) ، الواحدي : الوجيز (1061/2).

[3] أخرجه الترمذي في كتاب صفة أهل الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في صف أهل الجنــة رقم (2546) (683/4) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب صفة أمة محمد صلى الله عليــه وسلم رقم (4289) (1434/2) الدارمي في كتاب الرقاق باب صفة أهل الجنة رقم (2 835) (434/2) .

[4] ابن عادل : اللباب (404/18) .

[5] آل عمران : 50 .

[6] ابن عادل : اللباب (252/5) ، الواحدي : الوجيز(440/1) .

[7] ابن عادل : اللباب (252/5) ، والتعليل قوله " ولأحل " وهو المعطوف .

المبحث الثاني

وجوه الترجيح عند ابن عادل

سبق وأن أشرت إلى أن ابن عادل رحمه الله تعالى لم يضع مقدمة لتفسيره يبين فيها منهجه وطريقته في البحث والكتابة ، كما هو حال المفسرين ، وبالتالي كان التعـــرف علـــى منهجـــه وطريقته أمر يحتاج إلى مطالعة تفسيره ، وقراءته قراءة متأنية ، ليتوصل الباحث من خلالـــها إلى معرفة المنهج الذي سار عليه والطريقة التي سلكها .

ومما يتعلق بالمنهج والطريقة في تفسير كتاب الله تبارك وتعالى الـــترجيح بيـــن الأقـــوال الواردة ، وبيان الصحيح منها والضعيف ، والراجح من المرجوح ، وهذا أمر يحتاج إلى جـــهد كبير ، واطلاع واسع ، وإحاطة تامة بقواعد الترجيح ، التي يتوقف عليها كثير من الأحيان قدرة المفسر على الخوض في مسائل التفسير الدقيقة ، وقضاياه الصعبة ، ومشكلاته المتعددة .

وابن عادل وإن لم يبين طريقته ومنهجه في البحث والدراسة والتي منها وجوه الترجيح بين الأقوال ، إلا أنه تعرض لها كثيراً في تفسيره ، فبين في كثير من الأحيان القوي من الضعيف ، والراجح من المرجوح ، وتفرد في بعض المواطن ببيان رأيه الخاص في المســـألة التفســـيرية المطروحة ، مما يدل على رسوخ قدمه ، وعلو كعبه في التفسير وعلوم القرآن .

وبعد الدراسة والبحث ، ومطالعة تفسيره ، تبين لي أن وجوه الـــترجيح التـــي اعتمدهـــا ، وطبقها عملياً في تفسيره ما يلي :

1 ــ ترجيح الخاص على العام : من المتفق عليه عند الأصوليين أن الخاص مقدم علـــى العام[1] ،وبناءً على هذا الإتفاق رجح ابن عادل الخاص على العام في مواطن كثيرة من تفسيره، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يـــألونكم خبالاً ودوا ما عنتم)**[2] قال : " قوله : "لا تتخذوا بطانة" نكرة في سياق النفي ، فيقتضي العمـــوم في النهي عن مصاحبة الكفار ، وقد قال تعالى : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم)**[3] فكيف الجمع بينهما ؟ فالجواب : أن الخاص مقدم على العام "[4].

والخاص الذي رجح تقديمه هو مصاحبة الكفار الذيـــن لـــم يتعرضـــوا لقتـــال المســـلمين ومحاربتهم ، والمصاحبة هي الإحسان إليهم ، والتلطف في مخاطبتهم .

---

(1) الشوكاني ، محمد بن علي ، ت 250 1هـ : إرشاد الفحول ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ (10 4) وسيشار إليـــه فيما بعد هكذا الشوكاني:إرشاد الفحول،البيضاوي:المنهاج(63 2).

(2) آل عمران : 118 .

(3) الممتحنة : 8 .

(4) ابن عادل : اللباب (488/5) .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فنصف ما فرضتم)**[1]

ذكر أن المطلقة قبل الدخول تستحق نصف المهر ، فقال : " هذه الآية في المطلقة قبل المسيس المفروض لها ، فبين أن لها نصف ما فرض لها "[2] ثم ذكر قول أبي حنيفة الذي يقضي بأن تأخذ المهر كله[3] ، فقال : " واستدل أبو حنيفة بقوله تعالى : **(وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً** ...إلى قوله : **وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً)**[4] فنهى تعالى عن أخذ المهر ، ولم يفرق بين الطلاق وعدم الطلاق "[5] .

وقد رجح ابن عادل ما قاله على قول الحنفية ، فقال : " والجواب عن ذلك أن دليلهم عام ، ودليلنا خاص ، والخاص مقدم على العام "[6] .

2 ــ الترجيح بسبب السياق : رجح ابن عادل بسبب فهمه للسياق أموراً كثيرة منها :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(فناداها من تحتها ألا تخافي ولا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً)**[7]عقد فصلاً ذكر فيه خلاف العلماء في المنادي، قال فيه :" قال الحسن وسعيد بن جبير : إن المنادي هو عيسى ــ صلوات الله عليه ــ[7]، وقال ابن عباس والسدي ، وقتادة ، والضحاك وجماعة : إنه جبريل ــ سلام الله عليه ــ وكانت مريم على أكمة ، وجبريل وراء الأكمة تحتها"[9].

ثم ذكر الخلاف المترتب على اختلاف القراءات ، ثم رجح ما رآه صواباً حسب ما فهمه من سياق الكلام ، فقال: "وقال ابن عيينة[10]، وعاصم : المنادي على القراءة بالفتح هو عيسى ، وعلى القراءة بالكسر هو الملَك[11]، والأول أقرب ــ أي القراءة بالفتح ــ لوجوه :

الأول : أن قوله : "فناداها مَن تحتها" بفتح الميم إنما يستعمل إذا كان قد عُلِمَ قبل ذلك أن تحتها أحد ، والذي عُلِمَ كونه تحتها هو عيسى ــ صلوات الله عليه ــ فوجب حمل اللفظ عليه

---

(1) البقرة : 237 .

(2) ابن عادل : اللباب (216/4) .

(3) هذا القول لا يقول به الحنفية ، بل يقولون بأن الطلاق قبل الدخول يوجب نصف المهر وليس كله انظر السرخسي : المبسوط (104/5) .

(4) النساء : 20-21 .

(5) ابن عادل : اللباب (217/4)

(6) ابن عادل : (217/4) .

(7) مريم : 24 .

(8) ابن كثير : تفسير القرآن (118/3) ، السيوطي : الدر المنثور (498/4) .

(9) الطبري : جامع البيان (68/16) ، السيوطي : الدر المنثور (498/4)، البغوي : معالم التنزيل (92/3) .

(10) هو سفيان بن عيينة الهلالي ، روى عن أبان بن تغلب ، وأيوب السختياني ، وصالح بن كيسان وغيرهم ، وعنه الأعمش ، وابن جريج ، والثوري وغيرهم، اتُفق على توثيقه ، ت98 1 هـ . ابن حجر : تهذيب التهذيب (59/2-61).

(11) القراءة بالكسر "مِن تحتِها" قراءة ابن كثير ونافع وحمزة و الكسائي وحفص ، وقرأ الباقون بالفتح "مَن تحتَها" . ابن الجزري : النشر (318/2) ، الواسطي : الكنز (193) .

وأما القراءة بكسر الميم فلا تقتضي كون المنادي "جبريل" صلوات الله عليه .

الثاني : أن ذلك موضع اللوث والنظر إلى العورة ، وذلك لا يليق بالأنبياء .

الثالث : أن قوله : "فناداها" فعلٌ ، ولا بد أن يكون فاعله قد تقدم عليه ، والذي تقدم ذكره هو جبريل وعيسى ـــ صلوات الله عليهما ـــ إلا أن ذكر عيسى أقرب ، لقوله عز وجل : "فحملته فانتبذت" والضمير عائد إلى المسيح ، فكان حمله عليه أولى .

الرابع : أن عيسى ـــ صلوات الله عليه ـــ لو لم يكن كلمها ، لما علمت أنه ينطق ، ولما كانت تشير إلى عيسى بالكلام "[1] .

ب ـــ عند تفسير لقوله تعالى : **(قال آيتك ألاّ تكلم الناس ثلاث ليال سوياً)**[2] ذكر اختلاف العلماء في عدم كلام زكريا عليه السلام " على قولين :

أحدهما : أنه اعتقل لسانه أصلاً .

الثاني : أنه امتُنِع عليه الكلام مع القوم على وجه المخاطبة ، مع أنه كان متمكناً من ذكر الله ، ومن قراءة التوراة "[3] .

أما موقف ابن عادل من هذين القولين ، فإنه يرجح القول الثاني ، مبيناً سبب ترجيحه فيقول : " وهذا القول عندي أصح ، لأن اعتقال اللسان مطلقاً قد يكون أُمْرِض ، وقد يكون من فعل الله ، فلا يعرف زكريا عليه السلام أن ذلك الاعتقال معجزاً إلا إذا عرف أنه ليس لمرض ، بل لمحض فعل الله تعالى مع سلامة الآلات ، وهذا مما لا يعرف إلا بدليل آخر ، فتفتقر تلك الدلالة إلى دلالةأخرى ،أما لو اعتقل لسانه عن الكلام مع القوم مع اقتداره علىالتكلم بذكر الله وقراءةالتوراة،علم ذلك بالضرورة أن ذلك الاعتقال ليس لعلة ومرض ، بل هو لمحض فعل" الله فيتحقق كونه آية ومعجزة ، ومما يقوي ذلك قوله تعالى : "آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا" خَص ذلك بالتكلم مع الناس ، وهذا يدل بطريق المفهوم ، أنه كان قادراً على التكلم مع غير الناس "[4] .

3 ـــ الترجيح بسبب ورود الدليل ، كان يطرح الأقوال في المسألة ، ثم يرجح ما يذهب إليه بناءً على ورود الدليل ، آية كان ، أو حديثاً ، وهذه أمثلة على ذلك :

أ ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده)**[5] عقد فصلاً في أحكام الحضانة ، ذكر فيه أقوال الفقهاء في مدة الحضانة ، ثم ذكر رأيه الذي رجحه وتبناه بناءً

---

(1) ابن عادل : اللباب (13/ 43) .

(2) مريم : 10 .

(3) ابن عادل : اللباب (13/ 23) .

(4) ابن عادل : اللباب (23/13) بتصرف .

(5) البقرة : 233 .

على ورود الدليل، فقال : " قال القرطبي : في هذه الآية دليل لمالك على أن الحضانة للأم ،وهي في الغلام إلى البلوغ ، وفي الجارية إلى النكاح ، وذلك حق لها[1] ، وقال الشافعي : إذا بلغ الولد ثماني سنوات ، وهو سن التمييز ، خير بين أبويه،وذلك يستوي فيه الغلام والجارية[2]"[3] .

أما رأيه الذي تبناه ورجحه أن مدة الحضانة غير محددة طالما أن الأم لم تتزوج ، مستدلاً بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " ودليلنا ما روى أبو داود ، عن عبد الله بن عمرو : أن امرأة قالت : يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وِعاء ، وثديي له سقاء ، وحجري له حِواء ، وإن أباه طلقني ، وأراد أن ينزعه مني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت أحق به ما لم تنكحي[4]"[5] .

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(واتَّبعوا ما تتلو الشياطين على مُلْك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلِّمون الناس السحر)**[6]عقد فصلاً في قتل الساحر ، ذكر فيه أقوال الفقهاء في ذلك ، ثم ذكر رأيه الذي تبناه ورجحه ، فقال :" هل يجب قتل الساحر أم لا ؟ أما النوعان الأولان[7]فلا شك في قتل معتقدهما ، قال ابن الخطيب ــ الرازي ــ : يكون كالمرتد يستتاب فإن أصر قتل[8]، وروي عن مالك وأبي حنيفة : تقبل توبته[9]"[10] .

أماابن عادل فإنه يرى قبول ظاهره إن أسلم،مستدلاًبماوردعن رسول الله صلىالله عليه وسلم، فقال:"ولنا أنه إن أسلم فيقبل إسلامه،لقوله عليه الصلاة والسلام:نحن نحكم بالظاهر[11]"[12].

---

[1] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (108/3) .

[2] الشافعي : الأم (92/5) . [3] ابن عادل : اللباب (179/4) .

[4] أخرجه أحمد (152/2) أبو داود في كتاب الطلاق باب من أحق بالولد رقم (2276) (490/2) الحاكم (225/2) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

[5] ابن عادل : اللباب (179/4) . [6] البقرة : 102.

[7] النوعان هما : الأول : من اعتقد أن الكواكب هي المدبرة لهذا العالم ، وهي الخالقة لما فيه من الحوادث ، والثاني : هو أن يعتقد أن الإنسان تبلغ روحه في التصفية والقوة إلى حيث يقدر بها على إيجاد الأجسام والحياة والقدرة ، وكلاهما كفر ، وقد أشار إليها في اللباب (335/2) . [8] الرازي : مفاتح الغيب (٣/٢٣٣).

[9] الوارد عن المالكية والحنفية غير ذلك ، فقد أشارت كتب المالكية والحنفية إلى قتل،الساحر أنظر ابن عبد البر: الكافي (585/1)،السيواسي،محمد بن عبد الواحد ، ت681 هـ : شرح فتح القدير ،دار الفكر ــ بيروت ــ ط 2 (99/6) وسيشار إليه فيما بعد هكذا السيواسي : شرح فتح القدير. [10] ابن عادل : اللباب (336/2) .

[11] هذا الحديث بهذا اللفظ لم يرد ، قال عنه ابن كثير : "قوله : وأيضاً نحن نحكم بالظاهر ، هذا الحديث كثيراً ما يلهج به أهل الأصول . ولم أقف له على سند ، وسألت عنه الحافظ أبا الحجاج المزي فلم يعرفه ، لكن له معنى في الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم:" إنما أقضي بنحو ما أسمع " . ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، ت 74 7هـ : تحفة الطالب ، دار حراء ــ مكة المكرمة ــ 1406هـ ، تحقيق عبد الغني بن حميد بن محمود الكبيسي (74 I) وسيشار إليه فيما بعد هكذا ابن كثير :تحفة الطالب. وقال الشوكاني:".وكذلك حديث "إنما نحكم بالظاهر" وهو وإن لم يثبت من وجه معتبر فله=

4 ــ الترجيح بإجماع المفسرين[1] : كان يرجح إجماع المفسرين ، وذلك لوجود مستند الإجماع فعند تفسيره لقوله تعالى : (**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**)[2]عقد فصلاً تكلم فيه عن دعاء إبراهيم عليه السلام ، ذكر فيه صفات هذا الرسول الكريم ، ثم أكد القول بأن هذا الرسول هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجحه بإجماع المفسرين ، ذاكراً مستند إجماعهم ، فقال : " أجمع المفسرون على أن الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم ، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال : " أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى "[3]، وأراد بالدعوة هذه الآية ، وبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام ما ذكره في سورة الصف من قوله : (**ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**)[4]"[5].

6 ــ الترجيح بحمل المطلق على المقيد[6] : رجح بعض الأحكام الشرعية بناء على هذا المُرَجِّح المعتبر عند الأصوليين في مواضع متعددة منها :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (**إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله**)[7]عقد فصلاً في بيان حكم الدم ، قال فيه : " اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس ، لا يؤكل ولا يُنتفع به[8] ، وقال بعضهم : يحرم إذا لم تعم به البلوى ، ويعفى عنه إذا عمت به البلوى كالذي في العروق ، واليسير في الثوب والبدن يُصلى فيه "[9] .

ثم ربط بين هذا الموضع في هذه الآية وبين موضع آخر في آية أخرى ، مرجحاً ما يراه حسب قواعد الترجيح المعتبرة ، فقال : " وأطلق الدم هنا ، وقيده بالدم المسفوح في سورة الأنعام[٨]، فيحمل المطلق على المقيد "[10] .

= شواهد متفق على صحتها ، ومن أعظم اعتبارات الظاهر ما كان منه صلى الله عليه وسلم مع المنافقين من التعاطي والمعاملة بما يقتضيه ظاهر الحال ".الشوكاني،محمد بن علي ، ت 250 1هـ:نيل الأوطار،دار الجيل ــ بيروت ــ 1973م (369/1) وسيشار إليه فيما بعد هكذا الشوكاني : نيل الأوطار . (12) ابن عادل : اللباب (179/2) .

[1] الترجيح بإجماع المفسرين ليس من المُرَجِّحات عند الأصوليين ، ولا أدري كيف اعتمد ابن عادل هذا المُرَجِّح .

[2] البقرة : 129 . (3) أخرجه أحمد (127/4) .

[4] الصف : 6 . (5) ابن عادل : اللباب (292/2) .

[6] لمعرفة المطلق والمقيد انظر ابن قدامة:روضة الناظر(260-262). (7) البقرة : 173 .

[7] هذا الإتفاق الذي ذكره ابن عادل غير صحيح لأنه يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أحل لنا ميتتان ودمان أما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال"أخرجه أحمد (97/2) ابن ماجه في كتاب الصيد باب صيد الحيتان رقم (3218) (1073/2)ثم عاد فناقض هذا الاتفاق فقال : وقال : بعضهم ...." وهذا القول يخرق الاتفاق الذي ذكره.

[8] ابن عادل : اللباب (172/3) .

[9] قوله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً عل طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً)الأنعام :45 1.

[10] ابن عادل : اللباب (172/3) .

ب ـــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة)**[1] عقد فصلاً في المراد بالرقبة ، قال فيه : " وأجاز أبو حنيفة والثوري إعتاق الرقبة الكافرة في جميعها ، إلا كفارة القتل ، لأن الله تعالى قيد الرقبة فيها بالإيمان[2]"[3] .

أما ابن عادل فإنه يخالف أبا حنيفة،ويرى أن المطلق يحمل على المقيد إذا تعارضا، ويرجح على أساسه ، فيقول : " قلنا يحمل المطلق على المقيد ، كما أن الله تعالى قيد الشهادة بالعدالة في موضع فقال تعالى : **(وأشهدوا ذوي عدل منكم)**[4] ، وأطلق في موضع فقال تعالى : **(واستشهدوا شهيدين من رجالكم)**[5]، ثم العدالة مشروطة في جميعها حملاً للمطلق على المقيد، كذلك هنا"[6] .

---

[1] المائدة : 89 .

[2] منع أبو حنيفة حمل المطلق على المقيد ، لأنه اعتبر ذلك زيادة على النص أنظر السرخسي : أصول السرخسي (270-268/1)

[3] ابن عادل : (500/7) .

[4] الطلاق : 2.

[5] البقرة : 282 .

[6] ابن عادل : اللباب (500/7) .

المبحث الثالث

ابن عادل في نظر المترجمين له

امتازت العلوم الإسلامية بكثرة أنواعها ، وتشعب فروعها ، وكثرة المؤلفات في النوع الواحد ، والموضوع الواحد ، فكان النوع الواحد أو الموضوع الواحد يحظى بالتآليف الكثيرة، ليس في عصر واحد ، بل على مر العصور ، وذلك لاهتمام أهل العلم في هذا الفن أو النوع .

من هذه العلوم التي حظيت بالاهتمام والعناية علم التراجم ، الذي دَوَّن المؤلفون فيه أحوال الرواة جرحاً وتعديلاً ، وأسماء الأعيان والأمراء وأحوالهم ، وأسماء المؤلفين ، ومولدهم ونشأتهم العلمية ، وتركتهم العلمية التي خلفوها للأجيال القادمة ، فما من عصر من العصور إلا وتجد كتباً كثيرة أُلفت في ذلك العلم المفيد .

لذا كان على من يريد التعرف على أي عالم أو مفكر أو عين من أعيان التاريخ أن يرجع إلى هذه الكتب والمؤلفات ، ويبحث في بطونها ، حيث يجد ما يسعفه في التعرف على ذلك العالم أو المفكر أو العين ، ويعينه على الوصول إلى ضالته المنشودة .

وابن عادل ـــ رحمه الله تعالى ـــ كعالم ومفسر وفقيه ، إذا أردنا التعرف عليه فما علينا إلا أن نرجع إلى كتب التراجم التي ألفت في عصره ، أو بعد عصره لنجد ما يعرفنا عليه ، ويطلعنا على أحواله ، ويزودنا بالمعلومات الكافية عنه .

لكنه مما يحز في النفس أن كتب التراجم التي أُلفت في عصر ابن عادل لم تترجم له شيئاً، مثل كتاب الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي طبقات المفسرين للسيوطي ، والتي أُلفت بعد عصره بفترة قصيرة مثل طبقات المفسرين للداودي ، لذا كان مفسراً مغبوناً لم يعط حقه، وفقيهاً مغموراً لم يَحظَ بالتعريف والشهرة .

ومع عدم وجود ترجمة لابن عادل في كتب التراجم التي ألفت في عصره أو بعده، فإن هناك تراجم متأخرة عن عصره كتبت عنه، لكنها لم تعطه حقه في التعريف عليه ، فكانت ترجمته نزراً يسيراً،ويمكن تقسيم كتب التراجم التي تحدثت عنه إلى قسمين:

الأول : القديمة التي ألفت في القرن الحادي عشر .

الثاني : المعاصرة التي ألفت في هذا العصر .

القسم الأول : كتب التراجم القديمة وهي :

1 ـــ طبقات المفسرين لأحمد الأدنروي المتوفى سنة 1033هـ : فقد ترجم له ترجمة قصيرة ، أثنى فيها عليه بالعلم والفضل ، ونوَّه بتفسيره الكبير وما حواه من علوم ، فقال : "

العالم الفاضل سراج الدين ، قد صنف التفسير المسمى "اللباب في علوم الكتاب" ، وهــو مــن التفاسير في نحو عشرة مجلدات ، كان مشحوناً بأنواع قواعد اللغة العربية ، والعلوم السائرة في في التفسير من أسامي الكتب ".[١]

2 ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧هــ: فقــد ترجم له ترجمة قصيرة جداً ، ذكر فيها اسم الكتاب واسم مؤلفه ، ونوه بشهرته ، فقال: " اللبـاب في علوم الكتاب في ست مجلدات لسراج الدين عمر بن علي بن عادل أبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة 880هــ ، وهو تفسير مشهور "(2) .

3 ــ هديه العارفين لإسماعيل باشا البغدادي : ترجم له ترجمة قصيرة ، ذكر فيها اســمه وشهرته ، وذكر اسم تفسيره ، فقال : ابن عادل ــ عمر بن علي بن عادل أبو حفص الحنبلــي النعماني ، من تصانيفه " اللباب في علوم الكتاب " في تفسير القرآن ، فرغ مــن تأليفــه فــي رمضان سنة879 هــ ".[3]

القسم الثاني : كتب التراجم الحديثة

اهتم بعض الباحثين في العصر الحديث بالكتابة عن المؤلفين والأعيان والعلماء الذين برعوا في شتى ميادين العلم ، فألفوا الكتب الكثيرة التي حوت على تراجم لكثير من العلماء والمؤلفيــن والأعيان ، ولم تقتصر هذه الكتب على العصر الحديث ، وإنما شملت مختلف العصور ، فكـانت جامعة إلى حد ما ، وقد ورد اسم ابن عادل في بعض هذه المؤلفات ، منها :

1 ــ الأعلام للزركلي : ترجم له ترجمة متوسطة، ذكر فيها اسمه وشهرته،ونوه بتفسيره ، وذكر أن له حاشية على المحرر في الفقه ، قال فيها : " عمر بن علي بن عادل الدمشقي ، أبــو حفص ، سراج الدين ، صاحب التفسير الكبير " اللباب في علوم الكتاب " ، قال صاحب الأزهار الطيبة النشر : " له حاشية على المحرر في الفقه ، ولم أعثر له على ترجمة "(4).

2 ــ معجم المؤلفين لرضا عمر كحالة : ترجم له ترجمة قصيرة قال فيها : " ابن عادل ــ عمر بن علي بن عادل أبو حفص الحنبلي النعماني من تصانيفه "اللباب في علوم الكتاب" فــي تفسير القرآن ، فرغ من تأليفه في رمضان سنة879هــ".[5]

3 ــ معجم المفسرين لعادل نويهض : ترجم له ترجمة قصيرة ، ذكر فيها اسمه ونسبــه

---

(١) الأدنروي : طبقات المفسرين (418-419) .

(2) حاجي خليفة : كشف الظنون (1543/2) .

[3] إسماعيل باشا : هدية العارفين (794/1) .

(4) الزركلي : الأعلام (58/5) .

[5] كحالة : معجم المؤلفين (300/7) .

وذكر اسم مؤلِّفه في التفسير ، فقال : " عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص ، له " اللباب في علوم الكتاب " توفي سنة 880هـ "[1].

4 ـ تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني بروكلمان : ترجم له ترجمة قصيرة ، ذكر فيها اسمه واسم كتابه ، فقال : " هو سراج الدين أبو حفص "عمرو" عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي ، كتب عام 880هـ " اللباب في علوم الكتاب " .[2]

هذا ومع قلة المترجمين لابن عادل ،وقصر الترجمات التي ذكرته في كتب التراجم ، إلا أنها أشارت إلى أمرين اثنين هما :

1 ـ كونه مفسراً .

2 ـ كون تفسيره حوى كثيراً من علوم والقرآن .

---

[1] نويهض : معجم المفسرين (389/4) .

[2] برو كلمان : تاريخ الأدب العربي (466/8) .

الفصل الثاني

القيمة العلمية لتفسير ابن عادل

المبحث الأول

القيمة العلمية لتفسير ابن عادل من خلال الأهداف التي توخاها ابن عادل ومدى تحققها فيه

لقد دأب المؤلفون عند كتابة أي كتاب أن يضع كل مؤلف مقدمة لكتابه يحدد فيها الدافع لتأليف هذا المُؤَلَّف أو الكتاب ، ويبين طريقته في الكتابة والعرض التأليف ، ويعين الهدف والغاية المرجوة من هذا العمل ،قد تستغرق هذه المقدمة صفحات كثيرة من الكتاب أو المؤلّف .

وبالنسبة لابن عادل فإنه لم يؤلف تفسيره لمجرد الرغبة في التأليف ، أو من باب الترف الفكري ، أو شغل أوقات الفراغ ، وإنما نراه يقول في مقدمته القصيرةالتي لا تزيد عن سطرين : "وبعد فهذا كتاب جمعته من أقوال العلماء في علوم القرآن ، وسميته : " اللباب في علوم الكتاب " ، ومن الله أسأل العون ، وبلوغ الأمل ، والعصمة من الخطأ والزلل "[1] ، والتي نستطيع من خلالها أن نحدد طريقته في التأليف ، والغاية التي كان ينشدها من عمله هذا .

أما الطريقة فهي جمع أقوال العلماء في المسألة الواحدة ، وهذا يتطلب جهداً كبيراً في القراءة والبحث والمطالعة ، ثم عرض هذه الأقوال ومناقشتها إذا لزم الأمر ، وهذا يحتاج إلى قريحة متوقدة ، وذكاء كبير ، وإدراك واسع ، وأما الغاية والهدف فهو أن يحظى بشرف خدمة كتاب الله عز وجل ، كما حظي سابقوه بهذه الخدمة الجليلة ، وأن يكون تفسيره هذا في عداد التفاسير ،وهذه غاية كل مفسر يقبل على كتاب الله عز وجل .

والسؤال الذي يطرح نفسه هل طبق ابن عادل ما خطه لنفسه في مقدمته القصيرة وهو جمع أقوال العلماء ؟ وهل حوى تفسيره علوم الكتاب كما سماه ؟ وهل تحقق الهدف الذي كان ينشده وهو خدمة كتاب الله تبارك وتعالى ؟ .

أما بالنسبة لتطبيق ما خطه لنفسه وهو جمع أقوال العلماء في تفسيره فقد وُفِّقَ فيه ، حيث جمع ما استطاع جمعه من أقوال العلماء في أغلب المسائل التي كان يطرحها ، في مختلف القضايا ، يتناولها من معظم جوانبها ونواحيها ، ولنرى مدى هذا التطبيق في تفسير ابن عادل ، نورد أمثلة على كل قضية طرحها وتناولها .

أولاً : القضية اللغوية

طرح ابن عادل في تفسيره قضايا لغوية كثيرة ، جمع فيها أقوال العلماء فيها ، منها:

---

[1] ابن عادل : اللباب (79/2) .

(2) البقرة : 158.

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(إن الصفا والمروة من شعائر الله)**[1]عرف معنى الشعائر فقال : " الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة ، فكل شيء جُعِلَ علماً من أعلام طاعة الله فهو من شعائر الله تعالى " ، ولم يكتف بهذا التعريف ، فنقل عن الجوهري[2]والهروي[3]، فقال : " ونقل الجوهري أن الشعائر هي العبادات ، والمشاعر أماكن العبادات ، ففرق بين الشعائر والمشاعر ، وقال الهروي : الأجود لا فرق بينهما والأجود شعائر بالهمز ، لزيادة حرف المد ، وهو عكس "معايش " و"مصايب"[4].

2 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله)**(5) عقد فصلاً ذكر فيه معنى الأذان ، ونقل فيه عن الأزهري ما قاله في ذلك ، فقال : " و الأذان : الإعلام ، قال الأزهري : آذنته إيذاناً ، فالأذان يقوم مقام الإيذان ، وهو المصدر الحقيقي "[6] ، ونقل كذلك عن النووي ما قاله في بيان معنى الأذان فقال : " ونقل النووي في "التهذيب" عن الهروي ــ الأزهري ــ قال : ويقال فيه الأذان ، والأَذين والإيذان ، قال : ــ أي الهروي ــ وقال لي شيخي : الأَذين هو المُعْلِمُ بأوقات الصلاة "[7] .

3 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً)**(8) عقد فصلاً في بيان الموبق،ذكر فيه أقوال العلماء فيه، فقال: " قال الزمخشري وغيره: والموبق:المهلك،يقال: وَبَقَ يَوْبِقُ وَبَقاً أي هلك، ووَبِقَ يَبِق وُبوقاً أيضاً هلك وأوبقه ذنبه[9]،وعن الفراء:جعل الله تواصلهم هلاكاً(10) ، وقال ابن الأعرابي[11] : كل حاجز بين الشيئين يكون الموبق ، وقال الحسن:"موبقاً" أي:عداوة ،هي في شدتها هلاك(12) "[13] .

ثانياً : القضية النحوية

---

[1] البقرة : 158 .

[2] هو إسماعيل بن حماد الفارسي الجوهري ، أخذ العلم عن الفارابي والسيرافي والفارسي وغيرهم ، له تصانيف منها "الصحاح في اللغة" ت393 هـ . حاجي خليفة : كشف الظنون (1071/2) .

[3] هو محمد بن أحمد الأزهري الهروي ، أخذ العلم عن ابن نفطويه وابن السراج وغيرهم ، له التهذيب في اللغة والتقريب في الفقه وغيرها ، ت370 هـ . حاجي خليفة : كشف الظنون (515/1) .

[4] ابن عادل:اللباب(93/3) .

(5) التوبة : 3 .

[6] ابن عادل : اللباب (11/10) .

[7] ابن عادل:اللباب (12/10) ، النووي:تهذيب الأسماء واللغات(6/3).

(8) الكهف : 52 .

[9] الزمخشري : الكشاف (488/2) .

(10) الفراء : إعراب القرآن (147/2) .

[11] هو محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، له مصنفات منها الأنواء ، الألفاظ ، وغيرها ، ت 233هـ . حاجي خليفة : كشف الظنون (1396/2, 1399) .

(12) الطبري : جامع البيان (64/15 2) .

[13] ابن عادل : اللباب (512/12) .

مما امتاز به تفسير ابن عادل اهتمامه بالقضايا النحوية ، فقد أولاها عناية خاصة واهتماماً كبيراً ، فعند إعرابه كلمة أو جملة كان يأتي بأقوال العلماء فيها ، وهذه أمثلة على ذلك :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وواعدنا ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة)**[1] ذكر في إعراب " أربعين " أربعة أوجه ،نقل في الوجه الأول منها أقوال العلماء فيه ، فقال : " قال الزمخشري : "وأربعين" نصب على الحال ، أي تم بالغاً هذا بالعدد[2] ، قال أبو حيان : فعلى هذا لا يكون الحال "أربعين" ، بل الحال هذا محذوف فينافي قوله[3] ، قال شهاب الدين ــ السمين الحلبي ــ : لا تنافي فيه ، لأن النحاة لا يزالون ينسبون الحكم للمفعول الباقي بعد حذف عامله المنوب عنه ، وله شواهد منها : زيد في الدار ، أو عندك[4]"[5] .

2 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وما عند الله خير للأبرار)**[6] ، نقل في إعراب "خير للأبرار" أقوال العلماء فقال : " ونقل أبو البقاء ــ عن بعضهم ــ أنه جعل "للأبرار" حالاً من الضمير في الظرف ، "خير" خبر المبتدأ ، قال ــ أبو البقاء ــ : وهذا بعيد لأن فيه الفصل بين المبتدأ والخبر بحال لغيره، والفصل بين الحال وصاحب الحال بخبر المبتدأ ، وذلك لا يجوز في الإختيار[7]،قال أبو حيان: وقيل فيه تقديم وتأخير،أي : الذي عند الله للأبرار خير لهم[8]"[9] .

3 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب)**[10] ذكر في إعراب "وما يتلى" سبعة أوجه ، منها وجهي الجر،قال في الثاني منهما : " أنه عطف على الضمير المجرور ب "في" ، أي يفتيكم فيهن وفيما يتلى ، وهذا منقول عن محمد بن أبي موسى[11]،قال:أفتاهم الله فيما سألوا عنه وفيما لم يسألوا"[12] .

ثم ذكر رد الزمخشري والزجاج لهذا الوجه ، فقال : " قال الزمخشري : ليس بسديد أن يُعطف على المجرور في "فيهن" لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى[13]،وهذا سبقه إليه أبو إسحاق الزجاج ، قال : وهذا بعيد بالنسبة إلى اللفظ والمعنى ، أما اللفظ فإنه يقتضي عطف المظهر على

---

(1) الأعراف : 142 .

(2) الزمخشري : الكشاف (111/2) .

(3) أبو حيان : البحر المحيط (161/5) .

(4) ابن السمين : الدر المصون (477/5) .

(5) ابن عادل : اللباب (297/9) .

(6) آل عمران : 198 .

(7) أبو البقاء : التبيان (324/1) .

(8) أبو حيان : البحر المحيط (484/3) .

(9) ابن عادل : اللباب (132/6) .

(10) النساء : 127 .

(11) هو محمد بن أبي موسى ، روى عن ابن عباس ، وعنه أبو سعد البقال ، ذكره ابن حبان في الثقات . ابن حجر : تهذيب التهذيب (3/14 7) .

(12) ابن عادل:اللباب (7/4 4) الطبري:جامع البيان (301/5) .

(13) الزمخشري : الكشاف (567/1) .

المضمر ، وأما المعنى فلأنه ليس المراد أن الله يفتيكم في شأن ما يتلى عليكم في الكتاب ، وذلك لم يجز ، كما لم يجز في قوله: (**تساءلون به والأرحام**)[1] [2]، يعني من غير إعادة الجار"[3].

ثالثاً : القضية الفقهية :

اهتم ابن عادل في تفسيره بالأمور الفقهية ، فكان يتطرق إليها حسب ما يراه مناسباً في تفسير الآية ، وكان يأتي بأقوال الفقهاء في المسألة الفقهية التي وهذه نماذج على ذلك :

1 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : (**للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً**)[4] عقد فصلاً في قسمة العقار الذي غنمه المسلمون ، ذكر فيه اختلاف الفقهاء في قسمته ، فقال : " اختلفوا في قسمة العقار ، فقال مالك : للإمام أن يوقفها في مصالح المسلمين "[5] ،وقال أبو حنيفة : الإمام مخير بين قسمتها ، أو وقفها لمصالح المسلمين"[6] وقال الشافعي: ليس للإمام حبسها عنهم بغير رضاهم بل يسمها عليهم كسائر الأموال، فمن طاب نفساً من حقه للإمام أن يجعلها وقفاً عليهم فله ، ومن لم تطب نفسه فهو أحق بماله "[7] [8] .

2 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : (**فمن فرض فيهن الحج**)[9] عقد فصلاً في متى ينعقد الحج ذكر فيه أقوال الفقهاء ، فقال : " قوله : " فمن فرض فيهن الحج " يدل على أنه لابد للمحرم من فعل يفعله يصير به محرماً وحاجاً ، واختلفوا في ذلك الفعل ، فقال الشافعي[10] وأحمد[11] : ينعقد الإحرام بمجرد النية ، من غير حاجة إلى التلبية ، قال أبو حنيفة[12]: لا يصح الشروع في الإحرام بمجرد النية حتى يضم إليها التلبية أو سوق الهدي"[13] .

4 ـ القضية التفسيرية :

تناول ابن عادل عند تفسيره لأغلب الآيات القرآنية المقصود من الكلمة من حيث معناها الشرعي ، زيادة على معناها اللغوي ، أو العبارة من حيث مدلولها الشرعي، والمعنى المراد منها ، زيادة على مدلولها البياني والبلاغي ، وهذه أمثلة على ذلك :

1 ـ عند تفسيره لقوله تعالى: (**فاقرءوا ما تيسرمن القرآن**)[14] ذكر أقوال العلماء في المراد من القراءة الواردة في هذه الآية ، فقال: "قيل : المراد نفس القراءة ، أي : فاقرءوا فيما

---

[1] النساء : 1 .

[2] الزجاج : إعراب القرآن (124/2) .

[3] ابن عادل : اللباب (45/7) .

[4] الحشر : 8 .

[5] انظر ابن عبد البر : الكافي (216/1) .

[6] انظر الكاساني : بدائع الصنائع (115/7) .

[7] النووي : روضة الطالبين (277/10) .

[8] ابن عادل: اللباب (587/18) .

[9] البقرة : 197.

[10] النووي : روضة الطالبين (72/3) .

[11] ابن قدامة : المغني (127/3) .

[12] السرخسي : المبسوط (4/ 6).

[13] ابن عادل : اللباب (394/3) .

[14] المزمل : 20 .

تصلون به بالليل ما خف عليكم ، قال السدي :مائة آية[1] ،وقال الحسن : من قرأ مائة آية في كل ليلية لم يحاجه القرآن[2] ،وقال كعب: من قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين[3] ،وقال سعيد بن جبير : خمسون آية[4] ، قال القرطبي : قول كعب أصح[5] ، لقوله عليه الصلاة والسلام : من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف كتب من المقنطرين" ،[6] وقيل : المعنى : "فاقرءوا ما تيسر من القرآن"أي : صلوا ما تيسر لكم ، والصلاة تسمى قرآناً ،قال تعالى : **(وقرآن الفجر إنَّ قرآن الفجر كان مشهوداً)**[7] أي : صلاة الفجر، قال ابن العربي: والأول أصح لأنه أخبر عن الصلاة وإليها يرجع القول[8]، قال القرطبي : الأول أصح حملاً للخطاب على ظاهر اللفظ ، والقول الثاني مجاز لأنه من تسمية الشيء ببعض ما هو من أعماله "[9] [10] .

2 ـ عند تفسيره لقوله تعالى : **(وعلامات وبالنجم هم يهتدون)**[11] بين المراد بالعلامات ، قال فيه : "المراد بالعلامات : معالم الطريق ، وهي الأشياء التي يُهتدى بها، وهذه العلامات هي الجبال والرياح ، قال ابن الخطيب[12] : ورأيت جماعة يشمون التراب ، فيعرفون الطرقات بشمه قال الأخفش : تم الكلام عند قوله: "وعلامات" ثم ابتدأ "وبالنجم هم يهتدون" ، وقال محمد بن كعب القرظي[13]، والكلبي : الجبال علامات بالنهار، والنجوم علامات الليل،قال السدي : أراد بالنجم الثريا ، وبنات نعش ، والفرقدين ،الجدي ، يهتدي بها إلى الطرق والقبلة ، قال القرطبي : سأل ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجم فقال صلوات الله وسلامه عليه : "هو الجدي عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم "[14]"[15]"[16].

---

(1) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (35/19) .

(2) الطبري : جامع البيان (121/29) .　　(3) نفس المصدر السابق (121/29).

(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٣٦/١٩) .　　(5) المصدر السابق (36/19) .

(6) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب تحزيب القرآن رقم (1398) (80/2) ابن خزيمة في باب ذكر فضل قراءة ألف آية رقم (1144) (182/2) .

(7) الإسراء : 78 .　　(8) ابن العربي : أحكام القرآن (1881/4) .

(9) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (36-35/19) .　　(10) ابن عادل : اللباب (484/19) .

(11) النحل : 16 .　　(12) الرازي : التفسير الكبير (9/20) .

(13) هو محمد بن كعب القرظي ، كان أبوه من سبي قريظة ، روى عن ابن عباس وزيد بن أرقم وجابر بن عبد الله وغيرهم ، وعنه محمد بن المنكدر وعمرو بن دينار وزيد بن أسلم، اتفق الجميع على توثيقه، ت08　١٠٨١هـ . النووي : تهذيب الأسماء واللغات (90/1) .

(14) أخرجه الديلمي : الفردوس بمأثور الخطاب (123/2) ، وهذا الأثر أشار إليه الطبري : جامع البيان (92/14) وفيه عطية العوفي عن ابن عباس وهو مدلس انظر ابن حجر : تهذيب التهذيب (115-113/3) ، لذلك لا يصح .

(15) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (92/10) .　　(16) ابن عادل : اللباب (35-34/12) .

أما بالنسبة لاحتوائه علوم الكتاب فإنه قد وفق فيه أيضاً ، فالمصادر التي رجع إليـــها فـــي مختلف علوم القرآن والتي تزيد على ثلاثمائة كتاب شاهدة على ذلك ، وقد تحقق الهدف الـــذي كان يرجوه وهو خدمة كتاب الله تعالى ، وقد قدم للمكتبة الإسلامية تفسيراً زاخراً بعلوم القــرآن المتعددة والمتنوعة ، يرجع إليه الباحثون والدارسون .

المبحث الثاني

القيمة العلمية لتفسير ابن عادل من خلال

معايشتي لتفسيره

بعد أن تعرفنا على قيمة تفسير ابن عادل من خلال ما توخاه من تفسيره وهو جمع أقـــوال العلماء ، وأن يحظى بشرف خدمة كتاب الله تبارك وتعالى ، وبينا أنه وُفق في تحقيق هدفـــه ، سيكون الكلام في هذا المبحث عن القيمة العلمية لتفسيره من خلال معايشتي له ، وسيتفرع إلـــى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :القيمة العلمية لتفسيره .

المطلب الثاني : الجهد التفسيري الذي بذله .

المطلب الثالث : الزيادات التفسيرية التي حواها تفسيره " اللباب في علوم الكتاب " .

المطلب الأول

القيمة العلمية لتفسيره

بعد البحث والدراسة لتفسير ابن عادل "اللباب في علوم الكتاب" يمكن إجمال قيمته العلميـة في النقاط التالية :

1 ــ يعد تفسير ابن عادل حلقة من حلقات تفاسير مدرسة الأشاعرة القائمة علــى تــأويل الصفات في معظم الأحيان ، والقول بوقوع المجاز في القرآن .

2 ــ يعد تفسير ابن عادل من التفسير بالرأي المحمود أقرب إليه من التفسير بالمــأثور ، وذلك لأنه حوى معظم أقوال المفسرين بالرأي المعتبرين الذين سبقوه، من لغة وبلاغــة وفقــه ومباحث في العقيدة على مذهب الأشاعرة وغير ذلك .

3 ــ يعتبر ابن عادل مقلداً في التفسير أكثر منه مجتهداً ومبدعاً ، وجامعاً أكثر منه محققاً ، كثير الاعتماد في تفسيره على تفسير ابن عطية وأبي حيان والسمين الحلبي ــ ابن شهاب الديـن ــ في النحو والإعراب ، وعلى تفسير الزمخشري في الناحية البلاغية وعلى تفسير الرازي فـي الناحية العقدية ، وعلى تفسير القرطبي وابن العربي المالكي وأبو بكر الجصاص والكيا الهراسي في الناحية الفقهية ، وعلى تفسير الطبري والبغوي في الأثر .

4 ــ أبدع ابن عادل في تسخير علوم اللغة والنحو الإعراب لتفسير القرآن الكريم ، معتمداً في ذلك على أمات كتب النحو وإعراب القرآن ، كالكتاب لسيبويه ، والتبيان في إعراب القــرآن والإملاء لأبي البقاء ، وإعراب القرآن للزجاج ، وإعراب القرآن للفــراء ، وإعــراب القــرآن للنحاس وغيرها .

5 ــ زخر تفسير ابن عادل بالشواهد الشعرية ، سواء كانت للتدليل علــى صحــة الوجــه اللغوي ، أو الإعرابي ، أو على غير ذلك من الوجوه ، فقد نافت على خمسة آلاف بيــت مــن الشعر ، وهذا يدل على مُكْنَتِه في التدليل على ما يطرحه من قضايا اللغة والإعراب ، أو فــي مناقشته ورده لقول غيره ، حتى إنه كان يأتي بأكثر من بيت في الموطن الواحد ، فعند تفســيره لقوله تعالى : **(ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شــيء عليــم)**[1] أتــي ببيتين من الشعر ليدلل على معنى "إلى" فقال : " وقيل هي بمعنى "على" فتكون في المعنى كقول الشاعر :

قد استوى بشرٌ على العراقِ   من غيرِ سيفٍ أو دمٍ مِهراقِ[2]

---

[1] البقرة :29.

[2] ابن قيس، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ، ت 281 هـ : قرى الضيف، . الناشر أضواء السلف ــ الرياض ــ 1997 م ، ط٢ تحقيق عبد الله بن حمد المنصور (276/5) .

ومثله قوله الآخر :

فلما علَونا واستَوَيْنا عليهمُ تركناهُمُ صَرْعى لِنِسْرٍ وكاسرِ "[1]"[2] .

6 ــ خلا تفسير ابن عادل من التفسير الصوفي تماماً ، فلم يتطرق إليه نهائياً .

هذا ومما يؤخذ عليه في تفسيره ما يلي :

1 ــ خلو تفسيره من المقدمة التي تحدد طريقته ومنهجه في التفسير ، وتبين الهدف من تأليف هذا التفسير ، فقد اقتصر على مقدمة قصيرة لا تتجاوز سطرين ــ كما سبق وأن أشرت إلى ذلك ــ مما جعل الباحث يتكلف في بيان طريقته ومنهجه ، والهدف والغاية من تأليف هذا التفسير .

2 ــ قلل من الاعتماد على مذهب السلف في الأمور العقدية .

3 ــ مع اعتماده على علوم اللغة والنحو في تفسيره إلا أنه كان يبالغ في كثير من المواضع مما جعله يخرج أحياناً عن غرض التفسير إلى غرض اللغة والنحو .

4 ــ كان ينقل في التفسير بالمأثور إذا تطرق إليه أحياناً عن السدي الصغير والكلبي وغيرهم من الضعفاء والمتروكين .

5 ــ لم يعن ابن عادل بالحكم على الحديث إلا قليلاً عند تفسيره للآيات القرآنية مكتفياً بذكره فقط ، دون أن يحكم عليه .

6 ــ مع استشهاده بالشواهد الشعرية للتدليل على صحة الوجه اللغوي والنحوي إلا أنه أسرف في ذلك وبالغ كثراً .

ومع ذلك فإن ابن عادل رحمه الله قد قام بجهد مبارك في تفسير كتاب الله عزوجل، فقدم للمكتبة الإسلامية تفسيراً جديداً ، ليكون مرجعاً للباحثين والدارسين وطلبة العلم .

---

[1] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (278/3) .

[2] ابن عادل : اللباب (488/1-489) .

المطلب الثاني

الجهد التفسيري الذي بذله في تفسيره

بذل ابن عادل جهداً كبيراً في التفسير ، يتمثل في النقاط التالية :

1 ــ تتبعِ أقوالِ المفسرين ، والتوسع فيها ، وذكر دليل كل قول إذا استدعى الأمر ذلــــك ، ليطلع القارئ على ما قيل في الآية ، أو المسألة المبحوثة ، حتى إنه ليذكر في تفسير الآية أقوالاً كثيرة ، فمثلاً :

أ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(والشفع والوتر)**[1]عقد فصلاً في معنى الشفع والوتر،ذكــر فيه أكثر من اثني عشر قولاً في بيان معناهما ، مدللاً في أغلبها بدليل يؤيد ما ذهب إليه صاحب كل قول (2).

ب ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(ومزاجه من تسنيم)**[3]عقد فصلاً في معنى التسنيم ، ذكـر فيه ستة أقوال في بيان معناه ، مدللاً علىبعضها بدليل يؤيد ما ذهب إليه صاحب كل قول(4).

2 ــ بذلِ الجهد في محاولة الترجيح بين الأقوال التي كان يطرحها في المسألة الواحدة حسب وجوه الترجيح التي اعتمدها ، فعلى سبيل المثال رجح بأن المراد من عدم كلام زكريــــا عليه السلام لقومه ثلاثة أيام هو المعجزة ، وليس المرض[5] ، وغير ذلك كثير .

3 ــ بذلِ الجهد في رد بعض الأقوال في كثير من المواطن ، وبيان بطلانها ، وإن كــــان هذا يندرج تحت الفقرة السابقة ، لكن هناك فرق شاسع بين الترجيح و الرد فــــالترجيح يكــون بتقوية جانب القول القوي الذي تدعمه الأدلة على الضعيف ، أما الرد فهو طرح القول المخــالف من أساسه ، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى:(**ثلة من الأولين وثلة مـــن الآخريــن)**(6)رد قــول الواحدي عندما قال: " أصحاب الجنة نصفان : نصف من الأمم الماضية ، ونصف مـــن هــذه الأمة "[7]، فقال : " ويرد هذا ما روى ابن ماجه في سننه والترمذي في جامعه عن بريـــدة بــن الحصيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهل الجنة عشرون ومائة صنف، ثمــانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم "[8]قال الترمذي : هذا حديث حسن "(9) .

4 ــ القدرة الفائقة والمهارة المميزة على تسخير العلوم الأخرىلخدمة أغراض التفســـير، كعلم القراءات،وعلم الفقه،وعلم الأصول،وعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة ،وغيرهـــا ،

---

(1) الفجر : 3 .
(2) ابن عادل : اللباب (20/311-312) .
(2) المطففين : 27 .
(4) ابن عادل : اللباب (20/222-223) .
(5) أنظر ابن عادل : اللباب (13/23) .
(6) الواقعة : 39-40 .
(7) ابن عادل : اللباب (18/404) ، الواحدي : الوجيز (2/1061) .
(8) سبق تخريجه في صفحة (215).
(9) ابن عادل : اللباب (18/404) .

وهذا الأمر أُبرز في البابين الثاني والثالث بشيء من التفصيل ، وأذكر هنا آية استخدم فيها العلوم الأخرى ، وهي قوله تعالى : **(وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)**[1] .

أ ــ النحو : قال : "لن نصبر" ناصب ومنصوب ، والجملة في محل نصب بالقول "(2).

ب ــ اللغة : قال : " الذِّلة : الصغار ، والذُّل بالضم ما كان عن قهر ، وبالكسر ما كان بعد شَماسٍ[3] من غير قهر ، قاله الراغب "[4].

ت ــ القراءات:قال :" الفوم":الثوم،ورُوي عن علقمة وابن مسعود أنه قرأ:"وثومها"(5).

ث ــ الفقه : قال : " اختلف العلماء في أكل البصل والثوم والكراث وما له رائحة كريهة من البقول ، فذهب الجمهور إلى الإباحة ، للأحاديث الثابتة في ذلك "(6) .

ج ــ الأصول : عقد فصلاً في المراد ب"مصر" قال فيه:" قال قوم : المراد من "مصر" البلد الذي كانوا فيه مع فرعون ، لقوله تعالى : **(ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم)**(7) فأوجب دخول تلك الأرض"[8]وتابع الكلام إلى أن قال: " ثبت في الأصول أن ظاهر الأمر يفيد الوجوب "(9).

ح ــ البلاغة:ذكر فائدة تكرار قوله تعالى:" بغير الحق " مع أن قتل الأنبياء بحد ذاته لا يكون إلا بغير حق فلماذا كرَّر هذه العبارة ؟ فقال مبيناً هذه الفائدة :" هذا التكرار للتأكيد،كقوله تعالى : ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ، ويستحيل أن يكون لمدعي الإله الثاني برهان "(10) .

خ ــ الحديث : قال عند بيان تعريف "الحق" في قوله تعالى " بغير الحقّ" : "الحق المعلوم الذي يوجب القتل فيما بين الناس هو قوله عليه الصلاة والسلام : " لا يحل دم امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، كفر بعد إيمان ، وزنىً بعد إحصان ، وقتل نفس بغير حق "[11].

---

[1] البقرة : 61 .　　(2) ابن عادل : اللباب (113/2) .

[2] الشَّماس بفتح الشين المشددة : الإباء . انظر الزيات : المعجم الوسيط مادة شمس (1/94 5) .

[4] ابن عادل:اللباب(124/2)،الراغب:المفردات(183). (5) ابن عادل:اللباب(116/2)ابن خالويه:مختصرشواذالقرآن (14).

(6) ابن عادل : اللباب (118/2) .　　(7) المائدة : 21 .

[8] ابن عادل : اللباب (122/2) .　　(9) ابن عادل : اللباب : (123/2) .

(10) ابن عادل : اللباب (131/2) .

[11] أخرجه أبو داود في كتاب الديات باب الإمام يأمر بالعفو رقم (4502)(417/4) النسائي في كتاب تحريم الدم باب ذكر ما يحل به دم المسلم رقم (4016)(90/7) ابن ماجه في كتاب الحدود باب لا يحل دم امرئ مسلم رقم (2533)(847/2)=

5 ـ الاهتمام بالأمور العقدية ، فقد أولى هذه القضية اهتماماً كبيراً ، فكان يعقد فصولاً كثيرة في الرد على الفرق الضالة التي تحاول تفسير النصوص القرآنية حسب مبادئها المنحرفة، وأفكارها المغلوطة ، كالمعتزلة والمرجئة والقدرية وغيرها من الفرق الضالة المنحرفة ، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : **(وأُلْقِيَ السحرة ساجدين)**[1] عقد فصلاً ذكر فيه مذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة في تحديد المُلْقِي فقال : " احتج أهل السنة بقوله تعالى : " وأُلقي السحرة ساجدين " على أن غيرهم ألقاهم ، وما ذلك إلا رب العالمين ، وهذا يدل على أن فعل العبد خلقُ الله تعالى "[2] ثم ذكر رد المعتزلة على قول أهل السنة فقال :" وأجاب المعتزلة بوجوه :

أحدها : أنهم لما شاهدوا الآيات العظيمة لم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين ، فصاروا كأن مُلْقِياً ألقاهم .

ثانيها : من سرعة سجودهم كأنهم أُلْقوا .

ثالثها : أنه ليس في الآية مُلقياً ألقاهم ، فنقول : ذلك الملقي هم أنفسهم "[3].

ثم ردَّ على ردِّ المعتزلة ، فقال : " والجواب أن خالق تلك الداعية في قلوبهم هو الله تعالى وإلا لافتقر خلق تلك الداعية إلى داعية أخرى ، ولزم التسلسل وهو محال ، ثم إن أصل القدرة مع تلك الداعية الجازمة تصير موجبة للفعل ، وخالق ذلك الموجب هو الله تعالى ، فكان ذلك الفعل مسنداً إلى الله تعالى "[4].

الترمذي في كتاب الفتن باب لا يحل دم امرئ مسلم رقم (2158)(460/4) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

[1] الأعراف : 120 .

[2] ابن عادل : اللباب (265/9) .

[3] ابن عادل : اللباب (265/9) .

[4] ابن عادل : اللباب (265/9) .

المطلب الثالث

الزيادات التفسيرية التي حواها تفسيره " اللباب في علوم الكتاب "

سبق وأن أشرت إلى أن ابن عادل كان مقلداً أكثر في التفسير منه مجتهداً،وجامعاً أكثر منه محققاً ، وأن تفسيره يعد من التفسير بالرأي المحمود وإن حوى كثيراً من التفسير بالمأثور ، وأنه اعتمد على أمات كتب التفسير المعتبرة في فني التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور ، إلا أنه مع ذلك قد احتوى كتابه "اللباب في علوم الكتاب"على زيادات قليلة في التفسير في مواضيع مختلفة منها :

1 ــ من الزيادة في مجال الفقه الإشارة إلى بعض الأحكام ، منها بعض أحكام الوكالة ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : (**إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون**)[١] بيَّن أن الرسل الذين أرسلهم عيسى ــ عليه السلام ــ هم رسل الله ، فقال : " قال تعالى : إرسال عيسى ــ عليه السلام ــ هو إرسالنا رسولَ رسولِ الله بإذن الله ، فلا يقع في لك يا محمد أن أولئك كانوا رسلَ الرسلِ ، وإنما هم رسلُ الله ، فإن تكذيبهم كتكذيبك "(2) ، ثم ذكر بعض أحكام الوكالة التي رأى أن هذه الآية تدل عليها ، فقال :" ويؤيد هذا مسألة فقهية : وهي أن وكيل الوكيل بإذن المُوكِّل وكيلُ المُوكَّل لا وكيل الوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل إياه ، وينعزل إذا عزله المُوكِّل الأول "(3).

2 ــ ومن الزيادة في مجال الإعراب إضافة قوله الذي يراه إلى الأقوال التي ذكرها ، فعند تفسيره لقوله تعالى:(**أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا**)(4)ذكرفي إعراب "أسمع بهم وأبصر" قولين :

الأول : أن فاعل "أسمع" هو المجرور بالباء والباء زائدة وزيادتها لازمة إصلاحاً للفظ ، لأن "أَفْعِل" أمراً لا يكون فاعله إلا ضميراً مستتراً ، ولا يجوز حذف الباء إلا مع أنَّ وإنَّ .

الثاني : أن الفاعل مضمر ، والمراد به المتكلم ، كأن المتكلم يأمر نفسه بذلك ، والمجرور بعده في محل نصب .

ثم أضاف إلى هذين القولين ما ذهب إليه ، فقال : " ولنا قول ثالث : أن الفاعل ضمير المصدر ، والمجرور منصوب المحل أيضاً ، والتقدير : أحسن يا حُسْنُ بزيد ، ولشبه هذا

---

(١)يس : 14 .

(2) ابن عادل : اللباب (182/16) .

(3) ابن عادل : اللباب (182/16). ولتوضيح هذه العبارة نضرب مثلاً : وكَّل محمد زيداً في بيع بيته ووكَّله في تعيين وكيلاً عنه ، فوكَّل الوكيل زيدٌ بكراً في هذا البيع فإن بكراً يكون وكيلاً عن محمدٍ لا عن زيدٍ حتى لا ينعزل بكرٌ بعزل زيدٍ بل ينعزل بعزل محمدٍ ــ الموكلٌ الأول ــ له .

(4) مريم : 38 .

بالفاعل عند الجمهور بالفضلة لفظاً جاز حذفه للدلالة عليه كهذه الآية ، فإن تقديره: وأبصر بهم، وفيه أبحاث موضوعها كتب النحو "[1] .

3 ـــ ومن الزيادة في مجال اللغة الإشارة إلى الفائدة من تخصيص كلمة بـــأخرى ، فعنـــد تفسيره لقوله تعالى : **(إلا تذكرة لمن يخشى)**[2] بين الفائدة من تخصيص من يخشى بالتذكر فقال: " وخُص من يخشى بالتذكُّر لأنهم المنتفعون بها ، كقوله تعالى : **(هدىً للمتقين)**[3][4]" ، أي خص من يخشى بالتذكُّر لأنهم المنتفعون بها كما خُص المتقون بالهدى لأنهم المنتفعون بها .

4 ـــ ومن الزيادة في مجال البلاغة الإشارة إلى الفائدة البلاغية من مجيء العبـــارة بـــهذه الصياغة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : **(فقد صغت قلوبكما)**[5] ذكر أن "قلوبكمـــا" مـــن أفصـــح الكلام، وهو ما ذهب إليه من القرآن الكريم فقال : " وقوله : "قلوبكما" من أفصح الكلام حيـــث أوقع الجمع موقع المثنى استثقالاً لمجيء تثنيتين لو قيل "قلباكما" ، ومن شأن العرب إذا ذكـــروا الشيء من اثنين جمعوهما "[6] .

---

(1) ابن عادل : اللباب (68/13) بتصرف .

(2) طه : 3 .

(3) من قوله تعالى : **(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين)** البقرة : 2 .

(4) ابن عادل : اللباب (172/13) .

(5) التحريم : 4 .

(6) ابن عادل : اللباب (197/19) .

المبحث الثالث

أثر ابن عادل في المفسرين

من المسلم به أن العلم أخذ وعطاء ، وتلق وتعليم ، يأخذ المتأخر عن المتقدم ، يترك السابق للاحق ثروة علمية زاخرة بشتى أنواع العلوم ، يستفيد منها اللاحق ما يعينه على متابعة مسيرته العلمية ، ويستعين بها إذا استعصت عليه مشكلة ، أو أشكل عليه فهم قضية .

وتفسير كتاب الله تبارك وتعالى علم كسائر العلوم ينطبق عليه ما ينطبق على العلوم الأخرى ، فقد ترك المفسرون المتقدمون للمفسرين المتأخرين ثروة علمية زاخرة في علوم القرآن وتفسيره ، ما يستعينون به على فهم كتاب الله تبارك وتعالى ، ومعرفة دقائقه ، والغوص في بحار معانيه ، والإطلاع على أسراره وخفاياه .

ومكانة المفسر العلمية وقدرته على الإبداع والتجديد لها أثر كبير ، ودور هام في إقبال المفسرين الآخرين المعاصرين أو اللاحقين على تفسيره ، إما للاستفادة منه ، أو مناقشته ونقده ، أو معارضته أو رفضه ونقضه .

وابن عادل قبل أن يكون له أثر في المفسرين الذين جاءوا بعده ، اطلع على كتب سابقيه في التفسير وعلومه ، واستفاد مما كتبوه ، فناقش كبار المفسرين في مواضع متعددة في تفسيره ، ونقل عنهم في مواضع أخرى ، فكان تفسيره جامعاً لكثير من العلوم القرآنية ، شاملاً لمعظم قضايا التفسير المتعددة .

وابن عادل رغم المكانة العلمية التي كان يتمتع بها في عصره ، إلا أنه كان عالماً مغبوناً ، ظلت شهرته العلمية محدودة ، وبالتالي فإن تفسيره " اللباب في علوم الكتاب " ظل مغموراً ومجهولاً عند كثير من العلماء ، وعامة الناس ، حتى قيض الله له من حققه ليخرجه إلى عالم الذكر بعد أن كان في عالم النسيان ، وليضيف إلى المكتبة الإسلامية سفراً كبيراً ، وكتاباً عظيماً يحوي بين دفتيه كثيراً من علوم القرآن الكريم .

لم يكن تفسير ابن عادل هو الوحيد الذي أُلف في ذلك العصر ، بل أُلفت تفاسير كثيرة في المأثور ، وفي الرأي المحمود ، كان أصحابها يتمتعون بمكانة رفيعة المستوى كالإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911هـ ، والإمام جلال الدين المحلي المتوفى سنة 864هـ ، والإمام عبد الرحمن بن محمد الثعالبي الجزائري المتوفى سنة 876هـ ، والإمام محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المعروف بأبي السعود المتوفى سنة 893هـ وغيرها ، غطت شهرتها ما عداها من التفاسير التي ألفت في ذلك العصر ، والتي من ضمنها تفسير ابن عادل ، مما جعله مغموراً ومجهولاً لدى كثير من العلماء ، خاصة المفسرين .

ومما يثير الانتباه أن عالماً مؤرخاً ، كالإمام السيوطي الذي يعتبر مرجعاً في معرفة المفسرين يغفل عن ذكر ابن عادل في كتابه "طبقات المفسرين"،على الرغم من أنه كان معاصراً له ، فلا يذكره ولا يشير إلى مكانته العلمية ، ويأتي من بعده تلميذه الداودي[1] الذي استدرك على شيخه ما فاته ، لكنه لم يذكر ابن عادل ولم يترجم له .

بقي اسم ابن عادل في طي عالم النسيان ، حتى جاء الأدنروي[2]في القرن الحادي عشر فأشار إلى تفسير ابن عادل وترجم لصاحبه ترجمة قصيره نوه فيها بهذا التفسير .

أما أثر ابن عادل في المفسرين الذين جاءوا من بعده فكان قليلاً ، يعود ذلك لعدم شهرة تفسير ابن عادل بين أهل العلم ، ومن خلال تتبع كتب التفسير التي جاءت من بعده لم أجد سوى عالماً واحداً ، رجع إليه ونقل عنه ، هو الإمام الخطيب الشربيني[3] في تفسيره المسمى" السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير " ، حيث نقل عنه القليل من الأمور المتعلقة بتفسير بعض الآيات ، وكان هذا النقل بالعزو وبدون عزو .

أما بالنسبة للعلماء المعاصرين ، فلم أجد عالماً رجع في تفسيره إلى تفسير ابن عادل واستفاد منه ، وذلك لعدم تداوله بين أهل العلم ، ولعدم وجوده مطبوعاً .

لقد تصفحت تفسير الشربيني فلم أعثر فيه على ذكر إسم ابن عادل أو تفسيره والتصريح بالنقل عنه أو العزو إليه إلا في مواضع قليلة جداً تتعلق بفضائل السور ، منها ما ذَكَرَهُ في بيان فضيلة سورة آل عمران، فقال : "روى الطبري لكن بإسناد ضعيف[4]: من قرأ السورة التي يُذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تُحْجَبَ الشمس"[5] وما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري ، وتبعهما ابن عادل [6][7]من أنه صلى الله عليه وسلم قال: " من قرأ سورة آل عمران أُعطي بكل آية منها أماناً على جسر جهنم "(8)فهو من الأحاديث الموضوعة

---

[1] هو الإمام شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي المصري ، تتلمذ على السيوطي وتأثر بمنهجه ، لـه مصنفات كثيرة أهمها طبقات المفسرين ، ت 45 9هـ . الغزي : الكواكب السائرة (71/1) .

[2] هو الإمام أحمد بن محمد الأدنروي ، الرومي ، الحنفي ، الشهير بشيخ زادة ، من القضاة له مصنفات كثيرة منها : طبقات المفسرين ، حاشية على شرح مفتاح العلوم في المعاني والبيان، ت 033 1هـ . كحالة :معجم المؤلفين (2/9 7).

[3] هو الإمام شمس الدين محمد بن محمد الشربيني،الشافعي،فقيه،ومفسركبير،كان ديناً، زاهداً، ورعاً له تصانيف كثيرة منها:مغني المحتاج وشرح التنبيه في الفقه،والسراج المنير في التفسير،ت77 9هـ،الحنبلي : شذرات الذهب (384/8) .

[4] لم أعثر على هذه الرواية في تفسير الطبري .

[5] ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (168/2) وقال : وفيه طلحة ابن زيد الرقي وهو ضعيف ، وقال ابن حجر : إسناده ضعيف أنظر الكافي الشاف (6 6) . (6) البيضاوي والزمخشري وابن عادل ليسوا رواة حديث .

[7] البيضاوي : أنوار التنزيل (137/2) ، الزمخشري : الكشاف (91/1 4) ، ابن عادل : اللباب (136/6) .

(8) حديث موضوع انظر ابن حجر : الكافي الشافي (6 6) .

على أبي بن كعب في فضائل السور ، فلْيُتَنَبَّه إلى ذلك ، ويُحذر منه ، وقد نَبَّه أئمة الحديث قديماً وحديثاً على ذلك ، وعابوا من أورده من المفسرين في تفاسيرهم، والله أعلم "[١] .

وكونه ذكر ابن عادل يدل على أنه رجع إليه ونقل عنه،لكنه لم يصرح بالعزو عند الرجوع إليه والنقل عنه في المواضع التي رجع فيها إليه أو نقلها عنه ،فمن هذه المواضع :

1 ــ عند تفسيره لقوله تعالى : **(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم)**[2] نقل عن ابن عادل ما ينعقد به اليمين وما يترتب على الحنث في اليمين المنعقدة ، وهل تجب الكفارة بالحنث في اليمين الغموس ؟ فقال : " واليمين لا تنعقد إلا بالله تعالى أو إسم من أسمائه ، أو صفة من صفاته ، فاليمين بالله أن يقول : والذي أعبده ، والذي أصلي له ، والذي نفسي بيده ، ونحو ذلك ، واليمين بأسمائه ، كقوله : والله ، والرحمن ، ونحوه ، واليمين بصفاته كقوله : وعزة الله ، وعظمة الله ، وجلال الله ، وقدرة الله ، ونحوها ، فإذا حلف بشيء منها على أمر في المستقبل فحنث وجبت عليه الكفارة ، وإذا حلف على أمر ماضٍ أنه كان ولم يكن وقد كان ، إن كان عالماً به حال اليمين ، فهو اليمين الغموس ، وهو من الكبائر ، وتجب فيه الكفارة عند الشافعي ، عالماً كان أو جاهلاً ، وقال أصحاب الرأي : إن كان عالماً فهو كبيرة ، ولا كفارة لها كسائر الكبائر ، وإن كان جاهلاً فهو يمين لغوٍ عندهم "[3] .

لكن عند البحث وجدنا أن ابن عادل كان ناقلاً فيما ذهب إليه ، فقد نقله عن تفسير الإمام البغوي[4] ، مع الزيادة والتوضيح والإضافة ، ثم جاء الشربيني فنقل ما كتبه ابن عادل .

٢ ــ عند تفسيره لقوله تعالى: **(الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)**[5] ذكر اختلاف العلماء في عدد الطلقات إذا كان أحد الزوجين رقيقاً ، فقال : " واختلف العلماء إذا كان أحد الزوجين رقيقاً : فذهب أكثرهم إلى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج ،فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث تطليقات ، والعبد لا يملك على زوجته الحرة إلاَّ طلقتين ، وذهب الأقل ومنهم أبو حنيفة إلى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق ، فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الأمة إلاَّ طلقتين "[6].

وهنا في هذا الموضع نقل ابن عادل أيضاً عن البغوي[٧] مع الزيادة والإضافة والتوضيح ، ثم جاء الشربيني فنقل ما كتبه ابن عادل .

---

[1] الشربيني: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير ، دار المعرفة ــ بيروت (77/1 2) .

[2] البقرة : 225 . [3] الشربيني:السراج المنير(145/1-146) ابن عادل:اللباب (94/4-95).

[4] انظر البغوي:معالم التنزيل (201/1-202) . [5] البقرة : 229 .

[6] الشربيني : السراج المنير (148/1) ، ابن عادل : اللباب (134/4-135) .

[7] انظر البغوي : معالم التنزيل (206/1) .

هذا ويبقى أثر ابن عادل في الشربيني ضعيفاً ، ليس كأثر غيره من المفســـرين كالزمخشــري والبيضاوي الرازي والبغوي وغيرهم ، فاكتفى بالنقل عنه في بعـــض المواضـــع ، لكــن دون تصريح بالعزو .

الخاتمة

تم هذا البحث بعون الله تعالى وتوفيقه ، وقد انتهيت فيه إلى النتائج التالية :

1 ـــ إن تفسير كتاب الله تعالى علم واسع ، لن يحيط به أحد من البشر مهما أوتي من عقل وافر ، وذهن مصقول ، وقريحة متوقدة ، وذكاء مفرط ، واطلاع واسع ، لأنه علم متعلق بكتاب الله المعجز للخلائق ،ولن يحيط بما يحويه من علوم وما يحمله من أوجه أحدٌ من الإنس والجن ، وهو كما قالوا عنه : علم لم ينضج ولم يحترق .

2 ـــ إن الذي يقبل على تفسير كتاب الله تبارك وتعالى يتحتم عليه أن تتوفر فيه شروط التفسير المتفق عليها عند أهل هذا الفن ، وأن يكون قد ألمَّ بالعلوم المتعلقة بكتاب الله تبارك وتعالى إلماماً يجعله أهلاً لتفسيره ، والغوص في معانيه ، وإدراك حقائقه ، ومعرفة مقاصده ومراميه ، والإطلاع على أسراره وخفاياه ، وابن عادل توفرت فيه تلك الشروط ، وألمَّ بكثير من علوم القرآن المتعددة ، أهلته لأن يكون في عداد المفسرين لكتاب الله .

3 ـــ إن الذي يقبل على تفسير كتاب الله تبارك وتعالى يلزمه الإطلاع على التفاسير التي سبقت تفسيره ، وكتب علوم القرآن ، وغيرها من كتب العلم التي لها صلة وعلاقة بكتاب الله ، لأن العلم رحِم بين أهله ، يتلقاه اللاحقون عن السابقين ، وابن عادل من خلال هذا البحث وهذه الدراسة تبين أنه اطلع على التفاسير الهامة التي سبقته ، وعلى سائر كتب العلم التي تتعلق بتفسير كتاب الله تبارك وتعالى ، حيث استفاد من جهودهم ، وانتفع بتجربتهم .

4 ـــ المفسرون لكتاب الله على نوعين ، الأول : مفسر مجتهد ومبدع ومحقق له طريقته الخاصة ومنهجه المميز ورأيه المستقل في القضايا التفسيرية المتعددة ، مثل الطبري والزمخشري وابن عطية والماوردي وغيرهم ، والثاني : مفسر مقلد وجامع وناقل ومحافظ ، يقلد غيره في الطريقة والمنهج ، ينقل أقوال المفسرين ، ويجمعها في الموضع الذي يستدعي فيه النقل والجمع ، ويعلق أحياناً في الأماكن التي تستوجب التعليق ، ويناقش في بعض المواطن الأقوال التي تستحق النقاش حيناً آخر .

وإذا أردنا أن نصنف ابن عادل من أي النوعين هو ؟ فإنه من خلال هذه الدراسة ، وهذا البحث ، تبين لنا أنه من النوع الثاني ، أي كان مقلداً وجامعاً وناقلاً ومحافظاً ، نقل أقوال المفسرين وجمعها في الموضع الذي استدعى فيه ذلك ، وعلَّق في أماكن استوجبت التعليق ، وناقش في مواطن الأقوال التي استحقت النقاش .

5 ـــ لكل مفسر مذهب ومنهج في العقيدة ، يتبناه ويدافع عنه،يبين فيه صحة ما ذهب إليه بالحجة والبرهان ، مبيناً فيه خطأ قول المخالف ، وزيف عقيدة المعاند ، وبطلان مذهب المنتحل

وابن عادل كان أشعرياً في منهجه العقدي ، يقول بالتأويل في الصفات في معظم الآيات التي تضمنت صفات الله عز وجل ، بل نفى بعض الصفات في بعض المواضع ظناً منه أنها لا تليق بالله تعالى ، مدافعاً عن مذهبه بالحجة والبرهان العقلي ، مبيناً خطأ منهج الفرق الضالة والمنحرفة كالمعتزلة والجبرية والمرجئة ، التي تفسر آيات القرآن الكريم حسب ما تذهب إليه من فساد في المعتقد ، وانحراف في الطريقة والمنهج ، وشطط في التفكير .

6 ـ دراسة مناهج المفسرين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم تعطي الدارس فوائد كثيرة ، حيث يعرف جهودهم ، ويطلع على خبرتهم ، ويقف على إضافاتهم وزياداتهم في التفسير ويستفيد من تجربتهم ، ويحدد مكانة المفسر بين المفسرين ، ويبين السمة الغالبة على تفسيره .

ومن خلال هذه الدراسة التي قمت بها عن ابن عادل ، استفدت كثيراً ، فقد توصلت إلى أنه قد بذل جهداً كبيراً في تأليف تفسيره ، يدل على ذلك كثرة اطلاعه على العلوم القرآنية ، والمصادر الأخرى التي لها علاقة بالتفسير ، واطلعت على خبرته الكامنة في القدرة على جمع المعلومات عند تفسير الآية ذات الموضوع الواحد أو الآيات ذات الموضوع الواحد ، ووقفت على مناقشته لكبار المفسرين ، وإضافاته وزياداته في التفسير ، وحددت مكانته بين المفسرين ، بأنه مفسر مقلد ، شأنه شأن كثير من المفسرين الذين سبقوه ، جامع لأقوال المفسرين في مختلف القضايا التفسيرية ، ولم يكن مفسراً مجدداً ، ولا مجتهداً له مدرسة خاصة في التفسير ، وكان تفسيره مدرسة جامعة لأقوال المفسرين ، وكانت السمة الغالبه فيه الاهتمام بالقضايا النحوية واللغوية ، والاهتمام بعلم القراءات .

7 ـ الاهتمام بالأمور اللغوية أمر ضروري لتفسير كتاب الله تبارك وتعالى ، حيث به بها تفهم مدلولات الألفاظ ومعانيها ، لكن بالقدر الذي يعين على فهم كتاب الله تبارك وتعالى ، أما التوسع في ذلك كثيراً يخرج التفسير عن كونه تفسيراً إلى كتاب نحو أو لغة ، حيث إن الأصل في القرآن هو كتاب هداية للبشرية .

وبالنسبة لابن عادل فإنه اهتم بهذه الأمور اهتماماً كبيراً ، بلغ في بعض الأحيان حد الإسراف ، وخير شاهد على ذلك هو اهتمامه بالشواهد الشعرية التي نافت عن خمسة آلاف بيت من الشعر ، إضافة إلى التفريعات في الأمور اللغوية الأخرى التي لا طائل من إيرادها ، فمحلها كتب اللغة وأدب والنحو .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مسرد الآيات

مسرد الأحاديث النبوية

الرقم المتسلسل	الحديث	رقم الصفحة
1 ـ	" أبشروا صعاليك المهاجرين بالفوز التام ..."	82
2 ـ	" اتقوا الغضب ..."	30
3 ـ	" أخبروه أن الله يحبه "	45
4 ـ	" إذا التقى الختانان وجب الغسل ..."	172
5 ـ	" أرجعي فلعل الله سيقضي به "	162
6 ـ	" أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضوٍ عضواً من النار "	170
7 ـ	" أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ..."	124
8 ـ	" إعملوا فكل ميسر لما خلق له ..."	50
9 ـ	" الخيل معقود في نواصيها الخير "	155
10 ـ	" العجماء جبار "	85
11 ـ	" أفلح إن صدق "	167
12 ـ	" ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ..."	77
13 ـ	" الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه ..."	72
14 ـ	" الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله ..."	187
15 ـ	" اللهم أحييني مسكيناً وأمتني مسكيناً ..."	170
16 ـ	" اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ..."	94
17 ـ	" اللهم إني عبدك ابن عبدك ..."	112
18 ـ	" اللهم أهلك كباره ، واقتل صغاره ..."	48
19 ـ	" اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ..."	77
20 ـ	أما أنا فأحثي على رأسي ثلاث حثيات ..."	171
21 ـ	" الميت يعذب بما نيح عليه في قبره ..."	44
22 ـ	" أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ..."	220
23 ـ	" إن العلماء ورثة الأنبياء ..."	85
24 ـ	" أن النبي كان يخطب قائما يوم الجمعة ...."	71
25 ـ	" أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله	167
26 ـ	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته ..."	185
27 ـ	" أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات ..."	180
28 ـ	" إن صوم رمضان نسخ كل صوم "	183
29 ـ	" أهل الجنة عشرون ومائة صنف ثمانون منها من هذه الأمة ..."	215
30 ـ	" إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ..."	102

مسرد الأعلام المترجم لهم

مسرد المصادر والمراجع

1 ــ القرآن الكريم .

2 ــ الأصبحي ، مالك بن أنس ، ت 179 : **موطأ مالك** ، دار إحياء التراث العربي ــ القاهرة ــ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

3 ــ الأصبحي ، مالك بن أنس : **المدونة الكبرى** ، دار صادر ــ بيروت .

4 ــ الآمدي ، علي بن محمد ، ت 631هـ : **الإحكام في أصول الأحكام** ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ 1404هـ ــ ط1 تحقيق سيد الجميلي .

5 ــ ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد ، ت 235هـ : **مصنف ابن أبي شيبة** ، مكتبة الرشيد ــ الرياض ــ 1409هـ ــ ط1 تحقيق كمال يوسف الحوت .

6 ــ ابن البارزي ، هبة الله عبد الرحيم بن إبراهيم ، ت738 هـ : **ناسخ القرآن ومنسوخه** ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط3 1405هـ ــ تحقيق د. حاتم الضامن .

7 ــ ابن بدران ، عبد القادر بن بدران الدمشقي ، ت1346هـ : **المدخل لابن بدران** ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ 1401هـ ــ ط٢ تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي .

8 ــ إبن إسحاق ، أبو يوسف بن يعقوب ، ت 244هـ: **إصلاح المنطق** ، دار المعارف ــ القاهرة ــ ط1 1949م ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون .

9 ــ ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله ، ت 808هـ : **رحلة إبن بطوطة** ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ 1405هـ ، تحقيق علي المنتصر الكتاني .

10 ــ إبن تيمية ، تقي الدين أحمد أبو العباس،ت 728هـ،**مقدمة في أصول التفسير** ، دار مكتبة الحياة ــ بيروت.

11 ــ ابن تيمية،تقي الدين أحمد أبو العباس ، ت 728هـ،**مجموع الفتاوى** ، مكتبة ابن تيمية ــ تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم النجدي .

12 ــ إبن الأثير ، مجد الدين ، ت 600هـ : **النهاية في غريب الحديث** ، دار إحياء التراث ــ بيروت ــ تحقيق طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي .

13 ــ إبن الجزري ، أبو الخير محمد بن محمد ، ت 833 هـ : **غاية النهاية في طبقات القراء** ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ نشر ج . برجستراسر .

14 ــ إبن الجزري،أبوالخيرمحمد بن محمد ، ت833 هـ:**النشر في القراءات العشر**،دار الكتب العلمية ــ بيروت.

15 ــ إبن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد ، ت 544هـ : **النهاية في غريب الأثر** ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ 1979م تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي .

16 ــ إبن جزي ، محمد بن أحمد ، ت 741هـ : **التسهيل لعلوم التنزيل** ، دار الكتب العلمية ــ بيروت .

17 ــ إبن جني ، أبو الفتح عثمان ، ت 392هـ:**المحتسب** ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ تحقيق محمد عبد القادرعطا.

18 ــ إبن جني ، أبو الفتح عثمان ، ت ٣٩٢هـ:**الخصائص**،من غير ذكر للطبعة والناشر، تحقيق محمد علي النجار.

19 ــ إبن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت597 هـ : **زاد المسير في علم التفسير** ، المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ ط3 1404هـ .

20ــ ابن الجوزي،عبد الرحمن بن علي،ت٥٩٧هـ:**العلل المتناهية**،دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ 1403هـ تحقيق خليل الميس .

21 ــ ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي : **نواسخ القرآن** ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط1 1405هـ

22 ــ إبن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد ، ت 456هـ : **الناسخ والمنسوخ في القرآن** ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط1 تحقيق عبد الغفار سليمان البداري .

23 ــ إبن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، ت 241هـ : **مسند أحمد** ، مؤسسة قرطبة ــ مصر .

24 ــ إبن خالويه ، الحسين أحمد ، ت 370هـ : **مختصر في شواذ القرآن** ، مكتبة المتنبي ــ القاهرة .

25 ــ ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق ، ت 311هـ : **صحيح ابن خزيمة** ، المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ 1970م تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي .

26 ــ إبن خلدون ، عبد الرحمن ، ت 808هـ : **مقدمة إبن خلدون** ، دار الفكر ــ بيروت .

27 ــ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، ت : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، دار الثقافة ــ بيروت ــ 1868 م ، تحقيق د. إحسان عباس .

28 ــ ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله ، ت 463هـ : التمهيد ، نشر عموم وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ــ المغرب ــ 1987م تحقيق مصطفى بن احمد بن علوي .

29 ــ ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله ، ت 463هـ :الكافي دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط1 1407هـ .

30 ــ ابن عبد السلام ، عز الدين عبد العزيز ، 660 هـ : تفسير القرآن ، دار ابن حزم ــ بيروت ــ ط١ 1416هـ تحقيق د. عبدالله الوهيبي .

31ــ ابن عدي ، عبد الله بن عدي ، ت277هـ : الكامل في الضعفاء ، دار الفكر ــ بيروت ــ ط3 1409هـ تحقيق يحيى مختار غزاوي .

32 ــ ابن عطية ، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ، ت546هـ :المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط1 1993م تحقيق عبد السلام عبد الشافي .

33 ــ ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله ، ت543هـ : أحكام القرآن ، دار الجيل ــ بيروت ــ تحقيق محمد علي البجاوي .

34 ــ ابن فرحون ، إبراهيم بن علي ، ت ٧٩٩هـ : الديباج المذهب ، دار الكتب العلمية ــ بيروت .

35 ــ ابن قاضي شهبة ، أبو بكر أحمد بن محمد ، ت 851هـ : طبقات الشافعية ، عالم الكتب ــ بيروت ــ تحقيق الحافظ عبد العليم خان .

36 ــ ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، ت 376هـ : أدب الكاتب ، المكتبة التجارية ــ مصر ــ 1963م تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

37 ــ ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد ، ت620هـ : روضة الناظر ، نشر جامعة محمد بن سعود الإسلامية ــ الرياض ــ ط١ تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن السلمان .

38 ــ ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد ، ت 620هـ : المغني ، دار الفكر ــ بيروت ــ ط1 1405هـ .

39 ــ ابن قدامة ــ عبد الله بن أحمد ، ت 620هـ : الكافي في فقه أحمد ، المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ ت زهير الشاويش .

40 ــ ابن قيس ، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ، ت 281هـ : قرى الضيف ، الناشر ، أضواء السلف ــ الرياض ــ 1997م ــ ت عبد الله بن حمد المنصور .

41 ــ ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤هـ : تحفة الطالب ، دار حراء ــ مكة المكرمة ــ 1406هـ ، تحقيق عبد الغني بن حمد بن محمود الكبيسي .

42 ــ ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، ت 774هـ : تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ــ بيروت .

43 ــ ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني ، ت 375هـ : سنن ابن ماجه ، دار الفكر ــ بيروت ــ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

44 ــ ابن النديم ، محمد بن إسحاق ، ت : الفهرست ، دار المعرفة ــ بيروت .

45 ــ ابن منظور ، محمد مكرم ، ت٧١١هـ : لسان العرب ، دار صادر ــ بيروت ــ ط1 .

46 ــ ابن هشام ، جمال الدين ، ت 761هـ : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، دار الفكر ــ بيروت ــ ط6 1985م ، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله .

47 ــ أبو أسامة ، الحارث بن أبي أسامة ، ت ٢٨٢هـ : مسند الحارث بن أبي أسامة ، مركز خدمة السنة النبوية ــ المدينة المنورة ١٤١٣هـ تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري .

48 ــ أبوحيان،محمد بن يوسف،ت٧٤٥هـ : البحرالمحيط ، بعناية الشيخ عرفات العشا حسونة ، دار الفكر ــ بيروت.

49 ــ أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت 275 هـ : سنن أبي داود ، دار ابن حزم ــ بيروت ــ ط1 1418م ، تحقيق عزت عبيد الدعاس .

50 ــ أ . ي . ونسنك و ي . ب منسنج : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، دار الدعوة ــ استانبول .

51 ــ الباقلاني ، أبو بكر محمد الطيب ،ت 403 هـ: إعجاز القرآن ، دار الجيل ــ بيروت ــ تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجة .

52 ــ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، ت 256هـ : صحيح البخاري ، دار اليمامة ــ بيروت ــ ١٤٠٧هـ ط3 تحقيق د.مصطفى ديب البغا .

53 ــ بروكلمان ، كارل : تاريخ الأدب العربي ، ترجمة أ.د محمود فهمي حجازي ود. حسن محمــــد إســماعيل ، الهيئــة العامــة المصرية للكتب.

54ــ البستي ، محمد بن حبان أبو حاتم ، ت 354هــ : مشاهير علماء الأمصار ، دار الكتــب العلميــة ــ بيروت ــ 1959م ، تحقيق فلايشمهر .

55 ــ البصروي ، علي بن يوسف بن أحمد ، ت 905هــ : تاريخ البصروي ، دار المأمون للنشر ــ دمشق ــ ط1 تحقيــق أكــرم العلبي .

56 ــ البغدادي ، أحمد بن علي بن الخطيب ، ت 463هــ : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ــ بيروت .

57 ــ البغدادي ، إسماعيل باشا : هدية العارفين ، طهران .

58 ــ البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، ت 429هــ : الناسخ والمنسوخ ، دار العدوي ــ عمــان ــ ط١ 1407هــــ ، تحقيق د. حلمي كامل أسعد عبد الهادي .

59 ــ البغوي ، الحسين بن مسعود ، ت 516هــ : معالم التنزيل ، دار المعرفة ــ بيروت ــ تحقيق خالد العك ومروان سوار .

60 ــ البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد ، ت691هــ : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الفكر ــ بيروت ــ تحقيــق عبــد القادر عرفات العشا حسونة .

61 ــ البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد ، ت691هــ : منهاج الوصول إلى معرفة الأصول ومعه الابتهاج في تخريج أحــاديث المنهاج للشيخ عبد الله الصديق الغماري ، عالم الكتب ــ بيروت ــ ط١ 1405هــ .

62 ــ البيطار ، محمد نسيب البيطار : الفريدة في حساب الفريضة ، مطبعة بيت المقدس ــ القدس ــ 1935م.

63 ــ البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، ت 458هــ : شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط١ 1410هــــ تحقيــق محمد السعيد بسيوني زغلول .

64 ــ الأتابكي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ، ت 874هــ : النجوم الزاهــرة ، المؤسســة الأهليــة للتــأليف والطباعة والنشر ــ القاهرة .

65 ــ التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي ، ت 502هــ : شرح القصائد العشر ، دار التعاون ــ مكة .

66 ــ الترمذي ، محمد بن عيسى ، ت 279هــ: سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ــ بــيروت ــ تحقيــق أحمــد شــاكر وآخرين.

67 ــ الجرجاني،عبد القاهر،ت471هــ : دلائل الإعجاز ،دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط١ 1955م ، تحقيق د. محمد الأتنجي .

68 ــ الجرجاني، علي بن محمد بن علي ، ت816هــ : التعريفات ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط١ 1405هــ تحقيق إبراهيم الإبياري .

69 ــ الجزري ، مجد الدين بن الأثير ، ت 544هــ : اللباب في تهذيب الأنساب ، مكتبة المثنى ــ بغداد .

70 ــ الجصاص ، أحمد بن علي أبو بكر ، ت 370 هــ : أحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ــ بــيروت ــ 1405هــــ ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي .

71 ــ الجمحي ، محمد بن سلاّم ، ت 239هــ : طبقات فحول الشعراء،دار المدني ــ جدة ــ ت محمود شاكر.

72 ــ الجويني ، عبد الملك بن عبد الله ، ت 478هــ : الورقات ، تحقيق د. عبد اللطيف محمد العبد ، بدون ذكر دار النشر .

73 ــ الجويني ، د. مصفى الصاوي : الزمخشري ومنهجه في التفسير ، دار المعارف ــ مصر ــ 1986م .

74 ــ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، ت 1067هــ :كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،مكتبة المثنى ــ بغداد.

75 ــ الحراني ، عبد السلام بن عبد الله بن تيمية ، ت 652هــ: المحرر في الفقه ، مكتبة المعارف ــ الرياض .

76 ــ الحسني ، أبو بكر هداية الله ، ت 1014هــ : طبقات الشافعية ، دار الآفاق والمعرفة ــ بيروت ــ ط٢ 1982م تحقيق عادل نويهض .

77 ــ الحموي ، تقي الدين أبو بكر بن عبدا لله ، ت 873هــ : خزانة الأدب ، دار ومكتبة الهلال ــ بيروت ــ ط١ 1987م تحقيــق عصام شعيتو .

78 ــ الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، ت 626هــ : معجم البلدان ، دار الفكر ــ بيروت ..

79 ــ الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن العماد ، ت 1031هــ : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مكتبة الحياة ، بيروت .

80 ــ الحنبلي ، مجير الدين ، ت 928 هــ : **الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل** ، مكتبة محمد موسى المحتسب ــ عمان .

81 ــ الخالدي ، د. صلاح عبد الفتاح : **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق** ، دار النفائس ــ عمان .

82 ــ الدارقطني ، علي بن عمر أبو الحسن، ت 385هــ : **سنن الدارقطني** ، دار المعرفة ــ بيروت ــ تحقيق عبد الله هاشم يماني .

83 ــ الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن ، ت 255هــ : **سنن الدارمي** ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط١ 1407هــ تحقيق فواد أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي .

84 ــ الدامغاني ، الحسين بن محمد ، ت 478هــ : **الوجوه والنظائر** ، دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ط3 1980م ، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل .

85ــ الدميري ، كمال الدين محمد بن عيسى،ت808 هــ: **حياة الحيوان الكبرى** ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط2.

86 ــ الداودي ، شمس الدين محمد بن علي ، ت945هــ : **طبقات المفسرين** ، مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط2 تحقيق علي محمد عمر 1994م .

87 ــ الأدنروي ، أحمد بن محمد ، ت 1033هــ : **طبقات المفسرين** ، مكتبة العلوم والحكم ــ المدينة المنورة ط١ 1997م ، تحقيق سليمان الخزي .

88 ــ الدهلوي ، ولي الله : الفوز الكبير في أصول التفسير ، المطبعة المنيرية ــ القاهرة ــ 1346هــ .

89 ــ الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، ت748هــ : **تذكرة الحفاظ** ، طبعة حيدر آباد الهند .

90 ــ الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان : **معرفة القراء الكبار،على الطبقات والأعصار** ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط1 1404هــ تحقيق شعيب الأرناءوط وآخرين .

91 ــ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان : **العبر في خبر من غبر**سطبعة حكومة الكويت 1984م.

92 ــ الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان : **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ 1995م ط١ تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود .

93 ــ الذهبي ، محمد حسين : **الإسرائيليات في التفسير والحديث** ، نشر مجمع البحوث الإسلامية ــ مصر ــ1391هــ.

94 ــ الذهبي ، د. محمد حسين : **التفسير والمفسرون** ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

95 ــ الرازي ، محمد عمر فخر الدين ، ت ٦٠٦هــ : **مفاتح الغيب** ، دار الفكر ــ بيروت ــ ط١ 1981 م.

96 ــ الرازي : **المحصول** ، نشر جامعة محمد بن سعود الإسلامية ــ الرياض ــ ط١ 1400هــ تحقيق طه جابر فياض العلواني .

97ــ الرازي : **مختار الصحاح** ، دار عمار ودار الفجر الجديدة ــ عمان ــ ط1 .

98 ــ زادة ، طاش كبرى : **مفتاح السعادة** ، دار الحديث ــ القاهرة ــ تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور.

99 ــ الزجاج،أبو إسحاق إبراهيم بن السري، ت311هــ : **إعراب القرآن ومعانيه** ،دار الحديث ــ القاهرة ــ ت عبد الجليل شلبي .

100 ــ الزرقاني ، عبد العظيم : **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ــ ط٢ 1417هــ تحقيق فواد زمرلي .

101 ــ زرزور ، د. عدنان : **الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير** ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت .

102 ــ الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، ت 794 هــ : **البرهان في علوم القرآن** ، دار المعرفة ــ بيروت ــ تحقيق يوسف عبد الرحمن مرعشلي وآخرين .

103 ــ الزركلي ، خير الدين : **الأعلام** ، دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ط7 .

104 ــ زقلمة ، أنور : **المماليك في مصر** ، مطبعة المجلة الجديدة ــ القاهرة .

105 ــ الزمخشري ، أبو القاسم جار الله عمر بن محمود ، ت538هــ : **الكشاف** ، دار المعرفة ــ بيروت .

106 ــ الزمخشري ، أبو القاسم جار الله عمر بن محمود : **أساس البلاغة** ، دار الفكر ــ بيروت .

107 ــ الزمخشري ، أبو القاسم عمر بن محمود : **المفصل في صناعة الإعراب** ، دار ومكتبة الهلال ــ بيروت ــ ط١ 1393هــ ، تحقيق د. علي أبو ملحم .

108 ــ الزيات ، أحمد حسن وآخرون : **المعجم الوسيط** ، دار الدعوة ــ استانبول .

109 ــ السبكي ، عبد الوهاب بن عبد الكافي ، ت771هــ : **طبقات الشافعية الكبرى** ، دار هجر للنشر والتوزيع ــ الجيزة ــ ط٢

تحقيق د. عبد الفتاح الملط ومحمود محمد الطناحي .
110 ـ السجستاني ، سليمان بن الأشعث ، ت275هـ: المراسيل مؤسسة ـ بيروت ـ ط١ 1408 هـ تحقيق شعيب الأرناءوط .
111 ـ السخاوي ، شمس بن عبد الرحمن ، ت 902هـ : الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، مكتبة الحياة ـ بيروت .
112 ـ السرخسي ، محمد بن أحمد بن سهل ، ت490هـ : المبسوط ، دار المعرفة ـ بيروت.
113 ـ السرخسي،محمد بن أحمد بن سهل : أصول السرخسي ، دار المعرفةبيروت ـ 1372هـ ، تحقيق أبي الوفا الأفغاني.
114 ـ السعيد ، د. عبد الستار : المدخل إلى التفسير الموضوعي ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ـ القاهرة .
115 ـ السمين ، أحمد بن يوسف ، ت 756هـ : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، مطبعة دار القلم ـ دمشق ـ تحقيق أحمد الخراط .
116 ـ سيبويه،عمرو بن عثمان ، ت 183هـ : الكتاب ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ودارالرفاعي ـ الرياض ـ تحقيق عبد السلام هارون .
117 ـ السيرافي ، الحسين بن عبد الله بن المرزبان ، ت 368هـ : أخبار النحويين ، المطبعة ـ المصرية .
118 ـ السيواسي ، محمد بن عبد الواحد ، ت981هـ : شرح فتح القدير ، دار الفكر ـ بيروت ـ ط2 .
119 ـ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت911هـ : لباب النقول في أسباب النزول ، دارإحياء العلوم ـ بيروت ـ ط 8 1414هـ.
120 ـ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر : طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ 1403هـ .
121ـ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر : الجامع الصغير ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط4 .
122 ـ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر : طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
123 ـ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر : الإتقان ، دار المعرفة ـ بيروت .
124 ـ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر : الدر المنثور ، دار الفكر ـ بيروت .
125 ـ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر : بغية الوعاة في طبقات النحاة ، در إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ 1964م ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
126 ـ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، : تدريب الراوي ، مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض ـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .
127 ـ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر : حسن المحاضرة ، القاهرة ـ مصر ـ 1387هـ .
128 ـ الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد ، ت790هـ: الموافقات، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ شرح الشيخ عبد الله دراز .
129 ـ الشافعي ، محمد بن إدريس ، ت204هـ:الرسالة ، المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ت أحمد محمد شاكر.
130 ـ الشافعي ، محمد بن إدريس : الأم ، دار المعرفة ـ بيروت ـ ط2 1393هـ .
131 ـ الشربيني ، محمد بن محمد ، ت 977هـ : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير ، دار المعرفة ـ بيروت ـ ط2 .
132 ـ الشنقيطي،محمد الأمين المختار: مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة، المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة .
133 ـ الأشموني ، أحمد بن عبد الكريم ، ت : منار الهدى في الوقف والابتداء ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة .
134 ـ شلبي ، د. أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ط5 1982م
135 ـ الشوكاني ، محمد بن علي،ت1250هـ : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، عالم الكتب ـ بيروت .
136 ـ الشوكاني ، محمد بن علي : إرشاد الفحول ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
137 ـ الشوكاني ، محمد بن علي : نيل الأوطار ، دار الفكر ـ بيروت ـ 1414هـ .
138 ـ الشوكاني ، محمد بن علي : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار المعرفة ـ بيروت .
139 ـ الشيباني ، أحمد بن حنبل ، ت241 هـ : مسند أحمد ، مؤسسة قرطبة ـ مصر .
140 ـ الشيرازي ، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق ، ت476هـ : المهذب ، دار الفكر ـ بيروت .
141ـ الأصبحي ، مالك بن أنس ، ت179هـ : المدونة الكبرى ، دار صادر ـ بيروت .

142 ــ الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، ت 430هـ : حلية الأولياء ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط4 1405هـ .
143 ــ الصفدي ، خليل بن أيبك ، ت 764هـ : الوفي بالوفيات ــ استانبول ــ 1931م .
144 ــ الأصفهاني ، أبو الفرج ، ت356هـ : الأغاني ، دار الفكر ــ بيروت ــ تحقيق سمير جابر .
145 ــ الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين محمد بن الراغب ، ت502هـ : المفردات ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة ــ تحقيق محمد سيد كيلاني .
146 ــ الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق ، ت211هـ : مصنف عبد الرزاق ، المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ ط١ 1403 هـ ــ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .
147 ــ الطبري ، محمد بن جرير، ت 311هـ : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ــ بيروت1405هـ .
148 ــ الطحاوي ، أحمد بن محمد بن سلامة ، ت321 هـ : شرح معاني الآثار ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط ١ 1399هـ ــ تحقيق محمد زهدي النجار .
149 ــ عاشور، د. سعيد عبد الفتاح : مصر والشام في عصر المماليك والأيوبيين،دار النهضة العربية ــ بيروت .
150 ــ عاشور، د.سعيد عبد الفتاح : المجتمع المصري في عصرسلاطين المماليك ، دار النهضة العربية بيروت.
151 ــ عباس ، د. فضل حسن : إتقان البرهان ، دار الفرقان ــ عمان ــ ط١ 1997م .
152 ــ عبد الباقي ، محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ــ القاهرة ــ ط١ 1417هـ .
153 ــ العسقلاني،أحمدبن محمد بن علي ت852هـ:إنباء الغمر بأنباء العمر،دار الكتب العلمية ــ بيروت ط2.
154 ــ العسقلاني ، أحمد بن محمد بن علي : تهذيب التهذيب ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت .
155 ــ العسقلاني ، أحمد بن محمد بن علي :الإصابة في تمييز الصحابة،دار الجيل ــ بيروت ــ ط١ 1992م ، تحقيق محمد علي البجاوي .
156 ــ العسقلاني ، أحمد بن محمد بن علي : فتح الباري ، مطبعة المكتبة السلفية ــ مصر .
157 ــ العسقلاني ، أحمد بن محمد بن علي : تلخيص الحبير ، المدينة المنورة ــ 1384هـ تحقيق عبد الله هاشم اليماني المدني .
158 ــ العسقلاني ، أحمد بن محمد بن علي : الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .
159 ــ العسقلاني ، أحمد بن محمد بن علي : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ــ حيدر آباد ــ الهند ــ ط2 .
160ــ العسلي ، د. كامل : معاهد العلم في بيت المقدس ، مطابع جمعية عمال المطابع التعاونية ــ عمان .
161 ــ العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، ت 616هـ : التبيان في إعراب القرآن ، دار إحياء التراث العربي ــ القاهرة ــ تحقيق محمد علي البجاوي .
162 ــ العمادي ، محمد بن محمد ، ت952هـ : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث ــ بيروت .
163 ــ العمري ، محمد أمين خير الله ، ت1203هـ : تيجان البيان في مشكلات القرآن ، مطبعة جامعة الموصل 1985م ، تحقيق حسن مصطفى الرزو .
164 ــ العيدروسي ، عبد القادر بن شيخ عبد الله ، ت 1037 هـ : النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، دار الكتب العلمية ــ بيروت .
165 ــ الغزالي ، محمد بن محمد أبو حامد ، ت505هـ : إحياء علوم الدين ، دار الكتب العلمية ــ بيروت .
166 ــ الغزالي ، محمد بن محمد أبو حامد : الوسيط ، دار السلام ــ القاهرة ــ ط١ 1417هـ تحقيق أحمد محمود إبراهيم ومحمد محمد تامر .
167 ــ الغزي ، الشيخ نجم الدين ، ت : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، الناشر محمد أمين دمج ــ بيروت ــ .
168 ــ الفارسي ، أبو علي حسن بن عبد الغفار ، ت380هـ:الحجة للقراء السبعة ، دار المأمون ــ دمشق ــ بيروت ــ ط١ 1407هـ تحقيق بدر الدين القهوجي و بشير جويجاتي .
139 ــ الفراء ، يحيى بن زياد ، ت 207هـ : معاني القرآن وإعرابه ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ــ القاهرة ــ 1980م ، تحقيق أحمد يوسف ومحمد النجار .
170 ــ الفيروزأبادي ، محمد بن يعقوب ، ت 817هـ : البلغة في تراجم أهل اللغة ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ــ الكويت ــ

تحقيق محمد المصري .

171 ــ الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب : **القاموس المحيط** ، دار الفكر ــ بيروت .

172 ــ القرشي ، عبد القادر بن أبي الوفاء، ت 755هــ : **الشجرة المضية في طبقات الحنفية** ، نشر محمد مير خانة ــ كراتشي .

173 ــ القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، ت671هــ : **الجامع لأحكام القرآن** ، دار الكتب المصرية ــ القاهرة .

174 ــ القزويني ، جلال محمد بن عبد الرحمن ، ت 739هــ : **التلخيص في علوم البلاغة مع شـــرح الــبرقوقي** ، دار الكتــاب العربي ــ بيروت .

175 ــ القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن : **الإيضاح في علوم البلاغة** ، دا إحياء العلوم ــ بيروت .

176 ــ القطان ، مناع : **مباحث في علوم القرآن** ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط30 1996م .

177 ــ القيسي، مكي بن أبي طالب ، ت 407هــ : **مشكل إعراب القرآن الكريم** ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ت حاتم الضامن .

178 ــ الكاساني،علاءالدين أبوبكر،ت 587هــ:**بدائع الصنائع**،دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط١ 1407هــ.

179 ــ الكتاني ، محمد المنتصر : **الرسالة المستطرفة** ، دار المعرفة ــ بيروت .

180 ــ كحالة ، رضا محمد : **معجم المؤلفين** ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

181 ــ الكرمي ، مرعي بن يوسف ، ت 1033هــ : **قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن** ، دار القرآن الكريــم ــ الكويت ــ 1400هــ تحقيق سامي عطا حسن .

182 ــ الكفوي ، أيوب بن موسى ، 1054هــ : **الكليات** ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت .

183 ــ الكياالهراسي ، عماد الدين علي بن محمد الطبري ، ت 504هــ : **أحكام القرآن** ، دار الكتاب العربي ــ بيروت .

184 ــ الألوسي ، محمود أبو الفضل ، ت1270هــ : **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني** ، دارإحياء التراث العربـــي ــ بيروت.

185 ــ المالكي ــ أبو الحسن المعارفي ، ت 339 هــ : **كفاية الطالب** ، دار الفكر ــ بيروت ــ 1412هــ تحقيق يوســف الشــيخ محمد البقاعي

186 ــ الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب ، ت 450هــ : **النكت والعيون** ، ، دار الكتب العلمية ــ بيروت .

187 ــ المرغيناني،علي بن أبي بكربن عبدالجليل،ت593هــ:**الهداية شرح البداية**،المكتبةالإسلامية ــ بيروت.

188 ــ المعافري ، عبد الملك بن هشام ، ت 213هــ : **السيرة النبوية** ، دار المنار ــ القاهرة ــ ط2 1993 م .

189 ــ المغراوي ، محمد بن عبد الرحمن : **المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات** ، مؤسسة الرسالة ــ بــيروت ــ و دار الفرقان ــ عمان ــ ط١ 1420هــ .

190 ــ المقريزي،أحمد بن علي ، ت845هــ : **السلوك**،مطبعة لجنة التأليف والطباعة والنشر ودار الكتب المصرية.

191 ــ المكي ، مجاهد بن جبر ، ت 104هــ : **تفسير مجاهد** ، دار المنشورات العلمية ــ بيروت ــ تحقيق عبد الرحمن الطـــاهر محمد السورتي .

192 ــ المناوي ، محمد عبد الرءوف ، ت 1031هــ : **فيض القدير** ، المكتبة التجارية ــ مصر .

193 ــ المناوي ، محمد عبد الرءوف : **التوقيف على مهمات التعريف** ، دار الفكر المعاصر ودار الفكر ــ دمشـــق ــ بـيروت ــ تحقيق محمد رضوان الداية .

194 ــ الموصلي ، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد ، ت 637 هــ : **المثل الســائر** ، المكتبــة العصريــة ــ بــيروت ــ 1995م تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

195 ــ النحاس ، أحمد بن محمد أبو جعفر ، ت 337هــ : **معاني القرآن** ، جامعة أم القرى ــ مكة المكرمة ــ 1405هــ تحقيــق محمد علي الصابوني .

196 ــ النحاس، أحمد بن محمد أبو جعفر: **إعراب القرآن** ، عالم الكتب ــ بيروت ــ ط3 1998م ، تحقيق زهدي غازي زاهد .

197 ــ النسائي ، أحمد بن شعيب ، ت 301هــ : **الضعفاء والمتروكين** ، دار الوعي ــ حلب ــ 1369هــ ط١ تحقيـــق محمــود إبراهيم زايد .

198 ــ النسائي ، أحمد بن شعيب : سنن النسائي ،

199 ــ الأنصاري ، أبو يحيى زكريا ، ت910هــ : **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن** ، عالم الكتب ــ بيروت ــ ط١

1985م ، تحقيق محمد علي الصابوني .

200 ـ نعناعة ، د. رمزي : **الإسرائيليات وأثرها في التفسير** ، دار القلم ـ دمشق ـ ط١ 1391هـ .

201 ـ النعيمي ، عبد القادر بن محمد ، ت 978هـ: **الدارس في تاريخ المدارس** ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ تحقيق إبراهيم شمس الدين .

202 ـ النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، ت 261هـ : **صحيح مسلم** ، دار إحياء التراث ـ بيروت ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

203 ـ النيسابوري ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم ، ت 405هـ : **المستدرك على الصحيحين** ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ 1411هـ ط١ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا .

204 ـ النووي ، محيي الدين يحيى بن شرف الدين ، ت 676هـ : **تهذيب الأسماء واللغات** ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

205 ـ النووي ، محيي الدين يحيى بن شرف الدين : **روضة الطالبين** ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط2 1405هـ .

206 ـ النووي ، محيي الدين يحيى بن شرف الدين : **شرح مسلم** ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط2 .

207 ـ نويهض ، عادل : **معجم المفسرين** ، مؤسسة نويهض الثقافية للطباعة والتأليف والنشر ـ لبنان .

208 ـ الهيثمي ، علي بن أبي بكر ، ت807 هـ : **مجمع الزوائد** ، دار الريان ـ بيروت ـ القاهرة ـ 1407هـ .

209 ـ الواحدي ، علي بن محمد،ت468هـ: **الوسيط**،دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض.

210 ـ الواحدي ، علي بن أحمد : **الوجيز في تفسير القرآن العزيز** ، دار القلم ـ دمشق ـ والدار الشامية ـ بيروت ـ ط١ 1415هـ ، تحقيق صفوان عدنان داودي .

211 ـ الواحدي ، علي بن أحمد : **أسباب النزول** ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة .

212 ـ الواسطي ، عبد الله بن عبد المؤمن ، ت 740هـ: **الكنز في القراءات العشر**،دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ تحقيق هناء الحمصي.

An – Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Al – EMAM ABU HAFS OMAR BIN ALI BIN ADEL Al –HANBALI WHO WAS DIED IN 880 HIJRA AND HIS WAY IN EXPLAINING

DIRICTED BY
ABD-HAI HASSAN MUSSA ABALJEED

SUBMITTED BY

Dr.MUHSEN SSMEEH AL-KHALIDY

Submitted in Partial Fulfillment of the Degree of Master of Islamic Law(Shar'a) in Usol Ad-Din , Faculty of Graduate Studies , at An-Najah National University , Nablus , Palestine

2003

Abstract

This study was about Al-Emam Abu Hafss Omar Ben Ali Ben Addle Al-Han- baly Who was died in 880Hijra and his way in explaining it contins Four parts a-nd their followers .

The beginning of this study was about Ibin Addle biography about his time when he lived " all things about his life " and about his born and his religion a-nd its effect also about his science effect .

Then the sentence about Ibin Addle's way in explain which includes the appearance of his sources in expain from explaining book and Quran science also Ass-una book and Arabic language and structure , also this study in clouds talking about his way in explaining .

After that the speech was about Ibin Addl's ways in explain espasfically which includes that he used all the things which connected with explaining Quran by Q-uran , and explaining Quran by Alssuna ,also explain Quran by that the prophet's friends explained and it appeared his idea about Israeli station .

His way in explain connected with opinions and all the things which connected with language , structure , and his opinion from the issue of organization and impossible things also he discussed all the Quran,s sciences which used in explaining.

Then the speech finally was about Ibin Addle situation in explaining things and his effect on the other explainers which includes discussion of the largest explainers and explain why he preferred things or opinion rather than other , he appeared his situation from the translators , also it includes the value of his explanations through studying and explaining his hard work in explaining things , also he appea-red the addition explanation which his work includes and pointed to his effect on the explainers who came after him

At the end I put the endix for this study.